جدلية الملفوظ والمحفوظ

أبو أوس إبراهيم الشمسان

إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي ◄ ١٧

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

جدلية الملفوظ والمحفوظ

أبو أوس إبراهيم الشمسان

إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

ح مركز حمد الجاسر الثقافي، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشمسان، إبراهيم السليمان الرشيد
جدلية الملفوظ والمحفوظ/ إبراهيم السليمان الرشيد الشمسان - الرياض، ١٤٢٩هـ
٢٢٧ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٠-٠٠-٨٠٣٨-٦٠٣-٩٧٨
١- اللغة العربية - نقد ٢- اللغة العربية -ألفاظ أ. العنوان
ديوي ٤١٢ ١٤٢٩/٥٤٨٠

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٥٤٨٠هـ
ردمك: ٠-٠٠-٨٠٣٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تقديم

إذا كانت اللغة من أهم عناصر التواصل البشري والتعايش الاجتماعي، وهي أساس التفاهم بين الناس فإن لكل لغة سمات ثقافية تضاف إلى سماتها اللغوية، وتظهر في مستويات استعمالها. ويأتي كتاب: "جدلية المحفوظ والملفوظ" ضمن الاهتمام بدراسة اللغة في المستويين الشفهي والكتابي، على أن الملفوظ والمحفوظ وصفان للطريقة التي تُستخدم فيها اللغة؛ إما باللفظ حينما تكون مشافهة وإما بالحفظ في حال تدوينها كتابة. ومن خلال هذين البُعدين لاستخدام اللغة يسعى هذا الكتاب إلى دراسة وسيلة نقل اللغة على اعتبار أن الوسيلة تؤثر على المحتوى - أي اللغة المنقولة - تأثيرات بعضها صوتي والبعض الآخر دلالي، ويقيم علاقة بين الصيغ اللغوية وسماتها للتفريق بين الكتابية منها والشفهية من جانب لغوي؛ مبرزًا السمات المشتركة والمختلفة والجدلية بينها.

يتناول هذا الكتاب مجموعة من الموضوعات التي يربطها هذان البعدان؛ ففي فصله الأول عُني بدراسة كيفية استعمال كلٍّ من اللغة المحفوظة والملفوظة من خلال التركيز على الاستعمال الوظيفي للغة، ودراسة ميادين هذا الاستعمال في المستويات اللغوية المختلفة، بما في ذلك الأمثال والكنايات. كما اهتم بدراسة العلاقة بين الاستعمال الوظيفي والتغيّر اللغوي وبين الاستعمال الوظيفي واللغة الانفعالية والوهم في الاستخدام.

وفي الفصل الثاني، تحدّث عن تباين كتابة الأسماء العربية في الحروف والتشكيل، إما بكتابتها وفق نطقها اللهجي وإما وفق أصلها الفصيح، موضِّحًا جوانب التباين وأسبابه التي من أهمها مراعاة المماثلة

الصوتية بين بعض الحروف، أو المماثلة الخطيّة، أو الخلط والتداخل بين بعض الحروف.

ودرس في الفصل الثالث العلاقة بين الصوت والكتابة التي تبرز من خلال حرف الضاد الذي جُعل رمزًا للعربية، ووقف على مجموعة دعاوى في هذا المجال، من بينها: القول بلغة الضاد وما يرتبط بها من قول بالفصاحة وتفرّد العربية بنطقها، وغير ذلك من الدعاوى التي حلّلها وفصّل القول في كلٍّ منها موضحًا مجال اللَّبس والاضطراب بين الصوت الشفهي من خلال استقصاء وصف مدوّنة العربية وتتبّع سمات النطق في اللهجات لعدد من الكلمات والأسماء، مؤكدًا أن الفرق المزعوم بين الضاد والظاء لا أساس له.

أما الباب الرابع، فذكر فيه الأصالة والاتصال في لهجات جزيرة العرب من خلال الحديث عن مجموعة من القضايا الصوتية التي حظيت بالدراسة والتحليل، مثل "الإمالة" في لهجة سدير، و"المركَّب الصوتي" في لهجة الوشم، و"قلب المركَّب الصوتي" في لهجة البادية، و"حذف ياء المتكلم" في لهجة القصيم، و"قلب الجيم" في لهجة حوطة بني تميم، ولهجة القطيف ولهجة تهامة.

ثم اختتم بالفصل الخامس والأخير الذي تناول فيه حكايات من نجد، ذكر منها مجموعة حكايات شعبية متداولة شفهيًا في منطقة نجد على اعتبار أنها أخذت سمات مكانية تظهر من خلال الوصف أو الأحداث، مع أن الجذر الحكائي لتلك القصص قد يكون مكررًا في مصادر وأماكن أخرى.

وقد استطاع المؤلف الدكتور أبو أوس، إبراهيم الشمسان عرض هذه الجدلية الفكرية واللغوية بين وسائل نقل اللغة معتمدًا على رصيد معرفي

بالثقافة العربية واطلاع واسع على كتب اللغة وإدراك واعٍ لمتغيرات العربية المعاصرة، فنقل للقارئ هذا التصوّر بلغةٍ واضحة ودقيقة. ولهذا دعمت اللجنة العلمية في المركز نشر هذا الكتاب لما فيه من فائدة في مجاله.

وبالله التوفيق...

إدارة المركز

مقدمة

ينتظم هذا الكتاب بعدان أحدهما : المحفوظ، والآخر : الملفوظ. أما المحفوظ فهو ما ثقفناه من تراث أجدادنا ؛ فاستكنَّ في ضمائرنا ، وصدرت عنه أفكارنا وهو ما اشتملت عليه خزائن المكتبة العربية التي ما تزال مصدرًا مرجعيًّا نقتات على منجزات مبدعيها ونقوّم بمعاييره نتاجَنا. وأما الملفوظ فهو ما نمارسه في نشاطنا الشفاهي وهو امتداد لذلك المحفوظ واتصال لأشكاله المختلفة ، ولكنه آلة التعبير الحاضرة وصورة الاستعمال الشاهدة.

وإن كان المحفوظ يلقي بظلاله على حياتنا الثقافية اليوم بصفته مصدرًا لها ومنبعًا تنبجس عنه فإنَّ الملفوظ هو الصورة الشاهدة لذلك المحفوظ ، وإذا بعض عناصر المحفوظ قد نالها مع الزمن التغير الذي يكشف عنه الملفوظ ، وإذا بعض تلك العناصر متصلة يشهد باتصالها تحققها في الملفوظ أيضًا.

وإن كان المحفوظ يلقي بظلاله على الملفوظ فإنا نجد من يَرجعون البصر ملقين بظلال الملفوظ على المحفوظ فيعيدون تفسيره ويغيرون تأويله بما جدّ من تغير ثقافاتهم ، وما طرأ في أفكارهم ، وما انداحت إليه دوائر معارفهم. وربما احتدم الجدل في صلاحية نص من النصوص لكل زمان ومكان ، ونوقشت مسألة سلطة النص. وما الحديث عن تداول معاني الشعر الذي عبر عن بعضه قديمًا بالسرقات وحديثًا باستلهام التراث أو ظهر بشكل معارضات إلا مظهر لهذه الجدلية بين المحفوظ والملفوظ ؛ وقد يقال : إن منا قدماء يعيشون في العصر الراهن ، أو معاصرين يعيشون في العصر القديم.

ولكن الأمر الذي لا مرية فيه أن بين القديم والجديد جدلية مستمرة، وبين المحفوظ والملفوظ جدلية قائمة.

وأول موضوعات الكتاب قضية مهمة تتناول كيفية استعمالنا للغة سواء أكانت اللغة المحفوظة أم الملفوظة بمستوياتها المختلفة من فصيحة أو لهجية، بل إن هذا ليتعدى العربية إلى غيرها من اللغات، ولكن همنا استعمال العربية. والناس في الغالب الأعم حين يستعملون اللغة إنما يستعملونها استعمالاً وظيفيًّا؛ فتؤدي أصواتها وكلماتها وتراكيبها أغراضهم تأدية وظيفية؛ إذ هم في استعمالهم اللغة بتلك الكيفية يستعملونها كالآلة المؤدِّية لغرضِها المنجزة لعملها، أما مستعملها فإن أتقن وظيفتها فقد يخفى عليه كنهها، ولا يدرك أسرارها، ولا يصل إلى جذورها، وهو - وإن كان ماهرًا في استعمال اللغة من الناحية الوظيفية - غير قادر على تحليل تراكيبها ومعرفة الأصول التي انحدرت منها، وهو في أثناء استعماله اللغة لا يفكر في التحليل ولا تخطر له الأصول على بال، ويستوي في ذلك المستعمل العادي للغة وعالِمُها المحلل لعناصرها، فهما في أثناء الاستعمال التلقائي للغة يستعملانها استعمالا وظيفيًّا.

ومن أوضح مظاهر جدلية المحفوظ والملفوظ ما نجده في أشكال كتابة أسماء الناس؛ إذ نجد الاسم له غير شكل من الأشكال في الرسم، وهذا التنوع مرده إلى أن المحفوظ والملفوظ يتعاوران التسمية؛ فقد يرسم الاسم حسب مقتضيات المحفوظ من قواعد الرسم، وقد يرسم حسب مقتضيات الملفوظ المسموع من جرس الاسم وصوته.

ومن أبرز أمثلة جدلية المحفوظ والملفوظ صوت (الضاد) الذي جعل رمزًا للعربية لما زعم من تميُّز نطقه أو صعوبة التلفظ به، ولكنه على الرغم من أن تاريخه المحفوظ يذهب إلى تميزه عن (الظاء) إلا أن الملفوظ كما وصف في مدونة العربية وكما هو متحقق على الألسنة في بعض لهجات العرب يظهره شكلاً من أشكال الظاء ولم يكن له أن يستقل بحرف، ولكن المحفوظ من رسمه يجبرنا على متابعة رسمه، وإن وافق في استعمالنا أصله المنزوع منه، ولعل تغيره في لهجات أخرى تغيرًا ميزه عن أصله تمييزًا ظاهرًا من دواعي المحافظة على ذلك الرسم.

وختمت هذا الكتاب بحكايات من نجد، وهي حكايات شفاهية المصدر ولكنها من محفوظ الناس اليوم، توارثوا مضمونه، وهو عند التأمل منحدر بعضه بشكل أو بآخر من أصول محفوظة في تراث العربية أو غيرها، وهي أصول قديمة، وقد نال هذا الملفوظ شيء من التغيُّر اليسير الذي يلائم البيئة التي اتَّصل نصُّه فيها. وأما الموضوع الثاني فهو: درس لظواهر لغوية شفاهية مستعملة في لهجات الجزيرة اليوم، ولكنها في حقيقة أمرها شواهد على اتصال تلك الظواهر منذ القدم، فهي ظواهِرُ عربية قديمة تشهد لِقدَمِها مدوَّنات التراث اللغوية.

ولعل في هذه الموضوعات الخمسة التي أودعتها في هذا الكتاب ما يكشف عن شيء من جدلية مستمرة بين المحفوظ والملفوظ.

حرر في ٣٠ ربيع الأول ١٤٣٠هـ

كتبه

أبو أوس إبراهيم الشمسان

الاستعمال الوظيفي للّغة

اللغة فيها الحقيقة والمجاز. ويضاف إلى ذلك استعمال طائفة من الألفاظ، والتراكيب استعمالا وظيفيًّا. وهو استعمالها بشكل مباشر دون التفات إلى أصولها اللغوية، أو علاقاتها الاشتقاقية، أو تغيراتها الصوتية. فدلالتها عند المستعمل هي ما تؤديه من وظيفة مباشرة. ويظهر هذا الاستعمال في مستويات اللغة المختلفة من صوتية وصرفية وتركيبية. ونصادفه في المستوى الفصيح، والمستوى اللهجي، متمثلاً في الكنايات والأمثال. ولهذا الاستعمال اللغوي على هذا النحو أهمية من حيث هو مفسر لبعض الظواهر اللغوية مثل: (الترادف)، و(المشترك اللفظي). وله أهمية من حيث صلته بالتغير اللغوي، وتوليد الألفاظ، وانتقال دلالاتها. وله أيضًا صلة باللغة الانفعاليَّة. ثمَّ إنَّ له أهمية تتعلق بالجانب التطبيقي من اللغة، وهو تعليم اللغة من جهة، والترجمة من جهة أخرى.

الألفاظ ومستويات المعنى:

انطلقت قسمة الكلام عند النحويين منذ سيبويه من التأسيس على المعنى، يشي بذلك قول سيبويه عن الحرف: "وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"[1]. ومعنى (حرف) عنده: كلمة[2]، فالحرف إذن: كلمة جاءت لمعنى

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١: ١٢.

(٢) يذكر البطليوسي أن سيبويه سمى الأفعال المتصرفة والأسماء المتمكنة أيضًا حروفًا، وأجاب عن ذلك بـ"أنه لا يمتنع أن تسمى الأقسام الثلاثة التي يدور عليها الكلام حروفًا. وإنما جاز ذلك لأنها لمّا كانت محيطة بالكلام، صارت كحدود الشيء الحاصرة له، المحيطة به. والشيء إنما يتحدد بأطرافه ونواحيه التي هي له. فجاز أن تسمى الكلم الثلاث حروفًا لهذا المعنى". البطليوسي، **الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب**، ٢: ١٢٧.

ليس باسم ولا فعل[1]. وتلقف النحويون هذه الكلمة (حرف) وجعلوها مصطلحًا لتقسيم الاسم والفعل، وجعلوا لها مدلولاً مغايرًا لما جاء عند سيبويه، فهو قد قال: إن القسم الثالث حرف (=كلمة) له معنى مغاير لمعنى الاسم والفعل، أما النحويون، بعد ذلك، فقالوا: إن الحرف هو الذي ليس له معنى في نفسه، ولكن له معنى في غيره[2]. ومفاد هذا أن الحرف ليس له معنى معجمي ولكنه يكتسب معناه من السياق الذي يوضع فيه، أي أن له دلالة وظيفية في السياق. وهي دلالة مرهونة بوجوده في السياق. فحروف الجر على سبيل المثال لا تفيد دلالة معجمية؛ ولكنها ذات قيمة وظيفية في الجملة[3]؛ إذ هي تستعمل استعمالا وظيفيًّا.

ويباين هذا الاستعمال الوظيفي للحروف استعمال الأسماء والأفعال، فتلك حينما تستعمل في الجملة إنما تجتلب معنى معجميًّا يفهم منها وهي خارج السياق. وعلاقة اللفظ بمعناه قد تكون علاقة اعتباطية لا مفسر لها[4]. وقد تكون علاقة اشتقاقية في تلك الألفاظ التي تولدت وأخذت من غيرها. هذه الدلالة المعجمية هي دلالة الألفاظ دلالة حقيقية على معانيها.

---

(١) الشمسان، **الجملة الشرطية عند النحاة العرب**، ص٥٧.

(٢) السيوطي، **همع الهوامع**، ١ :٧.

(٣) الشمسان، **حروف الجر**، ص٥.

(٤) أشار إلى ذلك ابن سيده في **المخصص**، ١: ٣. وانظر بحثًا مفصلاً للقضية عند المسدى، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، ص ١٠٧-١١٧. وقد جاء مذهب بعض علماء العربية إلى ذلك.

وهناك مستوى آخر من دلالة هذه الألفاظ (غير الحروف). وهو المستوى المجازي[1]، فاللفظ قد ينقل من دلالته الحقيقية إلى دلالة أخرى، ولعله من أجل هذا النقل سمي مجازًا[2]. ولا ينقل اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بشرطين: وجود مناسبة بينهما[3] وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

وما يهمنا من المجاز في هذا المجال هو: (المجاز المرسل)، "وهو ما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة؛ لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها، ويشترط أن يكون في

---

(١) بحث البلاغيون كيفية الحكم على كون اللفظ حقيقة أو مجازًا، فذكروا أمورًا من أهمها أن اللفظ إن استعمل في معنيين يرد أحدهما عند الإطلاق، فذلك (الحقيقة)، ويرد الآخر بقرينة فذلك (المجاز). انظر: العلوي، **الطراز**، ١: ٩٠-٩٧.

(٢) على أن لفظ المجاز مر بمراحل من الدلالات انتقالاً من المعنى المعجمي إلى المعنى الاصطلاحي، فالمجاز عند أبي عبيدة في كتابه (**مجاز القرآن**) ذو دلالة عامة فهو كشف لمعاني الألفاظ في مواضعها من النص القرآني، حيث ترد (مجاز) وورود ألفاظ مثل: تفسيره، بيانه،فهو يقول: مجازه كذا أو بيانه أو تفسيره، فالمجاز إذن هو طريق القرآن في التعبير عن المعنى. انظر: عبد الجليل، **المجاز وأثره في الدرس اللغوي**، ص ٤٥-٤٧. أما ابن فارس فيذكر أن المجاز هو ما جاز مجاز الحقيقة أي ما جرى مجراها وعنى معناها (ابن فارس، **الصاحبي**، ص ١٩٧-١٩٨). وعند ابن الأثير "المجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره" (ابن الأثير، **المثل السائر**، ١: ١٠٧).

(٣) اختلف التعبير عن هذه الحقيقة والمجاز فقرر ابن جني أنه "لا يُفْضَى إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبهة" (ابن جني ، **الخصائص**، ٢: ٤٤٢). وعبر عنها عبد القاهر بقوله: "لملاحظة بين الثاني والأول" (الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص ٣٢٥). أو هي: "العلاقة بين الأول والثاني" (العلوي، **الطراز**، ١: ٦٤). أو "لمناسبة بينهما" (الأسنوي، **الكوكب الدري**، ص٤٣٢). وهي اختلافات غير جوهرية.

الكلام إشارة إلى المولي لها، فلا يقال: اتسعت اليد في البلد، أو اقتنيت يدًا. كما يقال: اتسعت النعمة في البلد، أو: اقتنيت نعمة، وإنما يقال: جلّت يده عندي، وكثرت أياديه لديَّ ونحو ذلك"[١].

إذن فقد خرجت (اليد) من دلالتها المعجمية الأصلية (الحقيقة) إلى دلالة مجازية تستحضر العلاقة بين الدلالتين، وهي كون اليد الجارحة سببها في اليد النعمة، فحل السبب محل المسبب، وإذا تخلفت هذه العلاقة فإن معنى ذلك أن اللفظ فقد مجازيته أو أن اللفظ استُخدِم في معناه الحقيقي، ولا يمنع هذا أن يأتي اللفظ بمعناه الحقيقي في تركيب مجازي على سبيل الاستعارة، وذلكم التشبيه، قال صاحب الإيضاح: "وأما اليد في قول النبي ρ: (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم) فهو استعارة، والمعنى أن مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضًا، وأن تختلف بها الجهة في التصرف، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم"[٢]. ونحن هنا نميز بين نوعين من المجاز: الأول الحادث في اللفظ المفرد وهو المجاز المرسل، والثاني الحادث في التركيب، نتيجة لخلق تلازمات جديدة غير مألوفة بين ألفاظ لم يعهد تلازمها من قبل أو أنَّ في تلازمها غرابة وفرادة. واللفظ في هذا النوع حقيقي لكن علاقته بضمائمه مجازية. ويعدد البلاغيون أوجه العلاقة بين المجاز

(١) القزويني، **الإيضاح**، ١: ٢٧٠.

(٢) القزويني، **الإيضاح**، ١: ٢٧١.

والحقيقة[١]. ولكنهم يختلفون في عدد هذه الوجوه[٢].

نخلص الآن إلى أن هناك ثلاثة أنواع من الاستعمال للألفاظ:

١- الاستعمال المعجمي الذي يستحضر المعنى المعجمي أي: الدلالة الحقيقية.

٢- الاستعمال المجازي الذي يستحضر المعنى المجازي الذي هو فرع على الأول مقرونًا بالمناسبة بينهما.

٣- الاستعمال الوظيفي، وهو استعمال القسم الثالث من أقسام الكلام وهي الحروف. فالحروف لا يقال عنها إنها ذات دلالة حقيقية أو مجازية "فلا مدخل للمجاز فيها، لأن وضعها على أنها تدل على معان في غيرها فلا بد من اعتبار الغير في دلالتها"[٣].

ميدان الاستعمال الوظيفي

والسؤال الآن: أيختص الاستعمال الوظيفي بالحروف، أم يشاركها غيرها؟ والحق أن ذلك ليس خاصًا بالحروف وحدها؛ بل هو عام لكل لفظ أو تركيب يستخدمه متكلم اللغة دون وعي بالنظام الداخلي له، أو استعمال اللفظ بعيدًا عن أصل معناه المعجمي دون قرينة تشير إلى ذلك الأصل.

---

(١) من وجوه التجوز: باسم الجزء عن الكل، وباسم الكل عن الجزء، وباسم السبب عن المسبب. وباسم المسبب عن السبب، وباسم ما كان عليه الشيء، وباسم ما يؤول إليه الشيء (القزويني، **الإيضاح**، ١: ٢٧٢-٢٧٥). وتسمية الحالّ باسم محله، وتسمية المحل باسم حالّه، وتسمية الشيء باسم آلته، وتسميته بدواعيه، وباسم جهته، واسم حامله، واسم محموله، ومجاوره (الطيبي، **التبيان في البيان**، ص ١٨٢-١٨٣).

(٢) حمودة، **دراسة المعنى عند الأصوليين**، ص ١٠٩.

(٣) العلوي، **الطراز**، ١: ٨٨.

ويدخل في هذا المجازات التي فقدت دلالتها المجازية نتيجة لكثرة الاستعمال[1]، فكثرة استعمال المجاز توهم أن اللفظ حقيقي الدلالة، مثال ذلك كلمة (الجامع)، فهي صفة يمكن أن توصف بها أشياء كثيرة، وقد وصف بها المسجد أو نوع من أنواعه، ثم صارت الصفة تستعمل للدلالة على المسجد على نحو مجازيٍّ، ومع كثرة الاستعمال نسي أنها صفة ولم يعد يفهم منها سوى (مسجد)، وصارت تعامل معاملة الاسم فتوصف هي أيضًا، فنقول: (الجامع الأموي)، وتضاف فنقول: (جامع ابن طولون).

وما نريد التنبيه إليه هو أن الذي أفقد اللفظ دلالته المجازية هو الاستعمال الوظيفي له، وهو ما جعل كلمة(الجامع) تؤدي وظيفة بعيدة بعض البعد عن معناها المعجمي[2] - وهو(الجمع) - فتدل على البناء أو البيت الذي جعل للعبادة.

ويدخل في هذا أيضًا ما يسمى عند البلاغيين بالحقيقة الشرعية والحقيقة العرفية[3]، ويدخل فيها كل مصطلحات العلوم، فهي عند

---

(١) وقد عقد ابن جني في (**الخصائص** ٢: ٤٤٧) بابا سماه (باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة). وذكر عبد الحكيم راضي أن هذه النظرة ترددت عند من جاء بعده مثل صاحب (**الجامع الكبير**). والزمخشري في (**الكشّاف**) وعند الرازي في (**المحصول**)، انظر: راضي، (**نظرية اللغة في النقد العربي**)، ص ١٢١.

(٢) معنى "المسجد الجامع: الذي يجمع أهله، نعت له لأنه علامة الاجتماع، وقد يضاف، وأنكره بعضهم، وإن شئت قلت مسجد الجامع بالإضافة كقولك الحق اليقين، بمعنى مسجد اليوم الجامع وحق الشيء اليقين لأن إضافة الشيء إلى نفسه لا تجوز إلا على هذا التقدير" (ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (جمع).

(٣) الحقيقة العرفية هي المصطلح العلمي الذي يتواضع عليه العلماء سواء أكان منقولاً أم موضوعًا مرتجلاً. أما الحقيقة الشرعية فهي مصطلحات فقهية، وألفاظ دينية منقولة من اللغة لتدل على مفاهيم دينية. (العلوي، **الطراز**، ١: ٥٤،٥٥).

استعمالها لا تستحضر دلالالتها المعجمية التي أخذت عنها ؛ لأنها صارت تنهض بوظيفة جديدة ، وهي أداء المفهوم الذي اُصْطُلِحَ عليه ، ولأن المستعمل إنما يهمه من الألفاظ ما تؤديه من وظائف فإنه ينسى العلاقة بين المصطلح وأصله الذي أخذ منه ، وقد يعمد المعلمون إلى تذكير الطلاب حين يشرحون معنى اللفظ في اللغة ثم في الاصطلاح.

ويشبه هذا الاستعمال للغة استعمال الأجهزة الكهربائية وما يشبهها من أجهزة أخرى. وذلك أن ما نعرفه عن هذه الأجهزة هو الوظيفة التي تؤديها هذه الأجهزة ، فكذلك الذي يستخدم اللغة وهو غير واعٍ بنظامها الداخلي فاستعماله وظيفي لأنه يتعامل معها كتعامله مع الأجهزة ذات الوظائف.

وقبل المضي في درس جوانب هذه الظاهرة يجب التنبيه إلى أنه ليس المقصود بالوظيفية ما للألفاظ من وظائف نحوية في الجملة مثل الفاعلية أو المفعولية أو غيرها. ولا نعني بالاستعمال الوظيفي ما يطلق عليه في علم الدلالة عند الغرب (نظرية السياق) أو (نظرية الاستعمال)[1]- وإن كان

---

(١) ومفهوم هذه النظرية هو أن معنى اللفظ يتحدد بكيفية استخدامنا إياه؛ ولذلك يقال مثل هذه الأقوال التي تصدر عن مفهوم النظرية: "لا تبحث عن المعنى، ابحث عن الاستخدام"، "إن شرح معنى الكلمة يكون بإظهار كيفية استخدامها"، "فأنت تفهم معنى الكلمة لأنك تعرف كل استخدامها". انظر: إسلام، **مفهوم المعنى**، ص ٦٥-٧٠. ومعنى الكلمة يختلف من سياق إلى آخر حيث يتأثر معناها بما ترد معه في سياق واحد، مثال ذلك كلمة (طيب) فقد نقول: رجل طيب، يوم طيب، طعام طيب، فالكلمة تعني شيئًا مختلفًا كل مرة. انظر أمثلة أخرى: السياق العاطفي، والسياق الموقفي، والسياق الثقافي. انظر في تفصيل ذلك: (عمر، **علم الدلالة**، ص ٧٠). أما المعنى الوظيفي الذي نعنيه فليس هذا=

يلتقي معها بعض الالتقاء- وإنما نعني به استعمال الأدوات التي لا يكون لها مدلول خارج السياق أو الجملة، وكذلك استعمال تلك الألفاظ أو التراكيب بعيدًا عن معناها المعجمي، أو المجازي، أو ما لابس تركيبها الأساسي من ملابسات تبيّن علة الاستعمال الأول.

والخلاف بين الاستعمال الوظيفي و(نظرية السياق أو الاستعمال) هو أن النظرية تحاول تفسير الألفاظ اعتمادًا على السياق الذي ترد فيه، حيث يتعدد المعنى بتعدُّد السياقات، ذلك التعدد الذي يفرض ضمائم جديدة تضم مع اللفظ، ولكن هذا التعدُّد في المعنى قد لا يبتعد باللفظ عن معناه المعجمي؛ ولكنه قد يعطيه خصوصية من بعد تعميم وقد يدخل في هذا، المعاني المجازية، أما ما نذهب إليه فقد أوضحناه سابقًا فهو ليس المعنى المعجمي، وهو ليس المعنى المجازي الذي يفترض العلاقة بين المجاز والحقيقة؛ ولكنه معنى سياقيٌّ تكون فيه الدلالة هي وظيفة الدالِّ.

= المعنى السياقي المؤقت بل هو المعنى العملي الذي يفهم من ظاهر اللفظ أو التركيب بمعزل عن أصل اللفظ أو أصل التركيب ذلك الأصل الذي كان سببًا في استخدام اللفظ أو التركيب أول مرة ثم نسي أو غفل عنه بعد ذلك. كاستخدام لفظ (حنش) علما على رجل، فالمستخدم العادي في موقف عادي جاد لا يخطر بباله المعنى المستكره للاسم: لأنه يستخدم اللفظ استخدامًا وظيفيًّا، وهو استحضار صورة صاحب العلم إلى الذهن. ومن هنا فليس بغريب أن تفخر عائلة مثل (السكران) باسمها.

الاستعمال الوظيفي في المستويات اللغوية:

يمكن تلمس هذا الاستعمال في مستويات لغوية مختلفة، على مستوى الصوت، والكلمة، والتركيب.

أولا: مستوى الصوت:

هنالك ما يسمى الوحدة الصوتية (الفونيم)؛ أي الصوت من حيث قيمته الدلاليَّة، وهي كونه مشاركًا في بناء اللفظ ومعناه. فعلى الرغم من أنَّنا نسمع صورًا صوتية مختلفة فإنَّنا نفهم مدلولاً واحدًا، وهذه الصور راجعة إلى التنوُّع اللهجي، أو إلى طرق الأداء الشخصية التي قد تكون راجعة إلى أسباب أحيائية، أو مرضية طارئة أو دائمة[١].مثال ذلك صور القاف في اللهجات العربية، فنجد صورة (القاف الفصيحة) في كلمة مثل: قال، وهي صوت لهوي مهموس. وتسمع في لهجة اليمن اليوم، وصورتها في: قال (گـال)، وهي صوت طبقي مجهور مرقَّق، وتسمع في الحجاز، وأما في نجد فهي مفخمة (گـال)، وأما في القاهرة[٢]، وبلاد الشام، ولبنان والأردن فتسمع همزة: آل، أي صوت حنجري. وهي في بعض اللهجات الفلسطينية: كال، وهي صوت طبقي[٣] أيضًا غير أنه مهموس بخلاف الصورتين في نجد والحجاز فهما مجهوران. وهي في السودان والخليج العربي

---

(١) هناك دراسات تناولت ما يسمى عيوب الكلام على اختلاف أنواعها من مرضية وغير مرضية، من ذلك: عيوب الكلام: **دراسة لما يعاب من الكلام عند اللغويين العرب**، وسمية عبد المحسن المنصور، جامعة الكويت، ١٩٨٦م.

(٢) خارج القاهرة والمدن الكبرى أي في الصعيد والفلاحين تسمع القاف الحجازية، طبقية مرققة.

(٣) يوجد مثال واحد لهذه الصورة في لهجة القصيم (نجد) وهو: قتل **ß** كتل.

قد تنطق طبقية مجهورة احتكاكية في بعض الكلمات: يقولون في السودان: بغر(بقر)، وفي الخليج يقولون: غاضي(قاضي)، أما (قال) فقافها في الخليج طبقية مفخّمة كالنجدية. ومن صور نطق القاف نطقها غارية كما في الكويت في كلمات[1] نحو: جريب (قريب)، جاسم (قاسم)[2]، وهناك صورة أخرى للقاف تسمع في نجد، وهي غارية لثوية (صوت مركب من الدال والزاي[3]) في مثال الكلمات: قمين[d^zimiin]، قبلة [d^ziblih]، ثقيل[thid^ziil]، بريق (إبريق) [brid^z]، ريق[riid^z]، سبيق[sibiid^z]، لابق[laabid^z]، لاحق[laahid^z] (ولكنها طبقية في يلحق [yalhaq]، ماحق Maahid^z، ولعل لمجاورة الكسرة أثرًا في جعل القاف متقدمة تقدمًا جعلها تكتسب صفات من الدال والزاي.

ونضرب مثالاً من تنوع الحركات فتكون الفتحة رقيقة في مثل الكلمة: يَلعب، مطبقة في مثل يَطلب، وهي خيشومية في مثل: يَنهر.

وكل هذه الاختلافات لا يؤبه بها؛ لأنها على تعددها تستعمل استعمالا وظيفيًّا واحدًا. فليس هناك تعدد في مقابل التعدد الصوتي.

ثانيا: مستوى الكلمة:

هناك طائفة من الكلمات أشبهت الحروف في أنها تستعمل استعمالا

---

(١) يوجد مثال واحد لهذه الصورة في لهجة القصيم (نجد) وهو: يقسم **ß** يجسم؛ ولكن يقال: مقسوم أي مقدر.

(٢) يفرق الكويتيون بين الاسم القديم (قاسم) فينطقونه بالجيم:جاسم، والاسم المسموع في خارج الكويت (قاسم) فينطقونه بالغين: غاسم.

(٣) يذهب رمضان عبد التواب إلى أن هذا الصوت مكون من: الدال والزاي (dz) **التطور اللغوي وقوانينه**، ص١١١.

وظيفيًّا. من ذلك (الضمائر) فهي ليست ذات دلالة معجمية فليس لها دلالة خارج الجملة، ووظيفتها التعبير عن الاسم الظاهر المعهود عهدًا ذكريًّا أو حضوريًّا، ومنها (أسماء الإشارة)، و(الأسماء الموصولة)، و(أسماء الشرط)، و(أسماء الاستفهام)، فكل هذه الكلمات ليس لها معنى خارج السياق بل لها دلالة وظيفية. فاستعمالها؛ إنما هو استعمال وظيفي. ومن الملاحظ أن هذه الكلمات أشبهت الحروف في غير الاستعمال الوظيفي وذلك في قلة حروفها. وقد فسر النحويون بهذه الألوان من الشبه كون هذه الكلمات مبنية[1].

ويأتي في هذا الإطار أيضًا الأفعال الناسخة فهي قد غادرت دلالاتها المعجمية حين استخدمت استعمالا وظيفيًّا، فلا نجد في: أصبح، وأمسى، وغيرهما المعنى المعجمي من إصباح أو إمساء، ولكن معنى وظيفيًّا؛ كالدلالة على التحول أو الاستمرار أو غيرهما من الدلالات التي تتخلف خارج السياق، ومن أجل ذلك جمدت بعضها جمود الحروف، وغاب الأصل المعجمي لبعضها مثل (عسى)، وخالفت الأفعال بعض المخالفة في مجيئها دون فاعل(ناقصة)، أو أنه لا يقتصر على أحد مفعوليها (ظن وأخواتها)[2].

وعلى مستوى الكلمة يمكن أن نشير هنا إلى قضية (الترادف). مثال: السيف، الحسام، الصارم، البتّار، المصلت، الهندواني، المشرفي، عضب. وقد اختلف القدماء في هذه الظاهرة فمنهم مثبت ومنهم دافع لها، قال ابن

---

(١) ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ١: ٢٦-٢٨.

(٢) الشمسان، **قضايا التعدي واللزوم في الدرس النحوي**، ص١٠٧.

درستويه: «فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما يظن كثير من النحويين واللغويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم عن طبائعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعاريفها. ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق، فظنوا أنها بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم، فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب، فقد أخطأوا عليهم في تأولهم مالا يجوز في الحكمة»[١].

ومن أهم أسباب (الترادف[٢])، أن تتعدد صفات الشيء بتعدد الاعتبارات، ويبين(حاكم مالك لعيبي) بعد أن أورد الاعتبارات التي وصف بها السيف أن اختلاف هذه الألفاظ عن (السيف) في أنها تدل عليه لخاصية معينة فيه، على حين تدل كلمة (سيف) على المسمى مجردة من هذه الاعتبارات، ولابد أن البدوي كان يراعي هذه الفروق ويلحظ تلك الاعتبارات في استعماله لهذه الألفاظ وإطلاقها على السيف في الأصل، غير أن مرور الزمن وكثرة تداول هذه الصفات وشيوعها في الاستعمال جعلها تغلب غلبة الأسماء، بل طغى بعضها في الاستعمال على الاسم الحقيقي المجرد (السيف)، فهذه الألفاظ الغالبة المشهورة في السيف قد كانت صفات له لا ريب لكنه قد أغفل فيها معنى الوصف بقدر دلالتها العامة على السيف. فقد جعلت أسماء للسيف دون إشعار بالوصفية، وإن كان البدوي

(١) ابن درستويه، **تصحيح الفصيح**، ١: ١٦٥-١٦٦.

(٢) من أسباب الترادف: المجاز، اللهجات، المعرب، والدخيل. وانظر في تفصيل ذلك: حاكم مالك لعيبي، **الترادف في اللغة**، ص ٧٥-١٩١.

في العصور المتقدمة يحس الفروق بين دلالات هذه الألفاظ فإن العربي في العصر العباسي لم يعد يعنيه منها سوى دلالتها العامة على (السيف) مجردة من تلك الاعتبارات. ويشهد لذلك استعمال هذه الألفاظ في دواوين الشعر العربي المتأخرة، كديوان المتنبي وأبي فراس(١).

ومن أمثلة هذه الظاهرة في اللهجات المحلية ترك الألفاظ لدلالاتها الخاصة من أجل دلالة عامة مثل الأفعال، (زيّن، صلّح قهوة، سوّى قهوة). ولا فرق بين هذه الأفعال، لأنها كلها استخدمت استعمالا وظيفيًّا واحدًا لا يلتفت فيه إلى المعنى المعجمي الأساسي.

ونظير هذه الظاهرة ظاهرة تقابلها وهي (المشترك) اللفظي حيث يكون التعدد في المعنى في مقابل اللفظ الواحد بخلاف (الترادف) الذي هو تعدد في اللفظ في مقابل المعنى الواحد.

عرض إبراهيم أنيس لقضية (المشترك اللفظي) وبيّن جهة اختلاف القدماء في النظر إليها، ثم لخّص أسباب تغير المعنى الذي من شأنه أن ينتج عنه (المشترك اللفظي)، فذكر أن اللفظ ينتقل من الحقيقة إلى المجاز، ثم يكثر استعماله، وتنسى الناحية المجازية فيه، فتصير حقيقة. ومن الأسباب سوء فهم المعنى على نحو ما يحدث عند الأطفال. والدخيل الذي قد يوافق مادة

---

(١) قال الباحث إنه أجرى إحصاء لألفاظ السيف في الديوانين، وقد أورد نتائج إحصاءاته. لعيبي **الترادف في اللغة**، ص ١٣٠-١٣٤، ويشهد لغياب الفرق بين هذه الصفات عند العربي ظهور الحاجة إلى تفسيرها وشرحها؛ فقد صنف أبو عبيد **كتاب السلاح**، وفسر تلك الألفاظ التي تستخدم بمعنى (سيف) نقلا عن الأصمعي. انظر: أبو عبيد، **كتاب السلاح**، ص ١٧.

عربية مصادفة[1]. وتغير معنى اللفظ من لهجة إلى أخرى. وتطور أصوات بعض الكلمات تطورًا يجعلها مطابقة في أصواتها لكلمة أخرى تختلف في معناها عنها[2].

وما يهمنا هنا هو أن المستعمل للغة لا يعي أن هذه الألفاظ اشتركت لتلك الأسباب المذكورة، لأنه يستخدمها استعمالا وظيفيًّا لا يتعدى إلى تأمل الألفاظ وعلاقاتها. واستعماله الوظيفي هو الذي جعل الدلالة المجازية تتخلف.

ومن قبيل الاستعمال الوظيفي استعمالنا للأعلام فهي في الغالب ألفاظ نقلت من أصولها وجعلت ذات محتوى جديد وهو التعبير عن الأفراد، فعند استعمالنا للأعلام لا نلتفت إلى صفة الحمد في (محمد) أو معنى الفضل في (فضل)، وننسى أن (يزيد، ويعيش) فعلان في الأصل، لأننا نستخدم تلك الأعلام استعمالا وظيفيًّا هو أن نستحضر إلى الذهن فردًا معهودًا، ثم إنه قد يغيب عن الذهن أصل التسمية، حتى قيل إن الأسماء لا تعلّل، والأسماء قد لا تعلّل علاقتها بأصلها إذ قد تكون علاقة اعتباطية كعلاقة الاسم -غير العلم- بالمسمى، ولكن ذلك لا يحول دون معرفة الأصل اللغوي الذي أخذ

---

(١) وقد يوهم وجود المادة في اللغة أن الدخيل أصيل، من ذلك ما وقع للشيخ أحمد رضا إذ قال في مادة (ش/ن/ص): "وقالوا الشنص للحظ والطالع السعد أو النحس. وأصل المادة في العربية التعلق واللزوم. وفي متن اللغة شنص يشنص شنوصًا: تعلق بالشيء. وشنص شنصًا به: سدك به ولزمه. وطالع الإنسان من السعود والنحوس ملازم له لا يفارقه ولا ينفك عنه" رضا، **قاموس رد العامي إلى الفصيح**، ص ٣١٥. والصواب أن هذا من الدخيل فهي في الإنجليزية (Chance).

(٢) أنيس، **في اللهجات العربية**، ص١٩٢-٢٠١.

عنه العلم. ومثال الأعلام التي نستخدمها دون تفكير في أصولها أو دون معرفة لأصولها كثير من أسماء العائلات مثل: (العثيمين)، (العثيم)، (العليوي)، (الشوشان)، (الصليع)، فإذا تأملنا هذه الأعلام وجدنا أن: (العثيمين) مؤلفة من (ال التعريف[1]) ومصغر لهجي لـ(عثمان)، ومثله (العثيم) فهو مصغر ترخيمي لـ(عثمان). أما (العليوي) فهو من ألفاظ التصغير اللهجية التي تطلق للتمليح أو التحقير عند نداء (علي)، أما (الشوشان) فهو لقب أطلق على جد العائلة وهو صغير فلعله كان ذا شوشة

(١) هناك من يذهب إلى أن (ال) هذه هي (آل) التي قد تسبق بعض أسماء الأسر مثل (آل سعود، آل ثاني، آل نهيّان) وهي تعني أهل أو أقارب. والأحرى بالصواب كونها معرفة، وتفسير ذلك أن الأصل في العلم أن يكون خاصًّا بفرد دون غيره ولكن ذلك غير متحقق عمليًّا، لما في ذلك من إرهاق لذاكرة الإنسان، ولأسباب أخرى ليس هنا مجال تفصيلها، من أجل ذلك قد ينصرف العلم إلى أكثر من شخص، فينتقض شرطه وهو العهدية الفردية، وحينئذ يلجأ إلى وصف العلم فيقال مثلا: (محمد بن عبد الله) وتتعدد النعوت حتى تزول شبهة الاشتراك وتتحقق الفرادة، وثمة طريق أخرى للتعريف وذلك بإدخال (ال) المعرفة على اسم الأب لتحقيق العهدية لاسم الأب ومن ثم الفرادة لاسم الابن، مثل: (محمد العبد الله)، وقد يرد على ذلك أن (ال) تدخل على العلم والعلم معرفة لا تدخل عليه (ال) المعرّفة وجواب ذلك أن العلم يفقد تعريفه إذا فقد فرادته أو عهديته فينقل إلى الوصفية فقولنا: (محمد العبد الله) يعني (محمد المضاف إلى العائلة المسماة بعبد الله) هذا في مقابل إضافته إلى آخرين نحو: محمد الصالح، محمد البدر. كأننا نقول: محمدنا، محمدهم. وإضافة الاسم إلى الضمير شائع الاستخدام في اللهجات المحلية مما يؤيد ما نذهب إليه من تفسير: فمعنى محمدنا: الشخص المسمّى محمد منا. فالعلم لا يضاف حتى يخرج إلى دائرة التنكير، وهو يخرج إلى هذه الدائرة عند تثنيته، وجمعه، ويحتاج لتعريفه إلى إدخال (ال) المعرفة، فيقال (المحمدان، المحمدون).

كبيرة، فنودي بـ(شوشان) أي: (ذي الشوشة) أو صاحب الشوشة، لأن الزائدة (ان) قد تعني (صاحب)، أما الشوشة فهي في لهجة القصيم (نجد) شعر الرأس الكثّ. أما (الصليع) فهو لقب له وهو صغير إذ لعله كان لا يلبس ما يستر رأسه فهو دائمًا حاسر الرأس أي (أصلع)، وهذا معنى اللفظ في لهجة القصيم، ويدل بناء الصفة على (فْعِيل أي: فُعَيل) على المبالغة، وإن كانت الصيغة في أصلها للتصغير غير أنه غير مراد هنا.

ثالثا: مستوى التركيب:

نجد في اللغة عددًا من التراكيب التي تستعمل استعمالا وظيفيًّا من ذلك: (لا بدَّ، لا محالة، لا جرم، لا شكَّ، لا مندوحة، لا سيّما، حبذا، كذلك). فهذه التراكيب لا تدل أجزاؤها على أجزاء المعنى بل تدل مجتمعة مركبة على معنى كلّيّ، ولو رحت تعوض عن هذه الأجزاء بمعانيها لفسد التركيب. ولست تستطيع أن تستبدل ببعض هذه الأجزاء مرادفًا له، وهناك ميل إلى عدِّها من حيث الرسم كلمة واحدة بحيث لا يفصل بين أجزائها ولا يقع أحد جزأيها في سطر والآخر في سطر.

إن المستعمل للغة حين يقول: (لابد أن أذهب) لا يريد أن يخبرنا بأنه لا فراق من ذهابه، لكنه يريد تأكيد ذهابه، ومعنى ذلك أن المركب (لابد) ما هو إلا أداة توكيد.

وقال ابن قتيبة عن (لا جرم): "قال الفراء هي بمنْزلة لابد، ولا محالة، ثم كثرت في الكلام حتى صارت بمنْزلة حقًّا"(١). وهذا هو معناها الوظيفي.

(١) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٥٥٠.

ولا يهتم المستعمل العادي لتفاصيل معنى المركب (لاسيّما) بل لعله لا يدركها فـ(سِيّ) بمعنى مثل[1] ، ولذلك حين وردت في قول امرئ القيس :

ألا رُبَّ يـــومٍ صـــالحٍ لـــكَ مِنهُمـــا ولا سِـــيَّما يومًـــا بـــدارةِ جُلجُـــلِ

فسرت بها ، جاء في الخزانة : "تقديره لا مثل الذي هو يوم ، أو لا مثل شيء هو يوم"[2].

وقد بلغ إحساسهم قوة تركب (حبّذا) وأنها تؤدي بتركيبها هذا معنى كليًّا ، درجة جعلتهم يذهبون إلى أنهما جزء واحد ، قال أبو علي : "زعموا أن الفعل في (حبّذا) مبني على الاسم وأنهما جميعًا بمَنْزلة شيء واحد"[3].

---

(١) أبو بكر الأنباري، **الزاهر**، ١: ٦٠٠، وفسر السيّان بالمثلين. وما تزال تستخدم في اللهجة المصرية، ولكن مع تغير بسيط في الصوت حيث جهرت السين: ســـي ß زي. جـــاء في **معجم الألفاظ العامية** لـــ عبد المنعم سيد عبد العال: "فلان زي فلان: شبيه بفلان: وهي لفظة فصحى تأتي أحيانًا بالسين وأحيانًا بالزاي والمعنى واحد، ففي **القـــاموس**: نقـــول: لاسي لمن فعل ذلك: أي لا شبيه، وليست المرأة لك بسي: أي مشابه، وسي كزي: مستو متشابه" (مادة زي). يسألون بقولهم (إزيّك اليوم؟)، بمعنى: أي زيّك اليـــوم؟ أي: كيـــف حالك اليوم؟ فيجيب: (زيّ مبارح)، أي: حالي مثل حالي أمـــس، أو (زي الحـــصان)، و(إزّي) في السؤال مختلفة بعض الاختلاف إذ هي من مادة مختلفة بعض الاختلاف إذ هي من مادة مختلفة وهي (ز و ا)، ومنها الزي أي: اللباس والهيئة ونقلت للدلالة على الحـــال، فأصبحت ذات دلالة وظيفية بعد إدغام (أي) معها وهي معنى (كيف حالك)، على نحو ما ورد في السؤال السابق.

(٢) البغدادي، **خزانة الأدب**، ٣: ٤٤٦-٤٤٧.

(٣) أبو علي الفارسي، **المسائل البغداديات**، ص ٢٠١. والفارسي ينكر هذا التركيب فبعد أن ناقش آراءهم قال "فكذلك (حبذا) لا يجب أن يكون مبنيا وإن لم يفصل بينهما"، السابق، ص ٢٠٤.

وقد اختلف النحويون في تحليل هذا التركيب اختلافًا كبيرًا، فمنهم من ذهب إلى أنه صار بالتركيب فعلاً. ومنهم من يعده اسمًا، ومنهم من يعربه مع تركبه فعلاً وفاعلاً[1]. ولا يهمّنا هنا الخلاف في إعراب التركيب بل الذي يهمّنا أن التركيب قد عومل معاملة تختلف عن أصوله التي يرتد إليها منذ أن صار له استعمال وظيفي غادر بسببه ذلك الأصل[2]، فحبذا صارت كأداة للمدح، لذلك جمدت على بناء واحد فلا تطابق الممدوح في عدده أو جنسه. ولشدة هذا التركيب توهم بعض الناس أنهما كلمة واحدة ترتد إلى أصل ثلاثي (ح ب ذ)، فأخذ منها الفعل الماضي والمضارع، (حبّذ، يحبّذ).

أما (كذلك) فهي مركبة من كاف التشبيه واسم الإشارة (ذلك)، ولكن الملاحظ أنها قد وردت في النصوص القديمة كالقرآن دون أن تردف بمشار إليه، حتى إن المفسرين يلجؤون إلى تقدير المشار إليه اعتمادًا على فهمهم لوظيفة اسم الإشارة العامة. والمتأمل لهذا التركيب يحس أنه صار ذا دلالة وظيفية تختلف عن دلالتي عنصريه. أما في العربية المعاصرة؛ فهو يستخدم بمعنى (أيضًا). مثال ذلك قولك: (وأنا كذلك لا أريد الذهاب)،

---

(١) شدّد ابن مالك على أن التركيب لم يذهب بفعلية (حبّ) فتكون مع (ذا) مبتدأ، ولم يذهب باسمية (ذا) فتكون مع (حبّ) فعلاً فاعله المخصوص بالمدح. ابن مالك، **تسهيل الفوائد**، ص ١٢٩. وانظر في مذاهب إعرابها ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ٢/١٢١-١٢٢.

(٢) يقول نهاد الموسى عن هذا التركيب بعد إشارته إلى خلاف النحويين: "ويبدو لنا، واضحًا، على اختلاف الرأي: أن حبّذا مركب من الفعل والاسم ما يزال واضحًا فيه عنصرا التركيب وأنه اتخذ دلالة مختلفة جديدة عن الدلالة الجزئية لكل من حبّ وذا. وهذا شأن التركيب في عرَضه وجوهره!" الموسى، **النحت في اللغة العربية**، ص١٢٤.

وهذا النص: "كذلك تؤيد دراسة أثر السن في تمييز الألوان فكرة البدء بتمييز اللون قبل إطلاق اسم عليه"(١). ويماثل هذا التركيب تركيب آخر هو (كما) فهو يعني في اللغة المعاصرة (أيضًا)، مثال ذلك هذا النص: "فسعيت إلى المخطوطات التي قد تسعف في الموضوع، كما سعيت ألتمس موادّ كانت أعدت للطبع وموادّ لم تطبع في (مجمع اللغة العربية)"(٢).

ومن التراكيب ذات الاستعمال الوظيفي في العربية المعاصرة التركيب (هكذا) فهو يستخدم في سياق الاستنتاج. مثال ذلك هذا النص: "لقد رأينا طاغور الأب يجعل للشعور القلبي نصيبًا كبيرًا في الإيمان، فلم تكن فلسفته عقلية خالصة، وهكذا نرى طاغور في إحساسه العميق بالطبيعة يكتسب منذ صباه إيمانًا شعريًّا يتغلغل في أعماقه، ويملأ قلبه بحب الحياة"(٣).

---

(١) عمر، **اللغة واللون**، ص ٢٠.

(٢) الموسى، **النحت في اللغة العربية**، ص ١٣.

(٣) عيّاد، **طاغور**، ص ١٧.

الاستعمال الوظيفي في الأمثال والكنايات:

لقد أحس علماؤنا الأوائل أن الناس قد يستخدمون ألفاظًا وتراكيب استعمالا وظيفيًّا ؛ ولذلك فهم لا يعرفون معنى ما يستخدمون فهذا أبو طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم يؤلف كتاب (الفاخر)، وهو يقول في مقدمته: "هذا كتاب معاني ما يجري على ألسن العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك، فبيناه من وجهه على اختلاف العلماء في تفسيره؛ ليكون من نظر في هذا الكتاب عالمًا بما يجري من لفظه ويدور في كلامه"[١].

وكثير من التراكيب التي فسرها المفضل ما تزال متداولة بيننا إلى اليوم، وسوف نذكر هنا بعضًا منها مع إيجاز في ذكر تفسيرها، ومن شاء التوسع فليعد إلى مواضعها من (الفاخر). من ذلك قولهم: (بالرفاء والبنين)، "يقال ذلك عند التزويج. والرفاء: الاتفاق والالتئام. وهو مأخوذ من رفأت الثوب أرفؤه إذا لأمت بينه وضممت بعضه إلى بعض"[٢]. وقولهم: (وقع في ورطة)، و"الورطة: الوحل والردغة يقع فيها الغنم، ولا تقدر على التخلص منها، يقال: تورطت الغنم إذا وقعت في الورطة، ثم ضرب مثلاً لكل شدة وقع فيها الإنسان"[٣]. وقولهم: (عيل صبره)، و"معناه غُلب، يقال: عاله الأمر أي غلبه"[٤]. وقولهم: (جاء بالعويص)، "أي بالكلام

---

(١) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ١.

(٢) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ١٣.

(٣) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ١٨.

(٤) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ١١١،٢١.

الذي لا يفهم. وأصله المتعقد من الشعر"[١]. وقولهم: (فلان نسيج وحده)، "أي ليس له مثل. كأنه ثوب نسج على حدته ليس معه غيره"[٢]. وقولهم: (أمر مبهم)، "قال الأصمعي: هو الذي لا يدري كيف يتجه له ولا أين سبيله؟ وهو مأخوذ من قولهم: حائط مبهم إذا لم يكن فيه باب ولا كوة"[٣]. وقولهم: (لله درك)، "قال الأصمعي وغيره: أصل ذلك أنه كان إذا حمد فعل الرجل وما يجيء منه، قيل: لله درك، أي: ما يجيء منك بمنْزلة درّ الناقة والشاة. ثم كثر في كلامهم حتى جعلوه لكل ما يتعجب منه"[٤]. وقولهم: (فلان جيد القريحة)، "أي الاستخراج. وهو مأخوذ من قولهم: قرحت بئرًا واقترحت إذا حفرت في موضع لا يوجد فيه الماء فأنبطت ماء"[٥]. وإلى هذا الأصل ترد اقترح الفكرة، وهو يقترح. وقولهم: (فلان باقعة)، و"أصل الباقعة: الطائر الحذر الذي يشرب من البقاع، وهي المواضع التي يستنقع فيها الماء، ولا يرد المشارع والمياه المحضورة فيصطاد. فضرب به المثل لكل حذر محتال"[٦]. وقولهم: (نغصت علي)، "قال الأصمعي: التنغيص: قطع الشيء قبل الفراغ منه"[٧]. وقولهم: (إنما هو همج)، "والهمج: ذباب

(١) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٢٧.

(٢) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٤٠.

(٣) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٥٠.

(٤) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٥٥.

(٥) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٢١٥.

(٦) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٢٩٠.

(٧) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٢٩٣.

صغير يقع على وجوه الغنم والحمير وأعينها، وهو واحد وجمع"[1]. وينسب إليه في اللغة المعاصرة فيقال همجيّ. وقولهم: (داريت فلانًا)، "أي خاتلته وخدعته. وأصل ذلك من قولهم دريت الصيد تدريه إذا ختلته حتى تصيده"[2]. ولست أعلم لم قال المخاتلة ولم يقل الملاينة وحسن معاملة الناس[3]. وإن من مداراة الناس وحسن معاملتهم أن (تتهلّل أساريرك) عند لقائهم. وتهلّل الأسارير هو ما يحدث عند البشاشة والابتسام من تقوس خطوط الجبهة حتى تكون كالأهلة.

لقد ورثنا استعمال هذه الكناية: (أخذت الشيء برمته)، لكن المستعمل اليوم لا يعرف، وربما لا يعنيه أن يعرف، أن معنى كلمة (رُمّة) حبل؛ لأن ذلك لا يخل في استعماله للتركيب. ولو سألت عن المعنى لقال أي: أخذت الشيء كله، وهذا هو المعنى الوظيفي، أما المعنى الأساسيّ فمختلف. قال الأنباري: "والرُّمَّة قطعة حبل يشد في رجل الجمل أو في عنقه. فيقال أخذت الجمل برمته، أي بالحبل المشدود به، ثم استعمل في غير هذا"[4].

ومثله: (أخذت الشيء بحذافيره)، فما هي الحذافير؟ وهل تستعمل

---

(١) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٣٠٨.

(٢) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ٣١٠.

(٣) مداراة الناس هي المداجاة والملاينة. الجوهري، **الصحاح**: ٦: ٢٣٣٥، مادة دري، ومداراة الناس ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة:دري. هذه هي المعاني الوظيفية للكلمة، أما المعنى الأصلي فهو ما أشار إليه المفضل، ولا يمكن القول إن العلاقة بين المعنيين علاقة ما بين الحقيقة والمجاز لأن الصلة بينهما منسية أو غير ملتفت إليها وقت الاستعمال، بخلاف المجاز الذي يستحضر حقيقته عند استعماله.

(٤) الأنباري، **الزاهر**، ص ١: ٤٦٦.

عندنا في غير هذا التركيب؟ المعنى الوظيفي واضح في المعاجم أما المعنى الأصلي فليس بذلك الوضوح، فالمعاني التي تقابل اللفظ هي: جوانب الشيء أو أعاليه[1]. ولا أعلم أنها ترد اليوم في غير هذا التركيب.

ويقولون في نجد: (الغشيم يدخلك الذرة). ومضى زمن كنت أتساءل عن صلة الذرة بالغشيم، ولماذا يدخل الإنسان فيها. أعرف وظيفة هذا التركيب ولكني لم أهتد إلى من يفسر لي علاقاتها الداخلية، فكل ما عرفته أنها تقال عند الحديث عن الرجل الذي يتصف بتلك الصفة، ففلان غشيم، ويردفون ذلك بقولهم: (والغشيم يدخلك الذرة). ثم سمعت كناية أخرى أنارت هذه، وهي قولهم: (دخل الذرة) كناية عن الخوف. فالذي يخاف يتوارى في الذرة يحتجب بسوقها. إذن فـ(الغشيم يدخلك الذرة) تعني أن الغشيم يجعلك تدخل الذرة، أي الغشيم يخيفك. أما لماذا يخيف؟ فلأنه أخرق أحمق لا تؤمن بوائقه، ولا تعلم متى يأتي ما يسوؤك، والعرب تقول: عدوّ عاقل خير من صديق جاهل. والجهل هنا الحمق والخرق.

ويقولون: (شاف النجوم في عز الظهر)، فما معنى رؤية الإنسان للنجوم في عز الظهر؟ كيف يصبح بصره حديدًا بسبب مشكلة تعتامه أو أمر يمضه؟ لعل المستعمل أول مرة أراد أن الدنيا أظلمت في عينيه حتى أمكنه؛ لذلك، أن يرى النجوم في عز الظهر، وهذا على سبيل المجاز الذي استعمل بعد ذلك حتى نسيت مناسبته فصار ذا دلالة وظيفية وهي الدلالة على الكرب. وهذا الاستعمال قديم في التراث العربي. قال المفضّل بن سلمة شارحًا قولهم: (لأرينك الكواكب بالنهار): "أي لألقينك في شدة يظلم

---

(١) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ١٠٦، ابن منظور، اللسان: مادة: حذفر.

عليك النهار لها حتى ترى الكواكب ؛ إنما هذا مثل في الشدّة. وقال طرفة بن العبد :

إن تنولـــــه فقـــــد تمنعــــــه   وتريـه الـنجم يجـري بـالظهر"[1]

وفي الكناية المصرية يقولون : (راح وأفاه يئَمَّر عيش)، أي : راح وقفاه يُجمِّر[2] عيشًا. وهو كناية عن الضرب الشديد بغض الطرف عن موقعه من جسد المضروب. أما المعنى فهو أنه ضُرب على قفاه ضربًا شديدًا احمرّ له قفاه احمرارًا يمكن معه ، لمن أراد ، أن يجمّر عليه العيش (= الخبز) ؛ فقفاه حار من الضرب محمر احمرارًا يشوي الخبز. وقد يستعمل للدلالة على خائب الأمل خيبة المضروب على قفاه.

من لوازم التعزية قولنا : (تغمّده الله برحمته). ومعناه الوظيفي رحمه الله ، أما في الأصل فإن الغمد هو غمد السيف ، فالدعاء هو أن يجعل الله رحمته للميت كالغمد للسيف محيطة به حافظة له مشتملة عليه. ولا يستبعد أن المستعمل لهذا التركيب أول مرة كان يذهب إلى أبعد من ذلك ، بتشبيه الميت بالسيف ، فقد يكون الميت المقصود حاكمًا أو بطلاً عزيزًا.

ويكني أهل نجد عن الضعيف جسديًّا أو معنويًّا بقولهم : (ما يرمح

---

(١) ابن عاصم، **الفاخر**، ص ١١٣.

(٢) يقال في مصر:"أمّر فلان الرغيف: سخنه على جمر النار ليلين وتنْضمّ أجزاؤه بعضها إلى بعض. والأصل فيها جمّر، وأبدلت الجيم همزة فكلاهما من حروف الشدة" عبد العال، **معجم الألفاظ العامية**، مادة: أمر الرغيف. والفعل مرّ بتحولات صوتية في لهجة القاهرة، إذ نطقت الجيم قافًا ثم نسي أصلها حتى ظن أنها قاف فنطقت همزة: يجمر ß يگمر ß يئمر. ومثلها الكلمة: يهرج ß يهرگ ß يهرأ.

السفيفة)، جاء في (لسان العرب): "قال أبو منصور: سففت الخوص، بغير ألف، معروفة صحيحة؛ ومنه قيل لتصدير الرحل سفيف لأنه معترض كسفيف الخوص...والسفيفة بطان[1] عريض يُشد به الرحل"[2]. والسفيفة عند أهل نجد وبادية الجزيرة هي أهداب مسفوفة على هيئة ضفائر تتدلى من نهاية (المزودة)، والغرض منها الزينة، فهي تتحرك لحركة البعير ونشاطه. فالأصل في ضوء ما نقلناه من معنى (السفيفة) أنه يكنى به عن ضعف الجمل فهو إذا ضعفت منّته أمست حركته بطيئة فلا يمس بقوائمه سفيفته، أما إن كان قويًّا نشيطًا مسرعًا فإنه يضرب سفيفته أو يرمحها، وقد يكون لسمنه وهزاله اتصال بذلك فسمنه يؤدي إلى احتكاك فخذه بالسفيفة. وقد شبه به الرجل الضعيف، وكثر الاستعمال حتى نسي التشبيه بالجمل. ويكنون عن ضعف التحمل بقولهم (ما يواطن) يقولون: (فلان ما يواطن الشغل) أي: لا يتحمله وهو له كاره، وأصله من المواطنة وهو مشاركة شخص في وطن واحد. ومثله (ما يوادي) جاء في المثل: (ما يوادي الصفير)، "أي: لا يألفه، أو لا يطيق الصبر عليه. كأنهم أخذوها في الأصل من: وادى الرجل، أي: نزل معه في واد واحد. وبعضهم يأتي بكلمة (يواطن) بدل كلمة (يوادي) ومعناها معنى كلمة يوادي نفسه أخذوها في الأصل من (واطنه) بمعنى عاش

(١) لعل البطان سمي سفيفة لأنه يكون مسفوفًا لجعله قويًّا، وعريضًا يلتصق ببطن الجمل ولا يؤذيه. وقد ورد اللفظ مع شيء من التغير في اللفظ والمعنى في لهجة الموصل: "سفيفي= شريط من الجلد أو القماش أو الحديد أو غيره. لا يتجاوز عرضه عرض الإصبعين". انظر: (البكري، **دراسات في الألفاظ العامية الموصلية**، ص ٢٦٨).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: سفف.

معه في وطن واحد. يضرب للجبان. وأصله مثل عربي قديم لفظه (جبان ما يلوي على الصفير)"[1].

ويكني أهل الشام عن الضعف وعدم القدرة بقولهم: (ما فيني) مثال: (ما فيني أشتري سيارة). أي: لا أستطيع ذلك. وأصل الاستعمال: لا أستطيع شراء سيارة.

ويكني المصريون عن كثرة الشيء بقولهم: (على أفا من يشيل)، والمعنى أن الشيء كثير مبذول، وإنما التعب والمشقة على قفا من يحمل الشيء.

ويعبر عن الكثرة في الكويت بقولهم: (على بيزة)، و(البيزة) من عملة قديمة بطل استعمالها ذات قيمة زهيدة، ولا يكون الشيء زهيد الثمن إلا حين يكثر فتكون الوحدة منه على بيزة. يقولون: (السمك اليوم على بيزة) أي: كثير. وقريب منه تعبيرهم عن حقارة الشيء بقولهم: (ما يسوى فلس)[2]. (ما يسوى فص بصل). وفي نجد يقولون: (ما يسوى كعب)[3].

---

(١) العبودي، **الأمثال العامية في نجد**، ١٤: ١٣١٠.

(٢) جاء في مسرحية (الدكتور صنهات) قوله وهو يحاور زوجته: "آخ منكم يا الحريم ألسنتكم ها الطول على ريايلكم وتخافون من زهيوي [= صرصار]. زهيوي يخوفكم؟ والله محد [= ما أحد] مسوي شخصية حق الزهيوي إلا أنتو يا الحريم، وإلا الزهيوي شنو؟ إلا زهيوي ما يسوى فلس".

(٣) و"الكعب: واحد الكعاب التي يلعب بها الصبيان وهو العظم الناتئ في جانب القدم عند ملتقى الساق بالقدم. وهو فصيح وجمعه في الفصحى، كعاب مثل العامية. وهو قديم للعامة. قال الجاحظ: تقول العامة (ما يسوى فلان كعبًا أعسر)، (وإنما بنو فلان كعاب عسر)" العبودي، **الأمثال العامية في نجد**، ص ١٢٩٠. والعامة في (نجد) يجمعون الكعب=

ويقول أهل نجد: (على هُونك)، أي: تمهل، ويقابلها في الكويت: (على كيفك)، والأخيرة تعني، في نجد: أنت حر، ومثلها: (على هواك). ويقول أهل الشام: (على هوى ما سمعت)، أي: حسب ما سمعت، ويقولون: (على هوى ما فهمت)، أي: حسب ما فهمت.

ويكنون في نجد عن القدم بقولهم: (مْنَوَّل) أي: مِنْ أوَّل، (وينَ الدنيا وينَ اهَلَه)؟[1] أي: أين تلك الدنيا وأين أهلها؟ كناية عن بُعد العهد بها. والدنيا: الزمن. وأما(يا عَوِين)، فكناية عن قدم العهد قدمًا يطلب عون الله على تذكره، ومثلها (الله المِستعان) وقد تستعمل كناية عن أمور أخرى غير القدم، وذلك عند إرادة طمأنة المخاطب على حرص المتكلم أو المتحدث عنه مثال ذلك أن يقول أحدهم: لا تنس موعدَنا. فيجيبه الآخر: الله المستعان. أي: اطمئن فأنا حريص. ويقولون في الكويت معبرين عن القدم: (هذا الشيء من سْنِين سِكْتَو)، أي: هو من سنين عديدة فاسكتوا عن عدّها لعجزكم عن إحصاء ذلك، ويقال للدلالة على قدم الشيء وإن لم يتجاوز ذلك، السنة. ومن التعبير عن البكور قولهم في الكويت: (توَّ الناس)، والتوُّ هو الوقت. تقال للضيف حين يهم بالانصراف. وتستعمل كلَّما أرادوا

= أيضا على (كعابة)، في المثل: (الغليبة شينة ولو في لعب الكعابة). وعلى (كعوب)، وشاهده ورود المثل السابق على هذا النحو: (الغليبة شينه ولو على لعب الكعوب) الجهيمان، **الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب**، ٥: ٣٣.

(١) ورد عند العبودي بصيغة مخالفة لنطق لهجة القصيم، وقال: "أي: أين الدنيا وأين أهلها؟ يضرب لمضي الوقت، وتباعد الزمن وتغير الحال، وهو موجود بلفظه عند البغداديين" العبودي، **الأمثال العامية في نجد**، ٤: ١٥٧٤.

القول: الوقت مبكر، مثل: توَّ الناس على الطائرة، أي: الوقت مبكر على وصولها.

ويكني أهل نجد عن الانشغال بقولهم: (ما يَمْغَطِ ظْهَرُه)، أي هو منشغل إلى درجة لا يستطيع معها أن يمغط ظهره، ويمغط ظهره كناية عن الاستلقاء لراحة الجسد كلِّه، خاصة الظهر، الذي هو أكثر المناطق إحساسًا بالتعب. ويشبه هذا قولهم: (ما يحِكْ راسُه): وحين يشغل اللعب الصبي عن قضاء حاجات أهله يقولون: (اللِّعْبْ سابْعُه). أي قد ملك عليه نفسه، ولعله مأخوذ من لفظ (السبع)، فاللعب قد تملكه تملك السبع فريسته.

ويقولون: (قْبُلُه)، ولها أكثر من معنى وظيفي فهي بمعنى (دائمًا) وبمعنى (فورًا)، مثل: هو قبله يشتغل، أي: هو دائمًا يشتغل. و(سافَرْ قْبُلُه)، أي سافر فورًا.

ويشابه هذا في السودان: (بْوُشُّو) أي: بوجهه، جاء في (قاموس اللهجة العامية في السودان): "قالت الشاقية: حلالي يا السايق الْبُله بوشّو، أي: على طول. من أمثالهم (س) الْحَفَظَ اللسان بْوُشُّو في أمان. أي: دائمًا"[١].

ويكنون في الكويت عن الإرباك الناتج عن الاستعجال فيقولون: (علامِكَ اخَذْتِنا بِشْراعُ اوميداف) أي: بشراع ومجداف. أي أنك أسرعت في دفع المركب بالجمع بين دفع الشراع ودفع المجداف، والمعنى الوظيفي: علامك أخذتنا بسرعتك وقوتك في الكلام أخذًا مربكًا[٢].

---

(١) قاسم، **قاموس اللهجة العامية في السودان**، مادة: وش.

(٢) يقدم تيمور تفسيرًا آخر للكناية، يقول:"كان لسانه من طوله أصبح كالحبل الذي تجر به الدابة". **الكنايات العامية** ٦١هـ. وأحسب أن المعنى هو كما في الكناية الأخرى: (زي اللي الداية جراه من لسانه)، انظر: (تيمور، ١٩٧٠: ٣١).

ويكني المصريون عن الغفلة بقولهم: (نايم عَلَ وْدانه)، أي: نائم على أذنيه. كأن النوم على الأذنين - وهذا لا يحدث- يمنع الإنسان من السمع وهذه علة لغفلته عن الأمور المهّمة حوله. ومثلها (وَانْتَ وَلَ هناك)، أي: لا أنت هنا ولا أنت هناك، وهذا سبب لعدم العلم بالأمور، فيكنى بذلك عن غفلة الشخص.

ويصفون الثرثار المتطاول بأنه: (مسحوبْ مِلِّسانُو)، أي: مَسْحوبٌ مِن لِسانِه، وكأنهم يعتقدون أن ثمة علاقة بين طول اللسان وكثرة الكلام؛ ذلك أنهم يصفون المتطاول بالكلام بطول اللسان، والسحب إنما هو علة للطول المفضي للثرثرة، فكأن الصبي قد سحبته (الداية) عند ولادته بجرّه من لسانه الطري فاستطال[1].

والكناية أو المثل يكون له مناسبة أولى ولكنه مع الزمن يتخلّى عن تلك الخصوصية ويصير ذا دلالة وظيفية، من ذلك الكناية المصرية: (اللى اختشوا ماتوا)، يقال هذا عن الشخص لا يستحي، ولكن الأصل في ظهور هذا التعبير، كما روي لي، أن حريقًا شبّ في بيت للطالبات في القاهرة وكانت بعض الطالبات في الحمامات فمنهن من خرجت فأنقذت نفسها ومنهن من غلبها الحياء وخافت من الخروج من غير ملابس فماتت، فقيل: (اللي اختشوا ماتوا). ونسيت الحادثة، وبقي التركيب، فيقال: (صحيح اللي اختشوا ماتوا). أي: لم يبق من الأحياء من يردعه حياؤه عن الخطأ.

---

(١) جاء في **الأمثال الكويتية المقارنة** عند الكلام على المثل. (ماخذه بشراع وميداف) قوله: "ويقال بمعنى أن إنسانًا ضيّق وسدّ عليه الطريق- أو غلب محدثه بقوة الحديث مثلما يدفع الملاح السفينة بالشراع والمجداف" الرومي وكمال، ١: ٤٥٩. والنص عند عبد الله النوري، **الأمثال الدارجة في الكويت**، ١: ١٦: أخذهم بشراع وميداف.

الاستعمال الوظيفي والتغير اللغوي

وُضِعَ بعض التراكيب ليؤدي دلالة معيّنةً، ولكن كثرة استعمالها في ظرف بعينه جعل بين التركيب والظرف تلازمًا وظيفيًّا. مثال ذلك الأدعية في الصباح والمساء. نلتقي في الصباح فنتبادل (صباح الخير)، تعوّد كلّ منّا أن يقول ذلك ويسمع، ليس في ذهن أحدنا أن يدعو للآخر بأن يكون صباحه صباح خير، فالقضية لا تعدو التعبير عن حاجة اتصالية، جسر نمده إلى الآخر وبالجملة هي مصافحة لغوية قد تنوب عن مصافحة الأيدي واتصالها، وقد توازيها. وفي المساء (مساء الخير) وهو مركب تكرر استعماله حتى أصابه لون من ألوان التغير اللغوي وهو التآكل والحذف لبعض أجزائه، والإنسان يميل إلى حذف بعض ما يكثر استعماله تخفيفًا على لسانه؛ لأن هذه المكررات صارت مثل الحروف والأدوات ذات الطبيعة الموجزة المختصرة. تسمع في الخليج (الله بالخير)، حذفوا (مَسّاك). وفي مصر نسمع (سلخير)، لم يبق من المساء سوى السين المتشبثة بالخير، وفي القصيم (نجد)، لم يبق من مساك الله بالخير سوى (بالخير) وهذا لا يعني أن الأصول غير مستعملة.

ومن هذه المسكوكات المتآكلة لشدة ارتباطها بمعنى وظيفي الأسئلة: (وشوّ؟)، (وشْبك؟)، (وراك؟) في القصيم و(أراك؟) في سدير. ويتبين التغير اللغوي بردها إلى أصولها: وشوّ (وأيّ شيء هو) فقد اختزل التركيب بانتخاب الحروف الأساسية: الواو+الشين من شيء+الواو من هو. وشبك (وأي شيء بك)، وفي الشام (أيش، شو)، قال الشيخ أحمد رضا: "أيش كلمة استفهام استعملت قديمًا وما زالت. وليس ذلك بغريب عن كلام

العرب وربما كانت مستعملة عندهم زمن الفصاحة وهي مختزلة من أي شيء (الاستفهامية). وقد اختزلت العامة فيها مع زيادة في الجملة المختزلة فقالت: في أي شيء هو هذا، شو هذا، بل زادوا في الاختزال فجعلوا الشين وحدها من هذه الجملة حرف الاستفهام. فقالوا: شمعنى (بإسكان الشين وفتح الميم وإسكان العين وفتح النون). أي أي شيء هو المعنى"[1].

أما (وراك، أراك) فدلالتهما الوظيفية هي دلالة (لماذا). مثل: وراك تأخرت؟ أي: لماذا تأخرت؟ وهما من الأصل (وما وراءك). و(لماذا) التي هي بمعناهما ليست أداة بسيطة؛ بل هي مركبة من حرف الجر (اللام)، و(ما) الاستفهامية واسم الإشارة (ذا)، والأصل: لأي شيء ذا؟ ولعله في الأصل كان يسأل بها عن الأسماء فيقال: لماذا الذهاب؟ أي: لأي شيء هذا الذهاب؟ ولكن استعمالا وظيفيًّا وهو السؤال عن العلة جعلها غير ذات ارتباط برديف معين؛ بل جاءت بعدها الأفعال على نحو مجيء الأسماءِ، فيقال: لماذا ذهبت؟

وترد (وراء) في تركيب آخر فيقولون: (ما ورا ما صِبَرْنا) أي: ما وراء صبرنا صبر. ودلالتها الوظيفية: (حسبنا)، ويقال: (ما ورا بهم)، وهي مركبة من: ما+وراء+بـ. ودلالتها الوظيفية: (حسب). فـ(ما ورا بهم) تعني: حسبهم.

ومن التراكيب التي نالها التغير بالحذف (ولا)، وشكلها الفصيح (وإلا)، وقد تستعمل في سياق التهديد، تقول للصبي: تقدم وإلا عاقبتك.

---

(١) رضا، قاموس **ردّ العامي إلى الفصيح**، مادة: (أ/ي/ش).

فقد جرى حذف الفعل بعد (لا)؛ لأنه يفهم من الفعل الطلبي المتقدم عليه.
وهذا استعمال عربي قديم نجده في قول الشاعر:

فَطَلِّقْهــا فَلَســْتَ لَهــا بِكُــفْءٍ وَإِلاَّ يَعْــلُ مَفْرِقَــكَ الحُــسَامُ

وهو شاهد يستشهد به النحويون على جواز حذف فعل الشرط[1].
ولاشك في أن للتنغيم أثرًا بالغًا في بيان المحذوف والتنبيه عليه: ولكن مع ادّغام النون في اللام، ولكثرة الاستعمال توارى التنغيم في اللهجات، فالمستعمل اليوم لا يحس وجود شرط محذوف وهو عند استعماله لا ينوي ذلك الشرط، بل هو يهدد المخاطب بأن يقول له: اختر بين الطلاق أو القتل، ولو جعلت (أو) مكان (وإلا) لاستقامت العبارة. بل إن (وإلا) تستعمل في اللهجات المحلية بمعنى (أو) التخييرية، يقولون: (أكرم عيسى وإلا موسى)، وفي المثل: (إما بالقوة وإلا بالمروة)، والمعنى: "المروة يعني بالمعروف وبالتي هي أحسن. أي يجب أن آخذ هذا الشيء إما بالمعروف أو بالقوة"[2]. ومن الأمثال المصرية: (إنت نبي والا كواليني)[3].

انتقل الفعل (يبغي) من دلالته إلى دلالة وظيفية وهي دلالة (سوف)، وإن يكن هذا الفعل قد بقي على صورته في الحجاز؛ فلقد أصابه ما أصاب (سوف) من تآكل في استعمال نجد وشرقي الجزيرة العربية له، حيث لم يبق منه سوى (الباء)، يقولون: (أَبَسَافر، يَبسافر)، أي: أبغي أسافر، يبغي يسافر. ومثله الوصف: (رائح) فقد تآكل بحذف الهمزة ß (راح)، وقد

---

(١) الشمسان، **الجملة الشرطية عند النحاة العرب**، ص ٣٥٣،٣٣٨.

(٢) الجهيمان، **الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب**، ١: ٣٦٥.

(٣) تيمور، **الأمثال العامية**، ص ٩٢.

يستخدم منه (الحاء) فقط، جاء في المثل المصري: (راحْ تُروح فين الشمس عن قفا الحصاد)، قال تيمور: "راح يستعملونها مكان السين وسوف كقولهم: (راح يجي) أي سيأتي، أو بمعنى العزم، أي عزم على المجيء"[1]. ويلاحظ أنه لمغادرة (راح) معناها واستعمالها هنا وظيفيًّا حسن إتيان الفعل (تروح) بعدها. وفي مثل آخر: (راح تقرا زبورك على مين يا داود)، قال تيمور: "ويروى: (حَ تقرا) والحاء مختصرة من لفظة راح"[2]. وفي اللهجة اللبنانية تآكلت (حتى)[3]، يقولون: تَيْنام، أي: حتى ينام. وللاعتذار، وتطييب الخاطر يقولون في مصر (معلهش)، "وهي منحوتة من قولنا: ما عليه شيء"[4].

والألفاظ التي نالها التغيّر في اللهجات كثيرة، منها في الحجاز: (دحين)، أي: هذا الحين. وفي الأردن: (هلْقيت)، أي: هذا الوقت. وفي الشام: (هلاّ)، أي: هذا الأوان. وكلها ذات دلالة وظيفية واحدة وهي (الآن). ومثلها (لسه، لسع)، أي: إلى هذه الساعة. ودلالتها (إلى الآن).

ومما جاء على الحذف والاختصار في العاميات أن ينادي الأبُ طفله قائلاً: تعال يا بابا، أما الأم فتنادي الطفل قائلة: تعال يا ماما. ولعل هذا

---

(١) (تيمور، **الكنايات العامية**، ص ٢١٩.

(٢) تيمور، **الكنايات العامية**، ص ٢٢٠.

(٣) [تَ]: "مقطوعة من حتى تدخل على المضارع (تَناكل)= حتى نأكل- قلت له (تَيجــي)= قلت له حتى يأتي" فريحة، **معجم الألفاظ العامية**، ص ١٩. وهذا التآكل هو ما يسميه رمضان عبد التواب بلى الألفاظ، وعرض لأمثلة منها: (حتى) التي أصبحت في نطق أهل سوريا (تا)، وبيّن أنه تطور قديم ذكره الجواليقي (ت ٥٣٩هـ) عبد التواب، **التطور اللغوي وقوانينه**، ص ١٦٥-١٦٦.

(٤) عبد العال، **معجم الألفاظ العامية**، مادة: معلهش.

على حذف كلمة (حبيب)، أي: تعال يا حبيب بابا، تعال يا حبيب ماما. أو يا من أنت في منزلة بابا أو ماما.

ومما هو على الحذف لبعض أجزاء الكلام، قولنا: (بيني وبينك)، أي: هذا الكلام لا أريد إظهاره فاجعله سرًا بيني وبينك، ويقال عند إبداء آراء يريد المتحدث إعطاءها أهمية، أو يقال في معرض تعليق فيه إحراج للمخاطب. كأن يكون المتكلم غير موافق في الرأي للمخاطب.

وأسماء الأعلام قد نالها التغير أيضًا، مثال ذلك عائلة (البِنْعلي) فالاسم في الأصل: ال+ابن+علي، ولكن عومل (ابن علي) على أنه اسم واحد، ومثله عائلة (البراشْدي) من عُمان فهو في الأصل قد مرَّ بسلسلة من التغيرات: بوراشد ß بوراشدي ß براشدي ß البراشدي.

ومما ناله التغير وصار له دلالة وظيفيّة قول العامة في نجد: (مُهُب) ومعناها الوظيفي: (ليس)، يقولون: (مُهُبْ رايح) وأصلها: ما هو برائح. ومثلها أخواتها: (منب: ما أنا بـ، محنّب: ما حنّا بـ[أي: ما نحن بـ]، مَهِب: ما هي بـ، منتِب: ما أنت بـ، منتُب: ما أنتم بـ، منتِن: ما أنتن بـ). وفي المثل: (اللي ما ينسى ما هوب مْنُ امَّة محمد). قال العبودي: "ما هوب: ما هو. الباء هي التي تلحق خبر (ما) التي تعمل عمل ليس في الفصحى"[1].

ومما أصابه التغير اللغوي لكثرة الاستعمال الاسم الموصل (الذي)، فنجده صار في اللهجات: (الّي) وقد يرسم بـ(اللي) على نحو ما في المثل السابق، ونحو المثل المصري: (اللي يُدُقْ سِدْرُه يدفعَ اللي عليه)[2].

(١) العبودي، **الأمثال العامية في نجد**، ١: ٢٠١.

(٢) تيمور، **الأمثال العامية**، ص ٧٤.

ونلاحظ أن الاسم قد أصابه شيء من التآكل لكثرة الاستعمال، وليس تآكله بالجديد فهناك الاسم الموصول (ال) وأكثر النحويين يعدونه اسمًا غير (الذي)، ويعنون به (ال) الداخلة على صفة صريحة، مثل: (الضارب)، وعدّوا مجيئها قبل الفعل شاذًّا، وكذا وصلها بالجملة الاسمية وشبه الجملة[1]. وأحسب أن هناك فرقا بين (ال) التي مع الصفات وتلك التي توصل بها الأفعال أو الجملة الاسمية أو شبه الجملة. فالتي مع الصفات ما هي إلا (ال) المعرفة، أما الأخرى فهي (الذي) بعد تآكلها، وليس اتصالها بشاذ بل هو استخدام لهجي قديم ومازال جاريًا إلى اليوم في العراق، وبعض دول الخليج والسودان، ومن شواهده الأمثال العراقية: (الْمَتِـكَـدَر عليه، حَيل الله عليه)، (الْمَتْهاب من واليها، متهاب من الجيران)، (الْمَيجي بعصا موسى، يجي بعصا فرعون)، (الْمَيجي وِيّاك، تعالْ ويّاه)[2].

ومن شواهده في السودان: (يا قشيش نص الخلا الْفوق في العتامير)[3]، (وقال الجعلي: نحن الْنركب العاتي الْيقوم منهم)[4].

---

(١) ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ١: ١١٨.

(٢) التكريتي، **جمهرة الأمثال البغدادية**، ١: ٣٨٢-٣٨٣.

(٣) قاسم، **قاموس اللهجة العامية في السودان**، مادة: عتمر.

(٤) قاسم، السابق، مادة: عتا.

الاستعمال الوظيفي وتوليد الألفاظ:

إن التغير اللغوي الذي ضربنا له أمثلة سابقًا قد يؤدي إلى خلق ألفاظ جديدة نتيجة تلازم لفظين حتى يتوهم مع كثرة الاستعمال أنهما لفظ واحد. ومثال ذلك الفعل (جاء) مع حرف الجر (بـ)، فقد ألفا في اللهجات[١] فعلاً متعديًا بمعنى (أحضر). والدليل على فعليته تصرفه، فمنه الأمر: (جب)، ومنه المضارع: (يجيبون). ومن أمثال نجد: (البردان يجيب حطب)[٢]، (إن ما جابها الله، ما جت)[٣]. وفي مصر (ياما جاب الغراب لأمه)[٤].

أما (جاب) التي في الفصحى فهي بمعنى نحت أو شق دائريا، قال تعالى: (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) [٩-الفجر].

ومن ذلك كلمة: (بناخي) في نجد، يقولون: بناخيك، أي: من ذويك أو من قبيلتك، وأصلها: ابن+أخ: ابن أخيك ß بناخيك؛ نحتا كلمة واحدة وعوملتا معاملة الكلمة الواحدة بدليل تأنيثها: (بناخية).

ومن ذلك قولهم في القصيم: (مِنطالع)، يقولون: (ظَهَرْ مِنْطالِع)، أي: خرج إلى خارج المكان. وهو (مِن+طالع) مركب جعل ظرفًا للمكان.

---

(١) انظر: **قاموس رد العامي إلى الفصيح**، للشيخ أحمد رضا، مادة (ج ي ب)، **قاموس اللهجة العامية في السودان**، لـ عون الشريف قاسم، مادة (جاب)، **معجم الألفاظ العامية** لـ عبد المنعم سيد عبد العال، مادة (جاب).

(٢) أورده العبودي على النحو التالي (البردان يجي بحطب) وذلك رعاية منه لأصل التركيب لا الاستخدام اللهجي؛ لكنه التزم الاستخدام اللهجي في المثل الذي بعده. انظر: العبودي، **الأمثال العامية في نجد**، ١: ٢٥٦.

(٣) العبودي، **الأمثال العامية في نجد**، ١: ٢٣٣.

(٤) تيمور، **الأمثال العامية**، ص ٥١٤.

وفي منطقة السر (نجد) يطلق الناس على البلح من أصفر وأحمر اسم (حَمْرِقان)، ويبدو أنها منحوتة من كلمتي: (أحمر)، و(قان).

الاستعمال الوظيفي والانتقال الدلالي:

انتقلت الألفاظ من معنى حسي إلى آخر معنوي وبعد أن اكتسبت دلالة وظيفية نسي ما بينهما من صلة. من ذلك لفظ (تقمص)، نقول: تقمص الممثل الدور، ومعناه في الأصل أنه جعل الدور له قميصا، وهذا كناية عن شدة التصاقه به وجودة تعبيره عنه، ونسي المعنى الأصلي مع الكناية، وبقيت الدلالة الوظيفية.

ومن ذلك قولنا (عطف عليه)، ويرتد ذلك إلى المعنى الحسي وهو الثني، فعطف الرجل الشيء أي: ثناه، والإنسان حينما يعطف على صغير إنما يعطف جسمه عليه أي: يثنيه عليه وهو يقوم برعايته. هذا المعنى الحسي انتقل إلى معنى شامل لكل أنواع الرعاية وإنْ على البعد كالعطف على الفقراء والمساكين. وقريب من هذا؛ الفعل (يحنو عليه)، فهو في الأصل أن يحنو جسمه عليه، ثم انتقل من هذا المعنى الحسي الملابس للعناية بالصغير إلى المعنى العام الشامل للعناية[(١)].

ومن ذلك (الصبر)، نقول عليك بالصبر، والصبر مفتاح الفرج، فما معنى الصبر؟ الأصل في الصبر: (الحبس)، فيقال: قتل فلان صبرًا، أي

(١) ينتقل الفعل من التعدي إلى الزوم وذلك بحذف المفعول منه نتيجة لكثرة استخدام الفعل استخدامًا وظيفيًّا لا يحتاج معه إلى فاعل، ولذلك أمثلة في القرآن الكريم، انظر: الشمسان، **الفعل في القرآن الكريم: تعديته ولزومه**، ص ٦٨٨-٧١٠.

حبس حتى مات[1]. وقال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) [٢٨-الكهف].

ومن ذلك (التهجد)، يقال: هو يقضي ليله متهجدًا. الهجود هو النوم، أما التهجد فهو ترك النوم، وهذا معنى من معاني البناء (تَفَعَّلَ)، فهي تعني التباعد عن معنى أصلها. وإن يكن التهجد قد اكتسب معنى وظيفيًّا محدّدًا هو العبادة في الليل. ومما جاء على هذا البناء: (تجنّب)، نقول: تجنبْ مواطن الشبه. أي: اترك جانبها. ونقول: (تأثَّمَ)، أي: ابتعدَ عن الإثم، و(تحرَّج)، أي: ابتعد عن الحرج[2].

ومن هذه الألفاظ التي غادرت مجالها الحسي الأصلي إلى مجال معنوي كلمة في لهجة الكويت: يعجف، أي: يعكف. يقولون في الكويت عن الشخص الذي ينافق غيره: (يعجف له) أي: يعكف له. والمصدر (العَجَاف) أي: العكاف، وهو النفاق. فما هي العلاقة بين النفاق وهذه المادة؟

يفسر هذه العلاقة خير تفسير المثل: (مدّاحتها عجافتها)[3]. ويعني أن من يمدح الفتاة هو من قام برعايتها، وهي (العجافة) التي تقوم على تمشيط الفتاة وتضفير شعرها، وتضفير الشعر هو (العجف) أي العكف[4]: فهذا المدح داخل في النفاق بحكم العلاقة بين المادح والممدوح؛ ولذلك فكل منافق يمدح الشخص بما ليس فيه هو مثل (العجافة) التي تمدح فتاتها بما ليس

---

(١) الشمسان، **الفعل في القرآن الكريم:تعديته ولزومه**، ص ٦٧١-٦٧٢.

(٢) الزمخشري، **المفصل**، ص ٢٧٩.

(٣) الرومي وكمال، **الأمثال الكويتية المقارنة**، ٤: ٢٣٦.

(٤) جاء في اللغة: "عكّف الشعر: أي جعّد" الصغاني، **العباب**، ف:٤٥٢.

فيها. ثم جعل (العجف) أي: العكف الذي هو التضفير- بسبب الملابسة- بمعنى المدح.

ومن الأفعال التي صار لها دلالة وظيفية (سَمْ) في لهجة نجد، فهي قد تعني: (نعَم)[1]، وقد تعني (ابدأْ)، فدلالاتها على هذه الألفاظ دلالات وظيفية تختلف عن الدلالة المعجمية، أي دلالة اكتسبها اللفظ نتيجة استخدامه في ظرف محدد في ملابسة معينة، فكلمة(سم) في الأصل فعل أمر من التسمية أي: قل: (بسم الله الرحمن الرحيم)، كناية عن الإذن للمخاطب بالبدء بالقول أو الأكل[2] أو العمل. والفعل واسع الاستعمال والتصرف في الحديث والأشعار: سمّى، يسمي، وسم.

ومن المعروف أن القسم يستعمل لتأكيد الكلام؛ ولكننا نصادف بعض استعمالات له ينسى معها الغرض منه وذلك حينما يتضام مع كلمات دالة على الإيجاب أو النفي، مثال ذلك: استعمل العامة (إي والله)، (إي بالله) وكل ذلك بالمعنى الوظيفي يرادف (نعم). وكذلك: (لا والله)، (لا بالله)، ولا دلالة للقسم هنا. وقد يستعمل لفظ الجلالة مكررًا لهذا الاستعمال الوظيفي وهو معنى (نعم)، ومثاله من استعمالهم أن تسأله: هل ذهب محمد؟ فيجيب: الله الله. أي: نعم. ومن ألفاظ الجواب أيضًا: (ما يحتاج)، و(ما يعتاز)، فقد يقصد بها نعم، وقد يقصد بها تصديق المتحدث،

---

(١) ويذهب رمضان عبد التواب إلى أنها تطور لعبارة: "سمعًا وطاعةً" عبد التواب، ١٩٧٥: ١٦٦-١٦٧. وهو معذور في تخريجه لأنه يجهل سياق اللفظ الاجتماعي. ولكن إذا نظرنا إلى استعمالاتها الوظيفية جزمنا بكونها من (بسم الله الرحمن الرحيم).

(٢) والهدف من التسمية عند الأكل طرد الشيطان أن يشارك فيه حتى أن الذي يغفل عن ذلك يسمي أثناء الأكل قائلاً بسم الله باوّله (بأوَّله) وآخره.

أو تأكيد الكلام، فهي قد ترادف (مؤكد). تقول له: هل هذا صحيح؟ فيقول: ما يحتاج. والأصل في ذلك: ما يحتاج الأمر إلى تأكيد.

ومن الأفعال التي انتقلت من معانيها الأصلية إلى أخرى الفعل (قال) فهو يستخدم بمعنى (فعل). يقولون في نجد: (قال به كذا وكذا)، أي: فعل به كذا وكذا، (قل به كذا)، أي: افعل به كذا. وهذا الانتقال قديم وقد عد الزمخشري انتقل دلالة (قال) من المجاز، قال: "ومن المجاز: قال بيده: أهوى بها، وقال الحائط فسقط: مال"[١]. وجاء في (تهذيب اللغة): "وقال ابن الأعرابي: العرب تقول: قالوا بزيد، أي قتلوه، وقلنا به أي قتلناه: وأنشد:

نحنُ ضَرَبْناهُ على نطابهْ قُلْنا به قُلْنا به قُلْنا بهْ

أي قتلناه"[٢]، وفي (اللسان): "وقوله في الحديث: فقال بالماء على يده؛ وفي الحديث الآخر: فقال بيده هكذا، قال ابن الأثير: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول: قال بيده أي أخذ، وقال برجله أي: مشى"[٣].

والذي أراه أن (قال) يستخدم بمعنى (فعل) ثم هو بهذا المعنى فِعلٌ قد يخرج إلى معان أخرى يعين على فهمها السياق المقالي والحالي. وقد يستخدم، في نجد، المضارع منه (تقول) أداة للتشبيه، يقولون: (أسرع تقول صاروخ). أي: أسرع كالصاروخ، وأكثر ما يستخدم بحذف الواو منه:

---

(١) الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة: قول.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ٩: ٣٠٧.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: قول.

(تِقِل)، وهذا لكثرة استخدامه في هذه الوظيفة. يقولـون: (يجمع تِقِـلْ نملـة). أي: يجمع كالنملة. وهذا الاستعمال عربي قديم، قال امرؤ القيس:

إذا مـا جَـرَى شَـأْوَيْنِ وَابْتَـلَّ عِطْفُـهُ   تَقُـولُ هَزِيـزَ الـريحِ مَـرَّتْ بِأَثـأَبِ

قال الشارح: "إذا جرى هذا الفرس طلقين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقًا كخفق الريح إذا مرت بأثأب، وهو شجر يشبه الأثل، يشتد صوت الريح فيه"[١]. ومثله قول الأعشى:

أَضـافُوا إليـه فَـأَلْوى بهـم   تَقـولُ جُنونًـا ولّمـا يُجَـنّ[٢]

ومن الألفاظ التي فارقت أصلها إلى دلالة وظيفية ما نؤكد به الصفات من ذلك (مرة)، في نجد، فقد انتقلت من كونها مصدرًا للفعل (مرّ: يمر) إلى هذه الدلالة الوظيفية، يقولون: (حلو مره)، (صعب مره)، (طويل مره)، وكذلك: (بالحيل)، يقول أهل نجد: (حلو بالحيل، صعب بالحيل، طويل بالحيل). وفي مصر (قوي ß أوي)، يقولون: (حلو أوي)، (كتير أوي)، (طويل أوي)، (ضعيف أوي)، وهذا المثال صارخ في دلالته على وظيفية (أوي). وفي الكويت (واجد ß وايد)، يقولون: (حلو وايد)، (صعب وايد)، (طويل وايد). وفي الشام (كتير)، يقولون: (حلو كتير)، (صعب كتير)، (طويل كتير).

وقريب من ذلك الصفة التي تنوب عن كل الصفات؛ فهي قد انتقلت من دلالتها الأصلية الخاصة إلى دلالة عامة تنال كل الصفات؛ فهي تعبر عن الغاية التي تصل إليها الصفة في الجودة، من ذلك قولهم في لبنان: لذيذ ß (لزيز)، يقولون: (بيت لزيز)، (سيارة لزيزة)، (قصيدة لزيزة).

---

(١) الشنتمري، **شرح ديوان امرئ القيس**، ص ١٤٠.

(٢) الأعشى، **ديوان الأعشى الكبير**، ص ٧١.

وقد يختفي المعنى المعجمي للفظ ؛ ولكن الاستعمال الوظيفي باقٍ. من ذلك مادة (رحل)، فقد اختفت من لهجة القصيم (نجد)، وبقيت دلالتها على الحفلة التي تقام في بيت الزوج عند انتقال عروسه إليه، وإن لم يقتض الأمر رحيلاً من مكان إلى آخر، فقد تكون جارته. ومن ذلك مادة (خرج)، فقد اختفت من لهجة القصيم وربما نجد عامة ؛ ولكن بقي لها معنى وظيفي، وهو (الطرد)، يقولون: (اخْرِج)، أي: ابتعد، وقد تستعمل للذم والتكذيب، يقولون: (يْخَرِج). ولا شك أن هناك علاقة بين الخروج والابتعاد، فـ(اخرج) أمر بالخروج من أجل الابتعاد، نسي الأمر بالخروج، وبقي الهدف والوظيفة، وهو الابتعاد.

وللدلالة على الطرد يقول الناس في نجد والخليج: (اقضب الباب)، و(اقضب) هي مقلوب (اقبض)، ومع ذلك فلكل منها استعمال مختلف فالأولى تدل على المسك، أما الثانية، فتدل على تسلم النقود.

ومما انتقلت دلالته ألفاظ تدل على شدة الضرب مثل قول أهل القصيم (نجد): (كفر به)، أي: ضربه ضربًا شديدًا. وأصل الاستعمال: ضربه ضربًا كفر به، أي: بلغ به حدَّ الكفر. ومثله (يدبغه)، أي: يضربه ضربًا شديدًا، ولست متبينًا لعلاقة الدباغة بالضرب، وقد تكون كناية عن شدة الضرب التي ينسلخ لها الجلد فيدبغ، خصوصًا أن هذا التعبير يكثر استعماله في التهديد بالضرب لا الضرب نفسه. وقد يكون المعنى يضربه ضربًا يحمر له جلده احمرار الجلد المدبوغ، خصوصًا أن مادة الدباغة في نجد قد تكون ورق الأرطى وهو ذو صبغة حمراء[1].

---

(١) في **تهذيب اللغة**: "قلت: والأرطاة شجر ورقها عبل مفتول وجمعها الأرطى، منبتها الرمال لها عروق حمر يدبغ بورقها أساقي اللبن، فيطيب طعم اللبن فيها" الأزهري، **تهذيب اللغة**، ١٤: ١٦.

ويكني أهل نجد عن الضعف بقولهم: (والله انه)، وهو تعبير عن الضعف أو توسط الحال بجميع أشكالها، يقولون عن المريض جسميًّا أو عقليًّا (والله انه)، يقولون: (نجاح الطلاب والله انه) يعني ضعيف أو متوسط، ولست متبينًا بوضوح العلاقة بين التركيب ودلالته الوظيفية فقد يكون معتمدًا على حذف بعض عناصر الجملة، ولعل هذا المحذوف هو ما يدلّ على الضعف، والقسم جيء به في الأصل لتأكيد المعنى ولكثرة تلازمه مع هذه الدلالات فقد حذفت ألفاظها وأكتفي بمؤكدها لأن الذهن يستحضرها عند النطق بها، ثم اكتسب القسم دلالة وظيفية هي الدلالة على تلك المحذوفات، وفقد القسم وظيفته التأكيدية.

وقد تنتقل الجملة الاستفهامية إلى مجال آخر غير الاستفهام من ذلك التركيب (أرأيت)، قال تعالى:

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى❖عَبْدًا إِذَا صَلَّى❖أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى❖أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى❖أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) [٩-١٣ العلق]

ومعناه كما جاء في الكشاف للزمخشري "أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته"[١]. وفي الحديث الشريف: (أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟)[٢].

وما زال هذا التركيب بهذا الاستعمال الوظيفي مستعملاً في نجد، فهم يقولون: أريت فلان وِشَ اخباره؟ أي: أخبرني، فلان ما أخباره؟. ونلاحظ أن التركيب قد ناله شيء من التغير اللغوي، ولكن هذا التغير قديم جدًا،

(١) الزمخشري، **الكشاف**، ٤: ٢٧١.

(٢) النووي، **رياض الصالحين**، ٤٣٠.

فقد ذكر النحاس أن (أرأيت) يجوز أن تكون همزتها همزة بين بين، ويجوز أن تحذف الهمزة[1]. ومن شواهد ذلك ما أورده الجوهري وذلك قول ركاض بن أباق الدبيري:

أريتك إن منعت كلامَ ليلى   أتمنعني على ليلى البكاءَ[2]

(١) النحاس، **إعراب القرآن**، ٥: ٢٩٥.

(٢) الجوهري، **الصحاح**، ٦: ٢٣٤٨ مادة:رأي.

الاستعمال الوظيفي واللغة الانفعالية:

ومن الاستعمال الوظيفي طائفة من الألفاظ التي نقلت من أصولها ليعبر بها عن حالات الإنسان الانفعالية من إعجاب، وتحضيض، وفرح، وغضب، وغيرها. من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم: (قال تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[1].

قال أبو عبيد: "وأما قوله: تربت يداك، فإن أصله أنه يقال للرجل إذا قل ماله: قد ترب-أي افتقر حتى لصق بالتراب-قال الله عز وجل: (أو مسكينًا ذا متربة) [١٦-البلد]، فيرون - والله أعلم-أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر؛ ولكن هذه كلمة جارية على ألسنة العرب يقولونها وهم لا يريدون وقوع الأمر"[2]. فـ(تربت يداك) في الأصل دعوة بالهلاك لكنها انتقلت هنا للدلالة على الحثّ المصاحب بالتحبب والمداعبة. ومثله قول العرب: (ثكلتك أمك)، جاء في (اللسان): «وفي الحديث: أنه قال لبعض أصحابه: ثكلتك أمك» أي: فقدتك؛ الثكل: فقد الولد كأنه دعا عليه بالموت لسوء فعله أو قوله، والموت يعم كل أحد فإذا هذا الدعاء عليه كلا دعاء، أو أراد إذا كنت هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد سوءًا؛ قال: ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ولا يراد بها الدعاء كقولهم: تربت يداك وقاتلك الله[3].

ومثل ذلك قول العرب: (لا أبا لك). قال زهير:

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ٧: ٩.

(٢) أبو عبيد، **غريب الحديث**، ٢: ٩٥.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة:ثكل.

سَئِمتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

قال الأعلم في شرحه: "وقوله (لا أبا لك) كأنه يلوم نفسه. وهي كلمة تستعملها العرب، في تضاعيف كلامها، عند الجفاء والغلظة وتشديد الأمر"[1]. وقال أبو عبيد: "ألا تراهم يقولون: لا أرضَ لك ولا أمَّ لك وهم يعلمون أن له أرضًا وأمًّا؟ وزعم بعض العلماء أن قولهم: لا أبَ لك مدح، ولا أمَّ لك ذم. قال أبو عبيد: وقد وجدنا قولهم: لا أمَّ لك قد وضع موضع المدح؛ قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب"[2]

ونصف شخصًا معجبين به بأنه: عفريت، شيطان، خبيث، ملعون، ابن كلب. كل ذلك ونحن نعني أنه ذكي جدًّا غافلين عن جوانب هذه الكلمات السيئة؛ ذلك أننا أخذنا من الصفات الجانب الحسن وهو الذكاء، ثم أصبحت هذه الكلمات من الناحية الوظيفية كلمات مدح وإعجاب فالسامع والناطق يدركان المعنى الوظيفي لهذه الألفاظ.

ومن ذلك بعض دعوات النساء مثل قولهن، في نجد: (بْعَدي) مدحًا للطفل، أو تشجيعًا وهذا هو المعنى الوظيفي، أما الأصلي فهو دعوة بأن يبقى حيًّا بعدها، أي: تعيش بعدي فلا أحزن عليك. ويقابل هذا؛ الاستعمال الشامي (تئبرني)، أي: تقبرني، والمعنى في الأصل: أموت قبلك فتقبرني، وهي تدعو له بهذا أن يبقى ولا تحزن عليه. وفي الكويت يقلن: (عساي ما أذوق حزنك)، (عساي ما ابجيك)، أي: عساي ما أبكيك.

(١) الشنتمري، **شعر زهير بن أبي سلمى**، ص ٢٥.

(٢) أبو عبيد، **غريب الحديث**، ٢: ٩٥.

ومن ذلك، طائفة من الأدعية الدينية التي انتقلت من دلالتها على الدعاء إلى معان وظيفية خاصة يتطلبها السياق المقالي أو الحالي. من ذلك أن قول أهل نجد للشخص: (اذكر الله)، أي: اسكت، أو تمهل، حسب الموقف. ومثلها: (قل لا إله إلا الله)، أو: (اذكر الْلي عنك غني). ولا شك أن كل واحدة تعطي ظلالا من الحالة النفسية للمستعمل. ومن ذلك أيضًا: (صل على النبي) ويطلب بها التمهل، وللتهدئة من سَورة الغضب أو الانفعال المصاحب للحزن. ونقول عند البدء بعمل أو بشيء (بسم الله)، وكذلك نقولها للتعبير عن الخوف، ونقول عند السخط من شيء أو شخص: (أعوذ بالله). وقد نقولها عند ذكر شيء أو شخص بغيضين. ونقول عند الإعجاب أو التعجب: (ما شاء الله)، (سبحان الله)، (تعالى الله). وللتأكيد: (عزّ الله)، يقولون في نجد: (عزّ الله إنه صحيح). ويقولون للدلالة على البعد الزمني: (يا عَوين). وللأمر بالابتعاد: (اِتِكِلْ على الله)، وللتشجيع على المضي في أمر: (توكّل على الله)، وللدلالة على الموافقة: (إن شا الله)؛ وهو يعني موافق أو نعم، ومن استعماله بمعنى (نعم) جوابهم في القصيم (نجد) لمن يسأل: هل نجحت؟ بقوله: (إن شا الله)، أي: نعم. وقد تكون بمعنى عسى: (إن شا الله يجي)، أي: عسى أن يأتي. وفي المصرية: (إن شا الله ما اعدمك)، أي: عسى الله أن يحفظك فلا أعدمك.

ومما يستعمل وظيفيًّا قول العامة (يَلْلَه)، ومعناها الوظيفي: (هيّا) وهي مركبة من (يا) ولفظ الجلالة (الله). أما علاقتها بـ(هيّا) فهي أن المسلم تعود أن ينادي ربه عند شروعه في عمل من الأعمال ليكون له عونًا وصار هذا النداء أو الدعاء من لوازم بعض الحركات التي يأتي بها الإنسان

كالنهوض مثلا فهو يقول ناهضًا وكأن القول حافز: (يا الله). ومن أجل ذلك استعملت (يلله) للدعوة وطلب القيام فيقول الشخص لصاحبه: (يلله). وكأنه يقول له: قل (يا الله) كناية عن النهوض، أو كأنه يسأله: أنقول(ياالله)، أي: أننهض. ومع كثرة الاستعمال صارت (يلله) تعني: (هيا)، ونسي ما لها من علاقة بأصلها. ويلاحظ أن المد قد حذف منها تخفيفًا لما صارت بمعنى (هيّا).

الاستعمال الوظيفي والوهم في الاستعمال:

إن معرفة الاستعمال الوظيفي وحده قد توقع في الوهم والخطأ، من ذلك: قول النساء في مصر: (دا مْسَتّتْها) أو عند الترحم عليه: (دا مستتني) المعنى الوظيفي: هو الذي يرعاني ويجعلني أعيش حياة طيبة لا مشقة فيها، ولكني رأيت مشهدًا تمثيليًّا يقول فيه الرجل مهدّدًا زوجته: (أنا راح أتزوج وحدة تستتني)- والمشهد ليس هزليًّا- الرجل فهم المعنى الوظيفي العام وغاب عنه أصل المعنى وخصوصية استعماله فهو مأخوذ من كلمة (ست)؛ فهو مستتني، أي: هو الذي جعلني ستًّا. وكلمة (ست) في المجتمع المصري لها دلالة اجتماعية خاصة تعبر عن طبقة اجتماعية.

ومعرفة الاستعمال الوظيفي وحده ربما يساعد في تعلم اللغة؛ لكنه قد يخلق لبسًا وقد يفوت الفرصة أمام المتعلم أن يعرف المعنى المعجمي للفظ، وذلك لشدة ارتباط اللفظ عند المتلقي بالوظيفة التي يؤديها، وقد قمت باختبار بسيط؛ لكنه يبين مدى ارتباط معنى الكلمة عند المستعمل بالوظيفة. كنت أشاهد مع ابني برنامجًا تلفزيونيًّا لتعليم اللغة الفرنسية وكان هناك مشهد يفترض أنه يعلم تعبيرًا معينًا أمّا المشهد فهو: رجل يتقدم نحو باب مغلق، فيقرعه، فيفتح الباب طفل، ثم ينحني الطفل انحناء خفيفًا مشيرًا للرجل بيده إشارة تفيد الإذن بالدخول وهو يقول: monsieur. تكرر المشهد مع تغير بسيط في الشخصيات. فسألت ابني عن معنى الكلمة- وكنت قد توقعت جوابه- فقال: (معناها تفضل)، فهم المعنى الوظيفي الذي جاء اللفظ هنا مُؤَدِّيًا له، وهو كما نعلم مخالف للمعنى المعجمي للفظ.

وقد ينشأ عن الوهم في الربط بين اللفظ ووظيفته خلق لفظ جديد، يقولون في الكويت: (أنا ما عندي بيع بَرِّد)، أي: لا أتهاون أو أتساهل، المهم هو كلمة (بَرّد)، فهي تعني: (أيسكريم)، ولدت هذه الكلمة حين سمع الطفل الكويتي (بياع الايسكريم) ينادي ويعلن عن بضاعته قائلا: بَرِّد، بَرِّد، بَرِّد. و(بَرِّد) فعل أمر أي: بَرِّد على نفسك من الحر بتناول شيء من الأيسكريم. توهم الصغير أن كلمة (بَرِّد) اسم لهذا الشيء الحلو البارد، فكان كلما أراد منه قال: (أبي بَرِّد) وتابع الكبار بذلك الصغار.

ولكن المعنى الوظيفي له أهمية خاصة حين نريد نقل التركيب من لهجة إلى أخرى أو من لغة إلى أخرى؛ إذ المعنى الوظيفي لا الأصلي هو المراد. ومن ذلك ما ذكره (أحمد مختار عمر) من أمثلة يبين فيها أن العلاقات السياقية يندر تطابقها في اللغات، فتراكيب مثل: (يشرب مقلب)، (يشرب سجارة)، (يشرب من البحر)، (يشرب من كيعانه)، لو ترجمت بنصها إلى لغة أجنبية لكانت محل دهشة، واللغة الإنجليزية تطلق على الفول السوداني monkey nut ولو نقلت إلى اللغة العربية فقيل: بندق القرد ما فهمت[1].

وقد نجد صعوبة في ترجمة النصوص العالية كالآيات القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[البقرة: من الآية١٨٧]

طلبت ترجمة الآية آليا فخرجت الترجمة

Are you good for you wives

وأما في موقع مجمع الملك فهد فوردت الترجمة:

(١) عمر، **علم الدلالة**، ص ٧٦.

They are *Libâs* [i.e. body cover, or screen, or Sakan, (i.e. you enjoy the pleasure of living with them - as in Verse 7:189) *Tafsir At-Tabarî*], for you and you are the same for them.

فتجدهم قد أبقوا على اللفظ العربي (لباس) وحاولوا تلمس معاني مختلفة بمعناه.

وتحدث كثير من النوادر عندما يعبر غير المتمكن من الإنجليزية عن أفكاره بأصوات انجليزية ، من ذلك أن أحد الطلاب أراد أن يبين لمدير المدرسة أن دراسته لا تسير سيرًا حسنًا ، فترجم ما يمكن قوله بالعربية I can not walk in this school ، فأخبره مدير المدرسة بأنهم سيزودون المدرسة بمصعد. وشتم أحدهم قائلا : Turn your face ومعناها في (نجد)، (اقلب وجهك)، أي : ابتعد. وقال أحدهم لآخر مهددًا : If you are your father's son come again ! وهذه ترجمة حرفية من لهجة نجد : (كانك ولد أبوك تعال مرة ثانية)، أي : إن كنت شجاعًا فتعال مرة أخرى. ومثل هذا كثير من الترجمات الحرفية التي أدخلت إلى العربية تراكيب غريبة عنها مثل : (يلعب دورًا) بمعنى يؤثر ، (محدود) بمعنى قليل.

الخاتمة

تبين في الصفحات السابقة أن المعنى الوظيفي المباشر للغة هو مطلب المتحدث العادي الذي لا يحفل بتحليل اللغة، ولا معرفة أسرار التركيب، ذلك المستعمل الذي تستحيل معه الجمل ذات الطابع الخلّاق وذات الوهج الفني إلى جمل عادية لكثرة استعماله لها. ولربطه إياها بوظيفتها؛ ولعل ذلك إنما يكثر في جانب اللغة الاتصالي اللصيق بالتعبير عن الحاجات الاجتماعية. لكن اللغة تُزوَّدُ باستمرار بألوان من الجمل الجديدة ذات الطابع الفني على أيدي المبدعين من متحدثي اللغة.

وقد تبين أن الاستعمال الوظيفي يقف وراء الاتحاد في الدلالة مع تعدد الشكل، وذلك على مستوى الأصوات، وقد مثلنا بصوت (القاف)، الذي ينطق على صور مختلفة في البلاد العربية. ومثل ما قيل عن القاف يمكن قوله عن أصوات أخرى كالجيم.

ويقف الاستعمال الوظيفي وراء ظواهر لغوية بارزة في العربية تتعلق بالكلمة مثل ظاهرة (الترادف)، الذي ينشأ نتيجة لاتحاد كلمات مختلفة في استعمالها الوظيفي. وظاهرة أخرى مثل (تعميم الدلالة) الذي قد ينشأ عنه اتحاد كلمات في استعمالها. وظاهرة (المشترك اللفظي) ذات صلة بالاستتعمال الوظيفي، فالمستعمل لا يحفل بأسباب الاشتراك. بل اللفظ عنده متعدد الوظائف.

ومن هذه الظواهر النقل إلى الأعلام، فما الأعلام إلا ألفاظ لغوية، لكنها تستعمل استعمالا وظيفيًّا تتخلف معه دلالاتها اللغوية الأساسية.

أما على مستوى التركيب فإن هذا الاستعمال يقف وراء حدوث ألوان من التراكيب التي هي من قبيل القوالب اللغوية ، وهي تلازمات نشأت بسبب هذا الاستعمال الوظيفي. وهو سبب أيضًا لحدوث بعض التغيرات في التراكيب على نحو ما حدث في (سلخير) ، و(شو) ، و(أبسافر) ، و(تينام). وكلها تراكيب بينت أصولها بما يغني عن الإعادة.

وهو سبب في حذف بعض عناصر بعض التراكيب مثل : (يا بابا) ينادي بها الأب ابنه ، و(يا ماما) تنادي الأم بها ابنها أيضًا ، حيث حذف من التركيبين لفظ (حبيب). وتتولد بعض الألفاظ نتيجة لهذا اللون من الاستعمال مثلنا على ذلك بكلمة (بناخي) ، و(جاب). وقد ينتقل التركيب من دلالته الأصلية بسبب استعماله وظيفيًّا إلى مجال آخر ، مثال ذلك : (عطف عليه) ، (صبر على المكروه) ، (تهجد في الليل).

وربما تختفي المادة اللغوية من اللهجة إلا من بقية متمثلة في بعض التراكيب ذات الاستعمال الوظيفي ، مثال ذلك مادتا : (رحل) ، و(خرج) في لهجة القصيم من نجد.

وحين نتأمل التراكيب ذات الاستعمال الوظيفي نجد أن لها علاقة خفية بالمعنى الحرفي للتركيب ، وهو المعنى اللغوي الذي تدل عليه الألفاظ في الأصل. من ذلك : التركيب (لله دره) ؛ فهو من حيث الاستعمال الوظيفي إعجاب بالفاعل ، ولكنه في الأصل دعاء له. والعلاقة بينهما هي أن الإنسان حين يعجب بشخص ما فإن إعجابه قد يدعوه إلى الدعاء له. وقد تكون العلاقة هي علاقة المشابهة ، مثال ذلك : (وقع في ورطة). وقد تكون العلاقة أيضًا التعليل وبيان السبب أو المسبب ، مثال ذلك : (الغشيم يدخلك

الذرة)، و(أخذنا بشراع وميداف)، و(نايم على ودانه)، و(مسحوب من لسانه). فحين نتأمل المعاني الأساسية نجدها أسبابًا للمعنى الوظيفي، فدخول الذرة بسبب الخوف، واستعمال الشراع والمجداف سبب للسرعة، والنوم على الأذن يقفلها فلا تسمع، والسحب على اللسان أطاله.

ونجد أن الجملة العربية بأشكالها المختلفة تقريبًا قد نقلت من معانيها الأساسية، واستعملت استعمالا وظيفيًّا. من ذلك:

جملة الدعاء: (ترِبت يداك). للمداعبة والحثّ على أمر.

جملة الاستفهام: (وين الدنيا، وين هله). للبعد الزمني.

جملة الأمر: (سِكْتَو) للبعد الزمني، (اذكر الله) للاستمهال.

جملة النفي: (ما يمغط ظهره) للانشغال.

جملة الشرط: (وإلا). للتهديد. و(إن شا الله) للوعد، وبمعنى نعم.

جملة النداء: (يلله). بمعنى هيّا.

جملة القسم: (أي والله). بمعنى نعم، و(والله انه). للتقليل من شأنه.

الجملة الخبرية: (الله المستعان) . للبعد الزمني.

وقد عرضنا في الصفحات السابقة إلى جانب من جوانب الاستعمال الوظيفي وهو الجانب المتعلق بتعليم اللغة، فبينا أن تعليم المعنى الوظيفي بمعزل عن المعنى اللغوي الأساسي قد يحدث بعض اللبس عند المتلقي. ثم بينا أيضًا أن إهمال المعنى الوظيفي عند الترجمة والاعتماد على المعنى الحرفي للكلمات، والتراكيب يفضي إلى نتائج غير موفقة في الغالب.

ولابدّ لنا أن نبين هنا أن اللفظ، أو التركيب قد يكون له استعمالان استعمله الأساسي المعجمي، واستعمله الوظيفي، مثال ذلك: (سكتو)،

فهي أمر بالسكوت. وهي وظيفيًّا دالة على البعد الزمني. ومثل كلمة (المرور) في: (المرور ممنوع في هذا الشارع). و(المرور يخالف المسرعين).

وبعد فإن أمثلة الاستعمال الوظيفي كثيرة متنوعة، وتزداد على الدوام، لذا فهي تحتاج إلى جهود كبيرة لجمعها وتصنيفها، وحسبنا في هذه الصفحات أنْ بيّنا بعض جوانبه.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين:

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج١، القاهرة : دار نهضة مصر.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد:

تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون وآخرون، ج٩، ١٤، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، دون تاريخ.

إسلام، عزمي:

مفهوم المعنى، دراسة تحليلية، الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٥م.

الأسنوى، جمال الدين:

الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، تحقيق محمد حسن عواد، عمان: دار عمار(ط١)، ١٩٨٥م.

الأنباري، أبو بكر محمد:

الزاهر، تحقيق حاتم صالح الضامن، بغداد: دار الرشيد (ط١)، ١٩٧٩م.

أنيس، إبراهيم:

في اللهجات العربية، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، (ط٤)، ١٩٧٣م.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة:

صحيح البخاري، م٣/ج٧، القاهرة: دار الشعب.

البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد:
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.
البغدادي، عبد القادر بن عمر:
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٣، القاهرة: دار الكاتب العربي، (ط١)، ١٩٦٨م.
البكري، حازم:
دراسات في الألفاظ العامية الموصلية، بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٧٢م.
التكريتي، عبد الرحمن:
جمهرة الأمثال البغدادية، بغداد: المجمع العلمي العراقي(ط١)، ١٩٧١م.
تيمور، أحمد:
- الأمثال العامية، القاهرة: لجنة نشر المؤلفات التيمورية (ط٣)، ١٩٧٠م.
- الكنايات العامية، القاهرة: لجنة نشر المؤلفات التيمورية (ط٣)، ١٩٧٠م.
الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن:
أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتر، استانبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان:
الخصائص، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٩٥٤م.
الجهيمان، عبد الكريم:
الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب. الرياض: دار أشبال العرب(ط٢) ١٣٩٩هـ.
الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد:
الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين(ط١)، ١٩٧٩م.
حموده، طاهر سليمان:
دراسة المعنى عند الأصوليين، الاسكندرية: الدار الجامعية، ١٩٨٣م.
الخولي، محمد علي:
الأصوات اللغوية، الرياض: مكتبة الخريجي، (ط١)، ١٩٨٧م.
بن درستويه، عبدالله بن جعفر:
تصحيح الفصيح، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد: وزارة الأوقاف، ١٩٧٥م.
راضي، عبد الحكيم:
نظرية اللغة في النقد العربي، القاهرة: مكتبة الخانجي، (ط١)، ١٩٨٠م.
رضا، أحمد:
قاموس رد العامي إلى الفصيح، بيروت: دار الرائد العربي، (ط٢)، ١٩٨١م.

الرومي، أحمد البشر وكمال صفوت:
الأمثال الكويتية المقارنة، جـ١، ٤، الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٧٨م.
الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:
- الكاشف، بيروت: دار الفكر (ط١)، ١٩٧٧م. (مصور عن مطبعة: مصطفى الحلبي، القاهرة: ١٩٦٦م).
- أساس البلاغة، القاهرة: دار الكتب(ط٢)، ١٩٧٢م.
- المفصل في صنعة الإعراب، بيروت: دار الجيل(ط٢ مصور عن طبعة سنة ١٣٢٣هـ. بعناية النعساني).
سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر:
الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
ابن سيده، علي بن إسماعيل:
المخصص، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٢١هـ.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية، ١٩٧٥م.
الشمسان، أبو أوس إبراهيم:
- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ط١ القاهرة: مطابع الدجوى، ١٩٨١م.
- حروف الجر: دلالاتها وعلاقتها، ط١، جدة، مطبعة المدني، ١٩٨٧م.

- الفعل في القرآن الكريم، تعديته ولزومه، الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٦م.
- قضايا التعدى واللزوم في الدرس النحوي، ط١ جدة: مطبعة المدني، ١٩٨٧م.

الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى:

- شرح ديوان أمرئ القيس بن حجر الكندي، بعناية الشيخ ابن أبي شنب، الجزائر: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م.
- شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، (ط٣)، ١٩٨٠م.

الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن:

العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، حرف الفاء، بغداد : وزارة الثقافة، (ط١)، دون تاريخ.

الطيبي، شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله:

التبيان في البيان، تحقيق: توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، الكويت: جامعة الكويت (ط١)، ١٩٨٦م.

ابن عاصم، أبو طالب المفضل بن سلمة:

الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

عبد التواب، رمضان:

التطور اللغوي وقوانينه، مجلة كلية اللغة العربية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٩٧٥م-ع٥).

عبد الجليل، محمد بدري:
المجـاز وأثـره في الـدرس اللغـوي، الاسـكندرية: دار الجامعـات المصرية، ١٩٧٥م.
عبد العال، عبد المنعم سيد:
معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية القاهرة: مكتبة الخانجي (ط٢)، ١٩٧٢م.
العبودي، محمد بن ناصر:
الأمثال العامية في نجد، الرياض: دار اليمامة ١٩٧٩م.
أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروى:
- غريـب الحـديث، ج٢، حيـد آبـاد: دار المعـارف العثمانيـة، ١٩٦٤م.
- كتاب السلاح، تحقيق حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة (ط٢)، ١٩٨٥م.
أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي:
مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي، (ط٢)، ١٩٨٥م.
ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله:
شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، القاهرة: مطبعة الفجّالة الجديدة، ١٩٦٧م.
العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم:
الطراز، ج١، القاهرة: دار الكتب الخديوية، ١٩١٤م.

عمر، أحمد مختار:

- علم الدلالة، الكويت: دار العروبة(ط١)، ١٩٨٢م.
- اللغة واللون، الكويت: دار البحوث العلمية (ط١)، ١٩٨٢م.

عياد، شكري محمد:

طاغور شاعر الحب والسلام، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٤م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا:

الصاحبي، تحقيق مصطفى الشويمي وسالم بن دامرجي بيروت: مؤسسة أ. بدران، ١٩٦٣م.

الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد:

المسائل البغداديات، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، بغداد: وزارة الأوقاف، ١٩٨٣م.

فريحة، أنيس:

معجم الألفاظ العامية، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٣م.

قاسم، عون الشريف:

قاموس اللهجة العامية في السودان، القاهرة: المكتب المصري الحديث (ط٢)، ١٩٨٥م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: دار التراث، (ط٢)، ١٩٧٣م.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن:

الإيضاح في علوم البلاغة، ج١ ، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية،

لعيبي، حاكم مالك:

الترادف في اللغة، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م.

ابن مالك، محمد بن عبد الله:

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

المسدي، عبد السلام:

التفكير اللساني في الحضارة العربية، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م.

المنصور، وسمية عبد المحسن:

عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب، الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٦م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم:

لسان العرب، القاهرة: (طبعة بولاق)، ١٣٠٨هـ.

الموسى، نهاد:

النحت في اللغة العربية، الرياض: دار العلوم، (ط١)، ١٩٨٤م.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل:

إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، بيروت: مكتبة النهضة العربية (ط٢) ١٩٨٥م.

النوري، عبد الله:
الأمثال الدارجة في الكويت، بيروت: مكتبة دار أعلام الفكر، دون تاريخ.
النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف:
رياض الصالحين، بعناية: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة (ط١)، ١٩٨٢م.

تباين كتابة الأسماء العربية في الحروف والتشكيل: صوره وأسبابه

الأسماء ألفاظ لغوية ينالها ما ينال الألفاظ من تغيرات صوتية وصرفية، والأسماء مستعملة في المستوى الرسمي الذي تحكمه اللغة الفصيحة، كما أنها مستعملة في لغة الخطاب اليومي الذي تحكمه اللهجات المختلفة.

وتنبع المشكلات التي تثيرها قضايا الرسم من ناحيتين إحداهما أن الأسماء قد تكتب وفاقًا لنطقها اللهجيّ المحليّ بكل ما قد يكون فيه من بُعد عن أصله الفصيح، وما قد يعرض لها من أخطاء وأوهام، والأخرى: أنها قد تكتب وفاقًا لمقتضى الكتابة العربية الفصيحة. ويقضي قرار مجلس الوزراء رقم ٣٥ في ١٤٠٢/٢/٢٧هـ بأن تكتب الأسماء في الوثائق الرسمية وفاق ما تنطق به، بحيث لا يفرض شكل معين لكتابة الأسماء، بل تترك للمتعارف عليه. ولكن الأمر السامي رقم ٣٥٣٠/٧/م في ١٤٠٤/١١/١٥هـ يقضي بالتزام قواعد اللغة العربية في جميع الاستعمالات مع التركيز على كتابة الأسماء بصورة واضحة. ولذلك قد نجد للاسم الواحد أكثر من رسم واحد، مع أنه قد تتعدد صور نطقه وهذا قد يشكل عند كتابة الاسم بأحرف لاتينية.

جوانب التباين وأسبابه:

١) تباين رسم الاسم بسبب المماثلة الصوتية:

متى تجاورت الأصوات ذات المخرج الواحد أو المتقاربة مخرجًا، فإنها قد تتماثل تماثلا تامًا أو ناقصًا حسب طبيعة هذه الأصوات، وذلك لدفع ما

يجده اللسان من عَنَتٍ عند نطق أصوات متقاربة[1]. ومن أجل ذلك نجد رسمين للاسم أحدهما روعي فيه أصل الاسم قبل تغيره والثاني روعي رسمه بما يطابق اللفظ المسموع. مثال ذلك نطق السين صادًا في بعض الأسماء بسبب مجاورتها لصوت مطبق أو مفخم:

س ß ص

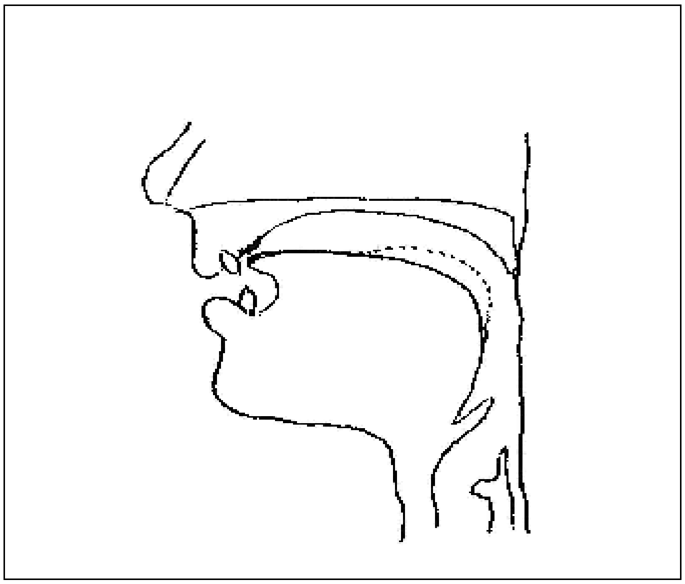
ومن أمثلة ما يقع فيه التماثل من الأسماء الاسم: سلطان.

سلطان- (بالمماثلة) ß صلطان

السين والطاء من مخرجين متجاورين؛ ولكن الطاء مطبقة أي أن مؤخرة اللسان ترتفع عند النطق بها، وهذا التهيؤ للارتفاع من اللسان أثر على السين فاكتسبت صفة الإطباق، والسين إذا اكتسبت هذه الصفة سمعت صادًا، وليس بين السين والصاد فرق إلا في هذه الصفة(الإطباق)، أي أن الصاد سين مطبقة.

(١) أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**، ص٣١٩.

س ß ص



رسم يوضح وضع اللسان عند نطق السين وترمز النقط لوضع اللسان عند نطق الصاد[1].

ويمكن أن نبين هذا التغير في جدول رقم (١).

اتجاه التغيــــر ß			
غير مطبق	**مطبق**	**مطبق**	**مطبق**
س	ط	ص	ط

جدول رقم (١)

(١) منصور بن محمد الغامدي، **الصوتيات العربية**، ط١، (الرياض: مكتبة التوبــة،٢٠٠١م)، ص٥٨.

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن الأسماء المبينة في الجدول رقم (٢).

الاسم	النطق المحلي	الرسم الإملائي
ساطي	صاطي	ساطي / صاطي
سخي	صخي	سخي / صخي
سطام	صطام	سطام / صطام
سلطانة	صلطانة	سلطانة / صلطانة
سميدع	صميدع	سميدع / صميدع
سواط	صواط	سواط / صواط
سيقل	صيقل	سيقل/ صيقل
مسلط	مصلط	مسلط / مصلط

الجدول رقم (٢)

وهذا التغير ليس جديدًا في الجزيرة العربية بل قديم، قال سيبويه عن هذه السين: ((تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو صُقْت وصَبقْتُ. وذلك أنها من أقصى اللسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصعّدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى... فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجه واحد، وهي الصاد؛ لأن الصاد تصعّد إلى الحنك الأعلى للإطباق، فشبهوا هذا بإبدالهم الطاء في مصطبر والدال في مزدجر، ولم يبالوا ما بين السين والقاف من الحواجز؛ وذلك لأنها قلبتها على بعد المخرجين فكما لم يبالوا بُعد المخرجين لم يبالوا ما بينهما من الحروف إذا كانت تقوى عليها والمخرجان

متفاوتان))[1]، وقال الجوهري في مادة [ص/د/غ]: ((قال قطرب محمد بن المستنير: إن قومًا من بني تميم يقال لهم بَلْعنبر يقلبون السين صادًا عند أربعة أحرف: عند الطاء، والقاف، والغين، والخاء إذا كنّ بعد السين؛ ولا تبالي أثانية أم ثالثة أم رابعة بعد أن تكون بعدها. يقولون: سراط وصراط، وبسطة وبصطة، وسيقل وصيقل، وسرقت وصرقت، ومسغبة ومصغبة، ومسدغة ومصدغة، وسخّر لكم وصخّر لكم، والسخب والصخب))[2]. وليست هذه الظاهرة خاصة بمن ذكر قطرب بل نسبت إلى غيرهم من القبائل.

ومن المماثلة قلب النون الساكنة ميمًا إذا جاء بعدها الباء:

جنبي ß جمبي

فالباء الشفوية حوّلت الصوت الخيشومي إلى النظير الشفوي، وهو الميم التي تجمع بين صفتي الشفوية والخيشومية، وبمعنى آخر ماثلت النون الباء في مخرجها وهو الشفتان. والأسماء التي يجري فيها هذا اللون من التغير الصوتي وجدنا الاسم الواحد منها يرسم برسمين أحدهما وافق فيه الرسم اللفظ، وأحدهما بقي الرسم حسب أصل المادة.

ومن المماثلة أيضًا مماثلة اللام الشمسية للأصوات بعدها وهي الأصوات القريبة منها مخرجًا. ومعلوم أن هذا قانون لغوي عام، وأنه لا يتمثل في الرسم، وإنما في الصوت فقط. ومع هذا، فقد وجدت بعض الأسماء نوعًا من التدوين الذي خالف هذه القاعدة الإملائية، حيث طابق

---

(١) أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٦م) ٤: ٤٧٩-٤٨٠.

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، تحقيق:أحمد عبدالغفور عطار، (بيروت:دار العلم للملايين،١٩٧٩م) ٤: ١٣٢٣.

الرسم الصوت، فظهرت لنا بعض الأسماء برسمين، الرسم الذي وافق القاعدة الإملائية المعروفة، ورسم خالف القاعدة ووافق الصوت، من هذه الأسماء: (الدّانة)؛ نجد لها رسمًا آخر هو (ادانة)، و(الرّويلي) له رسم آخر هو(ارويلي)، و(الرازن) له رسم آخر (ارازن).

ق ß ك

تنطق القاف في بعض لهجات الجزيرة طبقية مجهورة (گ) أي من مخرج الكاف، ولذلك وجدنا بعض الأسماء كتبت بالقاف رعاية لنطقه الفصيح ورأيناه مكتوبًا بالكاف رعاية لنطقه بالقاف الطبقية المجهورة، من هذا الاسم (شقحاء) الذي قد ينطق (شقحا، أو شقحه) نجده يكتب أيضًا (شكحة)، ومثله الاسم (طاشقندي) رأيناه يرسم بالكاف أيضًا (طاشكندي)، وهذا لا يعني أنهما ينطقان بالكاف فالراجح عندي أنهما ينطقان (شكَحه، طاشكَندي).

٢) تباين رسم الاسم بسبب المماثلة الخطية:

نجد من أسمائنا ما يكتب برسمين أما أحدهما فهو: بمتابعة الرسم الخط وأما الآخر فيكون بالتخلص من أحد المتماثلين خطًّا، ومثال ذلك (داوود/ داود)، وهذا الأمر موروث من القدماء، فقد اختلفوا في كتابة مثل هذا الاسم إثباتًا وحذفًا، قال ابن السراج: "فأما الواو فنحو: مقروء، وكان الأصل أن يكتب بواوين ولكن كره لاجتماع الصورتين[١]، وعند الإضافة إلى ضمير "قلت في مقروء: هذا مقرؤك، ومقرؤه، وتكتب بواو واحدة كما

---

(١) أبوبكر محمد بن السري بن السراج، **كتاب الخط**، تحقيق: عبدالحسين محمد، مجلة المورد، بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٦م، ١١٨.

كتبت قبل الإضافة"[١]. ومثّل له ابن درستويه في قوله: "وأما إحدى الواوين في مثل: داود، وطاوس ومؤنة وشؤن ورؤس ومسؤل وشاؤا وجاؤا جميعًا، وهم يجيئون، ويسيئون[٢] ويقرؤن ويستون ويجتون وهم مجتون ولم يستوا حذفوا كل ذلك لاجتماع الواوين وانضمام إحداهما"[٣]. وذكر ابن السراج أن الأقيس في حذف إحدى الواوين إذا ضمت الواو الأولى، وذكر أن منهم من يكتب نحو الأمثلة المذكورة بواوين[٤]. وفي المقابل نجد من يحذف ما حقه الإثبات، مثال ذلك ما نجده من كتابة الاسم (يحيى) بياء واحدة (يحي) توهموا أن النقطتين لصورة الألف المقصورة المرسومة ياء.

٣) تباين رسم الاسم بسبب الخلط بين الضاد والظاء:

الخلط بين هذين الصوتين نطقًا ورسمًا قديم، أحسه علماء العربية إحساسًا دفعهم إلى تأليف الكتب والمنظومات التي تعلّم الناس وتجنبهم هذا الخلط، فقد بدأ التأليف في بيان الفرق بينهما منذ أواخر القرن الثالث الهجري[٥].

---

(١) السابق: ١١٨-١١٩.

(٢) هكذا في المطبوع ولعلها: يجيؤن، ويسيؤن. وقد نسبه إلى خطأ بعض الكاتبين أبو تراب الظاهري، انظر: لجام الأقلام، ط١، (جدة: تهامة، ١٩٨٣)، ص ١٦. وانظر: ص ٢٤ وفيه نقل نص تخطئة الأمير في حاشيته على المغني لمن يكتب الهمزة ياء مثل (مسئول).

(٣) عبدالله بن جعفر بن درستويه، كتاب **الكتاب**، تحقيق: إبراهيم السامرائي وعبدالحسين الفتلي، (الكويت: دار الكتب الثقافية، ط١، ١٩٧٧م.) ٦٧.

(٤) ابن السراج: ١٢٧.

(٥) أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، **زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء**، تحقيق: رمضان عبد التواب (بيروت: دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، ١٩٧١م)، مقدمة المحقق، ص ٢٣.

وربما يعود هذا الخلط إلى التداخل القديم بين اللهجات العربية ؛ ذلك أن الضاد في لهجة تميم تقابل الظاء في بعض الألفاظ في لهجات أخرى ، فقد وردت : اغتاظ واغتاض ، بالظاء لغة الحجاز ، وبالضاد لغة تميم ، ومن ذلك قول أهل الحجاز وطيّئ : فاظت نفسه ، وأما قضاعة وتميم وقيس فيقولون : فاضت نفسه[1].

ونحن نلمح آثار هذا الخلط في نطق الأسماء التي تتضمن الضاد إذ تنطق ظاء على الدوام ، وانعكاس هذا الخلط على الرسم حيث وجدنا بعض الأسماء له رسمان ، أحدهما بالضاد والآخر بالظاء ، وفي المقابل نجد أن ما يجب رسمه بالظاء قد رسم بالضاد ، فصار له رسمان متداولان أحدهما بالظاء والآخر بالضاد ، مثل الأسماء المبينة في جدول رقم (٣).

الاسم بالضاد	رسمه بالظاء	الاسم بالظاء	رسمه بالضاد
تاضي	تاظي	حظاظ	حضاض
خضران	خظران	حظيظ	حضيض
ضاحي	ظاحي	حظيه	حضيه
ضبيب	ظبيب	ظافر	ضافر
ضفيدع	ظفيدع	ظبية	ضبية
ضيف الله	ظيف الله	ظويهر	ضويهر
عايض	عايظ	حفيظ	حفيض

(١) غالب فاضل المطلبي، **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة،** (بغداد: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م)، ص: ٩٤-٩٥.

الاسم بالضاد	رسمه بالظاء	الاسم بالظاء	رسمه بالضاد
عواضه	عواظه	حفيظة	حفيضة
عوضه	عوظه	حنيظل	حنيضل
عيضه	عيظه	حويفظ	حويفض
غاضي	غاظي	محيفظ	محيفض
معيض	معيظ	مغيظ	مغيض
موضي	موظي	مغيظه	مغيضه

جدول رقم (٣)

وقد يؤدي هذا الخلط إلى المشكلات على نحو ما نقلت لنا جريدة اليوم في الصفحة الأخيرة تحت عنوان (ضاد بعصا توقف مستحقات شرطي) واسم الشرطي ضيف ولكن كتب اسمه على شيك بالظاء (ظيف) فتوقف البنك في صرفه[١].

٤) تباين رسم الاسم بسبب إبدال الجيم شينًا مجهورة:

مثال ذلك نطق الاسم (جوّال) الذي رسم بخط الخطاط في الصحيفة[٢]؛ وقد جعل تحت الجيم ثلاث نقط جوّال (جوال).

الجيم تنطق في شمال الحجاز شينا مجهورة، وقد رحلت هذه الظاهرة مع القبائل التي رحلت إلى الشام فكانت الجيم التي تسمع اليوم في الشام كما

---

(١) جريدة **اليوم**، عدد ١٠٨٦٠يوم الإثنين ٧محرم ١٤٢٤هـ. الصفحة الأخيرة.

(٢) صحيفة **الرياض**، ع ٩٤٣٨، الأربعاء ١٦ ذو القعدة ١٤١٤هـ.

تسمع اليوم في الحجاز، وقد ذكر سيبويه الجيم التي قد قربت من الشين من مثل قولهم في الأجدر الأشدر، وقد نبّه إلى أنها ليست شينًا خالصة[1].

وكتب في مجلة عالم الكتب اسم الباحث من العراق جوّال (چوال) (عباس هاني الجراخ) بجيم بنقاط ثلاث (الـچراخ)[2].

٥) تباين رسم الاسم بسبب إبدال الهاء من الألف:

عقد ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب بابًا لهذا الإبدال ذهب فيه إلى أن الألف قد تبدل منها الهاء في مثل: (هُنه) أي: هنا، و(أنه) أي: (أنا)، أو أنّ هذه الهاء للسكت[3]. ونسبت هذه الظاهرة إلى عليا تميم وسفلى قيس[4]. والمحدثون لا يرون الألف تتحول إلى (هاء)، وإنما الذي يسمع هو امتداد صوتي (هاء سكت). أما الألف فقد قصرت.

ونجد الأسماء في المملكة قد تتعرض في بعض اللهجات إلى شيء من هذا القبيل من حيث النطق، ولقد ظهر هذا في بعض صور رسم تلك الأسماء، وعلى سبيل المثال نجد الاسم: (أسماء) ينطق بألف مقصورة في بعض اللهجات؛ وينطق أيضًا بالهاء التي هي هاء السكت أو مثلها، فيرسم على هذا النحو: (أسمَه)، ومثله هذه الأسماء التي يضمها جدول رقم(٤).

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٤: ٤٧٩.

(٢) **عالم الكتب**، مجلد ٢٤،عدد ٣-٤،عام ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني. **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن الهنداوي، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٨٥م.)، ٢: ٥٥٥.

(٤) البغدادي. **خزانة الأدب**، ١١: ٢٢٩.

رسمه بالهاء	رسمه بالألف المقصورة	الاسم
خضره	خضرا	خضراء
حسنه[1]	حسنا	حسناء
شرعه	شرعا	شرعاء
وضحه	وضحا	وضحاء
سلْمه	سلمى	سلمى
صبحه	صبحا	صبحاء
عفره	عفرا	عفراء
غزوه[2]	غزوى	غزوى
فدوه	فدوى	فدوى

جدول رقم (٤)

٦) تباين رسم الاسم بسبب إبدال الألف من الهاء:

هذه الظاهرة عكس الظاهرة السابقة؛ إذ نجدها في الأسماء المؤنثة التي تنتهي بتاء التأنيث. وتاء التأنيث تسمع في العربية عند الوقف هاءً، غير أن بعض اللهجات تغير هذه الهاء إلى ألف. واختلف القدماء في تفسير هذه التغيرات، إذ يعتمد رأي القدماء على فكرة الإبدال، وإن لم يكن لهذا سند صوتي متين، وذهب بعض المحدثين[3] من الأصواتيّين إلى أن التاء تحذف، وأنَّ ما

(١) قد يكون هذا الاسم مؤنث الاسم حسن، أي حسنة.

(٢) وهو مطابق في رسمه للاسم (غزوة) مفرد غزوات.

(٣) داود عبده، **أبحاث في اللغة العربية** (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٣م)، ص١٤٢. **ودراسات في علم أصوات العربية**، (الكويت: مؤسسة الصباح، د. ت.)، ص٦٧. جواد=

يتخلف بعد حذفها صويت أو خفقة صوتية يتوهمها السامع هاء، على أن بعض اللهجات تشبع هذا الصويت حتى يكون كالألف. ويؤيد هذا اللون من النطق بعض صور رسم الأسماء ونضرب لذلك مثلاً جدول رقم (٥).

الاسم	رسم بهاء	رسم بألف
دانة	دانه	دانا
ديمة	ديمه	ديما
رابحة	رابحه	رابحا
رندة	رنده	رندا
ريمة	ريمه	ريما
زهرة	زهره	زهرا
صبيحة	صبيحه	صبيحا
ضحيّة	ضحيّه	ضحيّا
عزّة	عزّه	عزّا

الاسم	رسم بهاء	رسم بألف
عائشة	عائشه	عائشا
عيشة	عيشه	عيشا
فادية	فاديه	فاديا
قماشة	قماشه	قماشى
مروة	مروه	مروى
نورة	نوره	نورا
نادية	ناديه	ناديا
هديّة	هديّه	هديّا
هيلة	هيله	هيلا

جدول رقم (٥)

إنّ وجود رسمين لعلامة التأنيث يدل على أن هناك تنوعًا لهجيًّا يمثله اختلاف الرسم، ويدل من جهة أخرى على أن الرسم قد يأتي موافقًا النطق الفصيح لا النطق المحلي اللهجي. وثَمَّ احتمال لا يمكن إغفاله وهو أن الرسم بالألف بدلاً من الهاء قد يكون إسقاطًا لهجيًّا من خارج المنطقة التي يستخدم

= محمد الدخيّل، **"الوقف في كتاب سيبويه"**، رسالة ماجستير (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ)، ص ١٠٣.

فيها هذا الاسم، وأن الذين يتولون تسجيل الأسماء في المدارس والجامعات إنما يكتبون الأسماء في بعض الأحيان حسب النطق الذي ألفوه، وخاصة حين يكون الرسم لاسم من منطقة نعرف أن الاسم المؤنث فيها لا تتحول الهاء فيه إلى ألف مثل منطقة نجد، مثل الاسم (قماشة) ؛ إذ نميل إلى أن كتابته بالألف خطأ كاتب.

٧) تباين رسم الاسم بسبب إبدال القاف جيمًا :

قد تقلب القاف في حوطة بني تميم والمنطقة الشرقية وما جاورها من دول الخليج إلى الجيم وظهر هذا جليًّا في الأسماء، ونمثل لها بهذه الأسماء : جابل أي : قابل، جاسم أي : قاسم، عجيل أي : عقيل، الشايجي أي : الشايقي. وهذا النطق تميمي يسمع إلى اليوم في حوطة بني تميم، فهم يقولون : جد بيع : قد بيع، عجيد : عقيد، جليب : قليب، شجة : شقة[1].

٨) تباين رسم الاسم بسبب إبدال الذال :

أ- إبدالها دالاً : تقلب الذال في بعض اللهجات العربية، منها لهجة المدن الحجازية مكة والطائف وجدة والمدينة، وقد تأثرت بذلك كتابة بعض الأسماء نجد منها :

ذيبان ß ديبان

ذيب ß ديب

ذهب ß دهب

---

(١) انظر أمثلة أخرى: محمد الباتل الحربي، **اللغة المحكية في حوطة بني تميم**،ط١،الرياض:مركز حمد الجاسر الثقافي،٢٠٠٨م،ص٧٠.

ب- إبدالها ضادًا: النظير المطبق للدال في النطق المعاصر هو الضاد، ولذلك نجدها في الاسم (مذخر) قد نطقت عند بعضهم بالضاد (مضخر)، والعلة في ذلك أن الخاء صوت طبقي أثّر على نطق الذال، كان المتوقع أن ينطق بالنظير المطبق له وهو[مظخر]. ولعله نطق بهذا، ولكن الخلط في النطق والرسم بين الظاء والضاد هو الذي جعلهم يكتبون الاسم هذه الكتابة، وهي كتابة نادرة.

٩) تباين رسم الاسم بسبب تغيير الهمزة:

أ- تسهيلها:

ذكر سيبويه في معرض حديثه عن الهمزة أنها إذا كانت ساكنة وقبلها فتحة فأردت تخفيفها أبدلت مكانها ألفًا، وذلك قولك في: رأس، وبأس، وقرأت: راس، وباس، وقرات. وإن كان ما قبلها مضمومًا أبدلت مكانها واوًا، كقولك في الجؤنة، والبؤس، والمؤمن: الجونة، والبوس، والمومن. وإن كان ما قبلها مكسورًا أبدلت مكانها ياء، مثل: الذئب، والمئرة: الذيب والميرة[١]. وإن يكن تسهيل الهمزة- أي تخفيفها- لهجة للقبائل الحجازية مثل هذيل، فإن الظاهرة انتشرت على مستوى اللهجات العربية في الوقت الحاضر في الجزيرة العربية وفي غيرها من الأقطار العربية.

ومن القواعد المقررة في العربية أن عين الأجوف تقلب همزة في بناء اسم الفاعل منه على (فاعل) نحو: قائل من (قال/يقول) وبائع من (باع/يبيع). وعلل سيبويه ذلك بأن العرب كرهوا تركه على أصله دون تغيير

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٣: ٥٤٣-٥٤٤. والمئرة الثأر.

كأنه غير معتل كما كرهوا تسكين العلة جوار الألف أو حذفها فيلتبس بغيره[1].

أما الأعلام التي على بناء (فاعل) في الوقت الحاضر، فلا تكون العين منها مهموزة؛ لأنها قد سهلت؛ ولذلك جعل في موضع الهمزة الياء لانكسار الهمزة بغض الطرف عن أصل الهمزة؛ تستوي في ذلك الواو والياء. أما رسم الأسماء، فإنا نجد طائفة كبيرة منها كتبت على طريقتين؛ إحداهما تمثل النطق المحلي اللهجي المجمع عليه في الجزيرة العربية، وربما في غيرها من الأقطار العربية. على أن النطق الفصيح المهموز، وإن يكن غير مسموع في الأسماء القديمة التي كانت متداولة في المجتمع قبل النهضة التعليمية؛ فإنه التزم في نطق هذه الأسماء الحديثة التي استمدت من المستوى الفصيح ومثلت استلهامًا للتراث العربي الفصيح. ويتبين الفرق بين الاستخدامين من الموازنة بين الاسمين: (فائز)، و(وائل). فالأول قد يكتب بالهمزة أو بالياء لكن نطقه المتداول بالياء لأنه اسم قديم في الاستخدام اللهجي، بخلاف وائل الذي أكثر ما ينطق بالهمزة لا الياء؛ لأنه وإن يكن عربيًا قديمًا، فإن استخدمه في اللهجات قليل حتى انحدر من المستوى الفصيح فحافظ على صفته الفصيحة.

والاسم إذا كان مرسومًا بالهمزة، فهو يحتمل أن يكون مهموزًا في اللفظ، كما يحتمل أن يكون غير مهموز، والفيصل ما ذكرناه من ظروف استخدام الاسم. أما الاسم الذي نجده يرسم بالياء، فهذا يقطع بأنه ينطق بالياء، ولا يدفع هذا أن يكون مما ينطق بالهمزة أيضًا نظرًا لملابسات التسمية

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٤: ٣٤٨.

التي قد تؤثر على شكل الاسم ونلمس هذا في الاسم (رائد)، فهو اسم حديث يفترض انه منحدر من المستوى الفصيح، ولكنّا نجده يُرسَمُ بالهمزة والياء وهذا دليل على أنه ينطق به على طريقتين بالهمز وبالتسهيل. ونذكر في جدول رقم (٦) أمثلة لظاهرة تسهيل الهمزة في الأسماء التي على بناء (فاعل).

الرسم بهمزة	الرسم بياء
بائن	باين
جائز	جايز
ذائب	ذايب
رائد	رايد
سائر	ساير
شائز	شايز
شائع	شايع
صائل	صايل
ضائف	ضايف
طائع	طايع
عائدة	عايدة

الرسم بهمزة	الرسم بياء
عائشة	عايشة
عائض	عايض
عائق	عايق
عائل	عايل
فائح	فايح
فائز	فايز
فائزة	فايزة
فائع	فايع
قائد	قايد
نائف	نايف
نائلة	نايلة

جدول رقم (٦)

ونجد من الأسماء ما خففت الهمزة منه، ولذلك له رسمان، أحدهما يمثل الشكل الفصيح غير المستخدم، وآخر بدون همزة يمثل النطق اللهجي، من

ذلك (لؤلؤة) بهذا الرسم، والرسم الآخر (لولوه)، وكذلك (اللؤلؤ) نجده يرسم حسب اللهجة (اللولو).

ب- حذفها:

ذكر سيبويه أن من التخفيف حذف الهمزة المتحركة وقبلها حرف ساكن مثل: منْ أَبوك؟ ومنْ أُمك؟ وكمْ إِبلك؟ تصير: منَ بوك؟ ومنُ مك؟ وكمِ بلك؟ ومثل ذلك: الأَحمر تصير: اَلَحْمر. والمرْأَة، تصير: المَرَة، والكمأة: الكَمَة[1].

وما تزال هذه الظاهرة حية نشهدها في الأسماء، فلدينا من الأسماء ما حذفت منه الهمزة لفظًا على سبيل التخفيف، ولكن الرسم قد يحتفظ بالهمزة، وقد يكتفى بصورتها وهي الألف. وقد تحذف الهمزة لفظًا وخطًا كما في الاسم (أبا بطين)، إذا أدخلت عليه (أل) التعريف (البابطين)، وكذلك الاسم (أحيمد) إذ جعلته مركبًا إضافيًا صدره (أبو) فتقول (أبو حَيمد).

والمستمع إلى لهجاتنا يجد أن بعض اللهجات في الجزيرة العربية تبدأ بالساكن خلافًا لما هو مشهور في قواعد العربية من امتناع البدء بالساكن[2]، من أجل ذلك نجدهم ينطقون الأسماء مثل : (مُحَمَّد) ß مْحَمَّد. بل إنهم قد يحذفون الهمزة من أول الاسم طلبًا للخفة وإن أفضى هذا إلى البدء بالساكن، مثل ذلك نطقهم الأسماء: (إبراهيم، إسماعيل) هكذا: (بْراهيم

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٣: ٥٤٥.

(٢) أبو علي الفارسي، **التكملة**، ١٨١.

سْماعيل). وما يزال هذا النطق شائعًا في نجد[١]. ولذلك نجد أسماء الأسر كتبت بدون همزة: (البراهيم، السماعيل، الدريس).

ج- قلبها واوًا:

ذكر ابن جني أن الواو تبدل من الهمزة تخفيفًا، مثل: هو يملكُ وحد عشر، أي: أحد عشر، ويضربُ وناة، أي: أناة، وعلل ذلك بأن الهمزة في الأصل واو؛ ولكنا نجد هذه الظاهرة في الأسماء وإن لم تكن الهمزة واوًا في الأصل، ولكنها مضمومة فلهذا الضم تبدل واوًا، ويبدو أن هذا الرسم يكون للأسماء في حالة توسطها أي كونها اسم أب أو جدّ، فإن كانت في البداية سبقت بهمزة وصل، مثل: (وْخَيطر ß اوْخاطر) ومن الأسماء التي أبدلت فيها الهمزة واوًا ما يضمه جدول رقَم (٧).

الرسم بالواو	الأصل بالهمزة
وُحيسن	أُحيسن
وُحيمر	أُحيمر
وُخيضر	أُخيضر
وُخاضير	أُخيضير
وْخيطر	أُخيطر

الرسم بالواو	الأصل بالهمزة
وْسيمر	أُسيمر
وْسيمير	أُسيمير
وْصيفر	أُصيفر
وِنيس	أنيس

جدول رقم (٧)

(١) أما في مناطق أخرى من الجزيرة مثل الحجاز،فهم يحركون الباء والسين الساكنتين من (بْراهيم) و(سْماعيل) بالكسرة توصلاً إلى نطقها، ولو استمعت إلى شخصين أحدهما من نجد والآخر من عسير ينطقان اسمًا واحدًا مثل (حمود) لأحسست الاختلاف اللهجي بينهما؛ إذ سينطق النجدي الاسم بسكون الحاء؛ أما العسيري فسينطق الاسم بفتح الحاء (حَمُود).

١٠) تباين رسم الاسم بسبب تسكين أوله وإدخال همزة الوصل :

هناك قاعدة صوتية مقررة في العربية ، وهي أنه لا يجوز البدء بساكن ولا الوقوف على متحرك ، فمتى اجتمع ساكنان فإنه يجري التخلص من اجتماعهما[١]. وقد جرت بعض اللهجات على حذف حركة الأول مع بعض الأسماء. مثل :

(رُشيد ß رْشيد)، و(نُويّر ß نْوَيّر)

ومعنى هذا أن الاسم يبدأ بساكن ، واللهجات المحلية بعضها يستسيغ البدء بالساكن ، ويجريه دون عناء ، ولكن بعض اللهجات لا تستطيع ذلك ؛ فتعمد إلى اجتلاب همزة وصل مكسورة تدخلها على الاسم :

رْشيَد (بهمزة وصل) ß اِرْشِيَد

نْوَيِّر (بهمزة وصل) ß اِنْوَيِّر

وهذه الهمزة لا تكتب في الغالب ؛ غير أنها قد ظهرت في بعض أشكال كتابة الأسماء مما جعل للاسم رسمين ، أحدهما بالهمزة ، والآخر بدونها. ومن ذلك الأسماء المذكورة في جدول رقم (٨).

اسم بدون همزة	الاسم بهمزة
بْداح	اِبداح
دْعيج	اِدعيج
شْرّيد	اِشريّد

اسم بدون همزة	الاسم بهمزة
فْطيمة	اِفطيمة
مْبيريكة	اِمْبيريكة
نْجود	اِنْجود

جدول رقم (٨)

---

(١) أبو علي الفارسي، **التكملة**، ص ١٨٣.

وقد يتوهم من لا خبرة له بهذه الطريقة اللهجية أن الاسم مزيد بهمزة القطع مثال ذلك ما جاء في معجم أسماء العرب، فقد رسم على أنه (أبْداح) وقيل عنه إنه على وزن (أفعال)(١).

١١) تباين رسم الاسم بسبب مطل الحركة:

توحي بعض رسوم الأسماء أن الحركة منها قد تعرضت للمطل، من ذلك الاسم (رنداء) الذي رسم (راندا)، وتركيز النبر على المقطع الأول هو ما سبب هذا المطل، ومثله (رُبى) رسمت (روبى). ومن ذلك الاسم (رهام) نجده قد رسم (ريهام). والاسم (رِحاب) كتب (ريحاب) والاسم (وِصال) كتب: (ويصال) وكتبت (مِرفْت) بالمطل (مِيرفْت)، والاسم(لُجين) كتب: (لوجين).

١٢) تباين رسم الاسم بسبب قلب المركب الصوتي (ـَو) و(ـَي) إلى ألف:

إن من الظواهر اللغوية التي لا يخطئها المراقب للهجات البادية في الجزيرة العربية ظاهرة تغيير الواو المسبوقة بفتحة أو الياء المسبوقة بفتحة إلى ألف، وتغيير الياء أكثر، فيقال في (عليكم): علاكم، وفي (بَيْض) باض. وقد يكون التغيير بجعل الياء كالألف الممالة نحو الياء لا أن تجعل ألفا خالصة، ومن الأسماء التي تمثل هذه الظاهرة، تلك المذكورة في جدول (٩) فالاسم (دْعيج) لا ينطق نطقه الفصيح (دُعَيْج) بحرف اللين أي بياء قبلها فتحة بل تحولت الفتحة والياء معًا إلى ألف مد ممالة نحو الياء كما في إمالة الألف من (عايد)، وكما تنطق (a) في الكلمة (take).

---

(١) معجم أسماء العرب، **موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب**، ط١ (مسقط: جامعة السلطان قابوس، ط١، ١٩٩١م) ١: ٥٠.

ويبدو - وفاقًا لإبراهيم أنيس - أن هذه المصوتات مرت بمرحلتين : المرحلة الأولى هي : مرحلة الإمالة ؛ إذْ أميل (ـَو) نحو الألف المفخمة فصار ينطق كما نطق (o) في الكلمة الإنجليزية(go) ، ثم بألف أقل تفخيمًا مثل (a) كما في الكلمة (care). ثم جعل ألفًا خالصة فيها شيء من التفخيم على نحو ما تحول المصوت الأول.

وأما (ماجود) – وهو علم - أي (مَوْجود) فليس خاصًا باللهجات البدوية ؛ بل نسمعه من الحاضرة أيضًا.

الاسم بـ(ـَى)	**الاسم بـ(ا)**
حدَيجان	حداجان
زَينه	زانه
مطَيمير	مطامير
ترَيحيب	تراحيب
النَيرة	الناره

الاسم بـ(ـَو)	**الاسم بـ(ا)**
عَوجان	عاجان
عَوضة	عاضة
نَوضاء	ناضاء
نَوضا	ناضا

جدول رقم (٩)

١٣) تباين رسم الاسم بسبب قصر الممدود :

المقصور عند الصرفيين هو ما انتهى بألف لازمة[١] ؛ أما الممدود فهو ما انتهى بهمزة مسبوقة بألف زائدة[٢]. ومن الظواهر اللغوية المعروفة المقررة في العربية أن المقصور قد يمد وأن الممدود قد يقصر[٣].

---

(١) أبو أوس إبراهيم الشمسان، **دروس في علم الصرف**، ١: ١٢٧.

(٢) أبو أوس إبراهيم الشمسان، **دروس في علم الصرف**، ١: ١٢٥.

(٣) أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء، **المقصور والممدود**، تحقيق: رمضان عبد التواب (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م) ص ٣١.

أما قصر الممدود، فهو ظاهرة شائعة في لغة المثقفين في المملكة العربية السعودية وبخاصة في نجد، ويسمع بكثرة على ألسنة الخطباء في المساجد والمحافل، والسبب في ظهوره هو طريقة نبر الكلمات إذ النبر يقع عندهم على المقطع المتقدم مما يسبب سقوط المتأخر. أما مد المقصور فهو مستبعد الحدوث في نجد. أما الأسماء الممدودة، فيكاد نطقها المحلي يطرد بقصرها أي بحذف الهمزة المتأخرة منها، وربما مثل هذا الإجراء في الرسم حيث يتابع الرسم النطق فترسم الألف مقصورة، ولأنها صارت ألفًا قد تتعدد صور رسم الاسم فيكون بألف مشالة كألف عصا أو كالياء كألف فتى، وربما حذفت الألف بسبب هاء السكت، ويبين جدول رقم (١٠) بعض الأسماء التي تمثل الظاهرة.

الاسم	نطقه المحلي	صور رسم الاسم
أسماء	أسما	أسماء / أسما / أسمى / أسمه
بتلاء	بتلا	بتلاء / بتلا / بتلى
بسماء	بسما	بسماء / بسما / بسمه
جوزاء	جوزا	جوزاء / جوزا / جوزى / جوزه
حسناء	حسنا	حسناء / حسنا / حسنه
خضراء	خضرا	خضراء / خضرا / خضره
شرعاء	شرعا	شرعاء / شرعا / شرعه
نجلاء	نجلا	نجلاء / نجلا / نجلى
نفلاء	نفلا	نفلاء / نفلا / نفله

الاسم	نطقه المحلي	صور رسم الاسم
وضحاء	وضحا	وضحاء / وضحا / وضحى / وضحه

جدول رقم (١٠)

١٤) تباين رسم الاسم بسبب توهم المد:

نلاحظ في كتابة بعض الأسماء أنْ لها رسمان: رسم للاسم بألف مقصورة حسب نطقه، ورسم بألف ممدودة؛ وسنذكر علة ذلك في موضعه. ونحن نستبعد أن يكون هذا الرسم رصدًا لاستخدام لهجي محلي، بل توهموا أن كل مقصور هو في الأصل ممدود، فأرادوا رسم الاسم حسب الإملاء المفترض، وهذا خلط بين المقصور وضعًا والمقصور عن مدّ. ويبين جدول رقم (١١) بعض هذه الأسماء المقصورة التي رسمت بالمد فصار لها رسمان رسم بالقصر ورسم بالمد.

الاسم مقصورًا	الاسم ممدودًا	الاسم مقصورًا	الاسم ممدودًا
بُشرى	بُشراء	مُناجا	مُناجاء
ثُريّا	ثُريّاء	مُنى	مُناء
رشا	رشاء	مها	مهاء
رضا	رضاء	مهنّا	مهنّاء
سلمى	سلماء	نُهى	نُهاء
غزوى	غزواء	هُدى	هُداء
محيّا	محيّاء	هيا	هياء

جدول رقم (١١)

١٥) تباين رسم الاسم بسبب إدخال (أل) على الاسم:

قد تحلى بعض الأسماء بحرف التعريف (أل) فتدخل على الاسم الشخصي الأول للفرد، ولذلك نجد اسمين أحدهما محلى بها وآخر عاطل منها. انظر الجدول رقم (١٢).

الاسم بـ(أل)	الاسم بدون (أل)	الاسم بـ(أل)	الاسم بدون (أل)
الأخضر	أخضر	البتول	بتول
الأدهم	أدهم	البندري	بندري
الأسمر	أسمر	الجازي	جازي
الأسود	أسود	الجوهرة	جوهرة
البدري	بدري	الدانة	دانة
الحجاب	حجاب	الدلماء	دلماء
الحسن	حسن	الزهراء	زهراء
الحسين	حسين	الزينة	زينة
الحشيش	حشيش	السمراء	سمراء
الحميدي	حميدي	السوداء	سوداء
الذويب	ذويب	السيدة	سيده
الريض	ريض	الشريفة	شريفة
الشريف	شريف	الشقحاء	شقحاء
الطرقي	طرقي	الضحية	ضحية
العاصي	عاصي	العنود	عنود

الاسم بـ(أل)	الاسم بدون (أل)	الاسم بـ(أل)	الاسم بدون (أل)
العباسي	عباسي	الغريبه	غريبه
العويّد	عويّد	الغيداء	غيداء
العياط	عياط	الفهده	فهده
الفضل	فضل	القبله	قبله
المعتصم	معتصم	القليله	قليله
المقداد	مقداد	المنيرة	منيرة
النشمي	نشمي	النيرة	نيره
الوليد	وليد	الهنوف	هنوف

جدول رقم (١٢)

١٦) تباين رسم الاسم بسبب إدخال (أم) التعريف على الاسم:

وهذه من الظواهر العربية القديمة التي استمرت إلى اليوم[١]، إذ ما يزال الناس في تهامة يستخدمون أداة التعريف (أم) في لهجتهم، فيقولون في السوق: (امسوق)، وليست كل الكلمات التي تدخلها (ال) التعريفية تدخلها (أم). فالظاهر أن التغير قد أخذ طريقه إلى اللهجة، والمهم في هذا المقام أن الأسماء المعرفة قد تحمل أداة التعريف (أم)، وربما يكون هذا على صعيد الاستخدام المحلي. وقد أثبت حمد الجاسر أسماء بعض القبائل في كتابه عن القبائل بأداة التعريف (أم) كما سمعها منهم، وكان أحد طلاب جامعة الملك سعود يكتب اسمه العائلي (امشريف) أي: (الشريف). ويبدو

(١) رابين، **اللهجات العربية**، ص ٧٥.

أنَّ ثَمَّ التزامًا رسميًّا بكتابة أداة التعريف (ال) في الوثـائق الرسمية وإن كـان النطق المحلي على خلاف ذلك، إذ لم أجد في أدلة الهاتف أو أسماء الطلاب في نتائج الامتحانات ما يمثل هذه الظاهرة. أما في قائمة وزارة العمل من الأسماء: (امجبر: الجبر)، (امجوفي: الجوفي)، امسيده (السيده)، امشاطر (الشاطر) (امغريبة: الغريبة)، (امفريد: الفريد)، (امقليلة: القليلة).

١٧) تباين رسم الاسم بسبب إلحاق (ياء) النسب بالاسم:

تنتهي بعض أسماء الأسر باسم الجد، ولكن قد يزيد بعض الناس ياء النسب إلى اسم الجد إشارة وتأكيدًا على أن هذا اسم الأسرة التي إليه ينتهون وينتسبون، ولذلك نجد أن المنتمين إلى جد واحد قد ينهون الاسم بالياء، وبعضهم قد يكتفي باسم الجد بدون الياء، ومن أمثلة ذلك: (القويفل/ القويفلي، السويدان/ السويداني). وهذه الأمثلة نجزم أنه لا فرق بين ما هو منسوب وغير منسوب، وبعضها لا علاقة له بالمنسوب، وغير المنسوب مثل: (الأحمد)/ (الأحمدي)، فنحن نجزم أنهما أسرتان لا تشتركان في جد واحد. ولكننا لسنا نعلم عن غيرها من أسماء الأسر الأخرى، فقد يكون ثَمَّ صلة بينهما، وقد لا يكون ثَمَّ صلة بين المنسوب وغير المنسوب؛ إذ قد تكون الصلة منفكة. ويبين جدول رقم (١٣) بعض أسماء الأسر منها ما ينتهي بياء النسب ومنها ما ليس فيه الياء.

دون ياء	بياء النسب	دون ياء	بياء النسب	دون ياء	بياء النسب
الباتل	الباتلي	الحماد	الحمادي	الربيق	الربيقي
التويم	التويمي	الحمران	الحمراني	الرزوق	الرزوقي

دون ياء	بياء النسب	دون ياء	بياء النسب	دون ياء	بياء النسب
الجابر	الجابري	الحمود	الحمودي	الرشود	الرشودي
الجبير	الجبيري	الحوشان	الحوشاني	الركيان	الركياني
الجدعان	الجدعاني	الحيدر	الحيدري	الرمان	الرماني
الجديع	الجديعي	الخضير	الخضيري	الرميح	الرميحي
الجرير	الجريري	الخليف	الخليفي	الرويس	الرويسي
الجريس	الجريسي	الخنين	الخنيني	الرويشد	الرويشدي
الجريش	الجريشي	الخميس	الخميسي	الرواف	الروافي
الجريع	الجريعي	الدباس	الدباسي	الزعاق	الزعاقي
الجريفان	الجريفاني	الدبيب	الدبيبي	الزمام	الزمامي
الجعيد	الجعيدي	الدريب	الدريبي	الزهير	الزهيري
الجفال	الجفالي	الدسمان	الدسماني	الزويد	الزويدي
الجويسر	الجويسري	الدعيج	الدعيجي	السبت	السبتي

جدول رقم (١٣)

١٨) تباين رسم الاسم بسبب الخلط بين (أل) و(آل):

ثمة كلمتان متقاربتان في رسمهما إحداهما (ال) حرف التعريف والأخرى (آل) وهو اسم بمعنى (أهل). تدخل (ال) التعريف على اسم الأسرة فتكون جزءًا أساسيًّا من الاسم، والغرض هو تعريف الأسرة وليس تعريف الشخص ذاته قبل جعله علمًا للأسرة، فكأن الاسم من حيث هو واقع في سلسلة النسب كالاسم الذي تحول إلى صفة بسبب ياء النسب، فإن قولنا:

(العثيمين) أي الأسرة المنسوبة إلى عثيمين، وإذا قيل (الصويلح) فالمقصود الأسرة المنسوبة إلى (صويلح).

أما (آل) التي بمعنى أهل فهي عربية قديمة جاء في المنجد لكراع: "وآل الرجل: قومه الذين يؤول إليهم، أي يعود"[1]، وهذا هو معنى الفعل في العربية القديمة[2]، وإلى هذا يذهب المفسرون مثل الطبري، قال: "وقد دللنا على أن آل الرجل أتباعه وقومه، ومن هو على دينه"[3].

وترد (آل) في العصر الراهن على نحو لازم في أسماء الأسرة السعودية المالكة (آل سعود)، وكذلك ترد في أسماء بعض حكام دول الخليج (آل نهيان، آل خليفة، آل ثاني)، وترد في أسماء بعض أسر أخرى مثل (آل الشيخ) (آل الحارث).

ويخلط بعض الناس بين (آل)، و(ال) التي قدمنا شرحها، فهناك من يظن أن (ال) هذه هي (ال) التي نجدها تضاف إلى بعض أسماء الأسر، وليس الأمر كذلك. وربما وجدنا من يرسم اسم أسرته بأن يفصل بين (ال) وبين ما بعدها على نحو ما تكون (ال) مع ما تضاف إليه، مثل: (ال مطلق)، (ال منجم)، (ال صليع)، (ال بابطين)، (ال منصور). وهذه الأمثلة كلها مأخوذه من قوائم نتائج امتحانات طلاب المدارس المتوسطة

---

(١) أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي كراع، **المنجد في اللغة**، تحقيق: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي (القاهرة: مطبعة الأمانة، ١٩٧٦م)، ١٠٨.

(٢) **المعجم الكبير** (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٠م) ١: ٦١٥.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن** (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٧م) ١: ٢٣٤.

والثانوية. والمهم أن (ال) للتعريف ؛ أما (آل) فهي اسم بمعنى (أهل) وتضاف إلى ما بعدها علمًا كان أم معرفًا بـ(ال) ؛ ولذلك فإن (أل) التي بمعنى (أهل) يمكن أن تضاف إلى أسماء الأسر المنقولة من حرف وألقاب نحو (آل الشيخ) ؛ لأنها مثل (آل معمر) أو (آل علي).

١٩) تباين رسم الاسم بسبب إلحاق (تاء) التأنيث:

للتاء رسمان في العربية: التاء المربوطة، والتاء المفتوحة، وأما التاء المربوطة فهي هاء أعجمت بنقطتين فوقيتين رعاية لحالتي الوصل والوقف.

كتبت بعض الأسماء بالتاء المربوطة وفاقًا للرسم الإملائي، وكتب أحيانًا استجابة لنطقها تاء في الوصل، ومن ذلك :

ردة الله كتبت أيضًا: ردت الله.

عنية الله، كتبت أيضًا: عنيت الله

ونجد في هذا الإطار تحولاً آخر وهو التأثر بالنطق التركي والرسم التركي للأسماء التي تنتهي بالتاء المربوطة، فنجد الأسماء التالية: طلعت (طلعة)، نشأت (نشأة)، رأفت (رأفة)، و(عزت) وهو يكتب في الشام أيضًا (عِزة)، ونجد في الشام الاسم (بهجت) و(بهجة).

ومن مشكلات التاء المربوطة ترك إعجامها فتختلط بالهاء، ولذلك يكون لنا رسم واحد صالح لنطقين، مثل: (عبده) فهو للذكور بضم الدال (عبده) وهو للإناث بفتحها (عبده) .

٢٠) تباين رسم الاسم بسبب الإهمال في الكتابة:

أ) إهمال رسم الهمزة:

قد يهمل الكتبة رسم الهمزة الابتدائية مكتفين برسم الألف ؛ ولذلك نجد

رسمين لبعض الأسماء مثل : أحمد/ احمد ، إبتسام/ ابتسام ، إبتهاج/ ابتهاج ، أحلام/ احلام ، أسماء/ اسماء ، أفراح/ افراح.

ب) إهمال المد :

قد يهمل الكتاب رسم المدة على الألف فينشأ رسمان للاسم الواحد ، مثل : آسيا/اسيا ، آمال/امال ، آمنة/امنة.

ج) إهمال نقط التاء المربوطة :

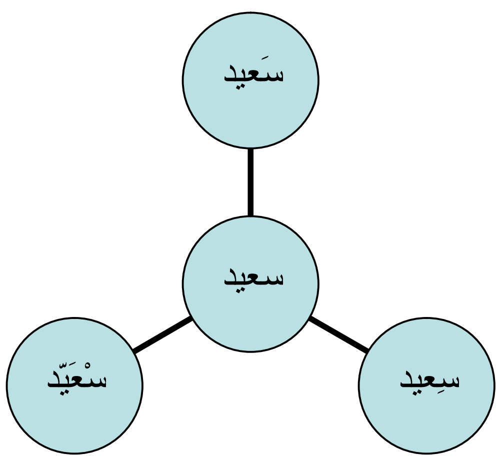
قد يهمل الكُتّاب رسم النقطتين من التاء المربوطة فيكون الاسم منتهيًا بالهاء ، ولعل السبب هو أن التاء تنطق هاء عند السكوت ، في استعمال العامة التي تقف على الأسماء ، ولذلك صار للاسم رسمان بالتاء المربوطة وبالهاء مثل : عائشة/ عائشه ، عالية/ عاليه ، فاطمة/ فاطمه ، عزة/ عزه.

ويدخل في هذا الإهمال كتابة الاسم دون مراعاة لكتابته الفصيحة أو لنطقه المحلي بل تغلب على الكتابة لهجة الكاتب ، مثال ذلك الاسم (قرناسة) كتب في وثائق إحدى الطالبات في نجد بالصاد (قرناصة) ، والقاف في صور نطقها المختلفة من حنجرية إلى لهوية إلى طبقية لها أثر على السين أكسبها الإطباق فظهرت في استعمال الكاتب صادًا وهكذا كُتِبَ الاسم.

أثر ترك رسم الحركات في تداخل الأسماء:

أخذ العرب نظام كتابتهم عن الأنباط ولم يكن للحركات في هذا النظام رموز تدل عليه؛ ولكن العرب أضافوا هذه الرموز لضبط قراءة القرآن الكريم في المصحف ولضبط الكلمات والنصوص المهمة، ولما كان نظام كتابة الحركات مدخلاً على النظام الكتابي وليس جزءًا أساسيًّا منه صار أمر الالتزام به يعوق الكاتب فكان التخفف منه أو تركه أمرًا آلت إليه الكتابة اليدوية، ثم اكتشفت الطباعة وكثرت الكتابة والطباعة بعربية دون تشكيل.

والمشكلة التي تواجهنا أن ترك تشكيل الكلمات يجعل كثيرًا من الألفاظ المختلفة في نطقها مشتركة في رسمها، ومن أوضح هذه الأمثلة ما نجده في أسمائنا، ويبين الشكل التالي أن الاسم بلا حركات يمكن أن يقرأ بثلاث صور.



والاسم الواحد قد ينطق بلهجاتنا العربية على أنحاء مختلفة مثال ذلك الاسم (دعيج) نسمعه في الكويت (دعَيِي) بألف ممالة وإبدال للجيم ياءً، وفي عُمان واليمن ومصر (دعيــگ) وفي الشام (دعيــچ). و(قاسم) نسمعه بالجيم في الكويت (جاسم) ويكتب بالجيم، وإلى جواره الاسم نفسه بالغين (غاسم) للوافدين إلى الكويت ويكتبون أسماءهم بالقاف، ونسمعه في نجد (گاسم)، وفي مصر (آسم). والاسم (عثمان) قد تسمع في بعض البلاد العربية الثاء منه صادًا (عصمان)؛ لأن الثاء تنطق (ثاء) مثل (ثامر ß سامر) ولكن في (عثمان) اكتسبت السين إطباقًا بسبب العين الحلقية المخرج.

وينطق الاسم المشتمل على القاف في بعض اللهجات السعودية إلى الصوت المركب (دز)؛ وذلك ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح (الدزدزة) مثل :

مقبل ß مدزبل

مقرن ß مدزرن

قرناس ß دزناس

وليست كل قاف تتحول هذا التحول. وقد أخذ هذا التحول في التغير بسبب التعليم واختلاط اللهجات والإعلام. فصار التغير نحو قاف طبقية مجهورة، وهي ما تماثل في نطقها (الجيم السامية)[١]. وهذه الجيم صوت طبقي مجهورة مازال يُسمَعُ إلى يومنا هذا في اليمن وعُمان، وقد رحل إلى مصر مع القبائل اليمنية أيام الفتوح الإسلامية، وهو ما يسمى بـ(الجيم القاهرية)[٢]. ويرمز

---

(١) كمال محمد بشر، **علم اللغة العام** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣م) ٢: ١١٠.

(٢) بشر، **علم اللغة العام**، ٢: ١٢٦-١٢٧.

لرسم هذه القاف، ورسم الجيم السامية عند الكتابة برسم الكاف الفارسية وهكذا:

مقبل ß مــگــبل

مقرن ß مــگرن

قرناس ß گرناس

ومعنى ذلك أننا نسمع الاسم (مقرن) بطرق مختلفة تجعله يختلف في كتابته بأحرف لاتينية:

(مقرن/ مجرن/ مغرن/ مدزرن/ مــگرن/ مؤرن)

ومن يستمع إلى المعلقين الرياضيين أو مذيعي الإذاعة والتلفزيون يحس مدى التغير الذي يصيب اسمًا ينتمي إلى بيئة جغرافية محددة لجهل المعلق بكيفية نطق الاسم. مثال ذلك اسم اللاعب الهلالي (صفوق)، فقد سمعت اسمه على لسان أحد المعلقين الرياضيين ينطق بفتح الصاد وتشديد الفاء (صَفّوق). وسمعته ينطق بضم الصاد والفاء بدون تشديد. أما في نجد فينطق الاسم بتسكين (الصاد).

قد يوهم العلم برسمه وربمّا بجرسه أنه منقول عن لغة أعجمية، فالعلم البدوي: (جرمان) عربي مرتجل بإضافة الألف والنون إلى اللفظ (جرم) ومعناه ذو الجرم الضخم. أي الجسد الضخم، بل إن الاسم (ج ر م ن) قد ورد في النقوش العربية القديمة[1]؛ ولذلك فإن ما ذهب إليه في معجم

---

(١) سليمان بن عبد الرحمن الذييب، **دراسة تحليلية للنقوش الآرامية القديمة في تيماء**، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٩٩٤م)، ص٥٠.

أسماء العرب من ربط هذا الاسم باسم العلم الإنجليزي[1] هو من قبيل الوهم. وقد يوهم الاسم برسمه لمن لا خبرة له بنطق الاسم أنه أعجمي. ومن ذلك الاسم (وِلْـيم) فهو من حيث الرسم يطابق الاسم الأعجمي ؛ ولذلك قيل عنه في سجل أسماء العرب إنه عن الإنجليزية[2]. والحقيقة أنه عربي ، وهو صفة على وزن (فُعَيل) من (و/ل/م) ، ومؤنثه (وْليمه) التي أخطأ المصدر السابق حين جعلها بمعنى طعام العرس) ، ومن الجذر نفسه العلم على اسم الفاعل (والم). ومعنى (والم) ، في لهجات نجد ، جاهز ، وليس هذا المعنى ببعيد مما ذكره ابن منظور في اللسان ، وهو أن الجذر يدل على الاجتماع. على أن العرب خاصة في لبنان من تسمى بالاسم الأعجمي (وِلْيم) ، وبغيره.

ونحس خطورة هذه المسألة عند محاولة كتابة الأسماء بالأحرف اللاتينية ؛ إذ لا بد من الضبط الصحيح للفظ الاسم فإذا كان الأصل الكتابي مشتركًا فإنه لا يفي بالغرض ويؤدي إلى لبس كثير وخطأ في الكتابة. والاعتماد على ظاهر الرسم قد يؤدي إلى الخطأ ؛ على نحو ما حدث عند كتابة الاسم (عمرو) فعلى الرغم من أن هذه الواو لا قيمة صوتية لها فإنها أثبتت عند كتابة الاسم بالحروف اللاتينية (Amro) وعاد هذا بالخطأ على النطق العربي حيث كثر نطق هذه الواو توهمًا أنها تنطق ، وهو أمر يذكرنا بنطق الألف من (مائة) توهمًا أنها تنطق ، وهي في الحقيقة (مئة). وسوف نشير إلى أنماط من صور الاشتراك في ظاهر الرسم مع اختلاف في اللفظ.

---

(١) **معجم أسماء العرب**، ١: ٣١٠.

(٢) **سجل أسماء العرب**، ص ٢٦٠٧.

أولا: الاختلاف في الصيغة:

ومثاله الاسم (رشيد)، فهو ينطق محليًا على طريقتين الأولى بسكون الراء وإمالة الياء نحو الألف (رْشَيد)، وهذا من قبيل صياغة الاسم على البناء (فُعَيْل) بضم الفاء وفتح العين كالأسماء المصغرة؛ أما الآخر فهو بكسر الراء على الإتباع (رِشِيد)، وهو في أصله على البناء (فَعيل) بفتح الفاء، الصفة المشبَّهة باسم الفاعل مثل صغير وكبير، ومثله الاسم البدوي (سْمير) بتسكين السين أصله (سُمَير) يشبه الاسم الحضري الحديث (سَمير)، بفتح السين، ومثله (فْريد) بتسكين الفاء اسم بدوي قديم، و(فَريد) بفتح الفاء اسم حديث. وأما (العَقيلي) بفتح العين فهي عائلة من جنوب المملكة (جيزان)، و(العْقيلي) بتسكين العين عائلة في نجد. و(العَميري) بفتح العين عائلة في المنطقة الشرقية؛ أما (العْميري) بالتسكين فعائلة في نجد.

ثانيًا: المخفف والمشدد:

من ذلك ربيع/ ربّيع، زِياد/زَيّاد، سُعاد/ سَعّاد، عزيز/ عزيّز، ومن أمثلة ذلك (العبيد) من أسماء الأسر ما ينطق (العبيد) بياء ممالة، ومنها (العبيّد) بتشديد الياء، ومثله (السعيد) و(السعيّد)، و(الدخيل) و(الدخيّل)، و(الحبيب) و(الحبيّب)، و(الدويش) و(الدويّش).

ثالثًا: اختلاف المنسوب إليه لفظًا ودلالة:

ومن ذلك (الحَربي) بفتح الحاء نسبة إلى قبيلة (حرب)، و(الحِربي) بكسرها لقوم في المدينة المنورة. ومن ذلك (حَسَني) وهو من أسماء المنطقة الجنوبية يشبه الاسم (حُسني) في الشام ومصر في ظاهرة الرسم؛ فالاسم الأول منسوب إلى الصفة (حسَن)، و أما الثاني فهو منسوب إلى المصدر (حُسْن)

ومن ذلك الاسم البدوي بكسر الحاء (حِمدي)، وأما الثاني فبفتحها (حَمدي). و(العمري) هو بضم العين منسوب إلى (عُمر): العُمري، ولكنه بفتح العين منسوب إلى (عَمرو): العَمري.

رابعًا: التسكين والتحريك:

هناك كراهة للثقل الذي تورثه السكون فيتخلص منه بالتحريك[1]. ومن ذلك ما نجده في الأعلام: صَعْب: صَعَب، فَهْد: فَهَد، سَعْد: سَعَد، طَلْق: طَلَق، عشْق: عَشَق، صَلْف: صَلَف، بَدْر: بَدِر، نَجْم: نَجِم.

وقد تختلف اللهجات في حركة الساكن، إذ نجد بعضها يجعل الحركة كسرة؛ لأن الكسرة هي حركة التخلص من التقاء الساكنين[2]، ومنها ما تقدم حركة الإعراب وهي الضم، وهذه طريقة للوقف عند العرب[3]، مثال ذلك الاسم (بَكْر) نجدهم في وسط الجزيرة وفي الشام يحركون الكاف بالكسرة (بَكِر)؛ ولكن في الحجاز نجدهم يحركونها بالضم (بَكُر)؛ إذ كان أصلها (بِكْرُ) فصير إلى القلب المكاني بين الضمة والراء:

ب َ ك ر ُ ß ب َ ك ُ ر

وتحريك الساكن، كما في (صعب وسعد وفهد) ظاهرة لغوية قديمة وقف عندها علماء العربية القدماء، فكانت موضع اختلافهم فذهب البصريون إلى أنك أمام لغتين، إحداهما تسكن العين والأخرى تفتح العين،

---

(١) نعيم علوية، **بحوث لسانية**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، ١٩٨٤م)، ص١٨١-١٩١.

(٢) أبو أوس إبراهيم الشمسان، **دروس في علم الصرف**، ٢: ١٩٠.

(٣) أبو علي الفارسي، **التكملة**، ص ١٩٠.

ومن أمثلة ذلك: معْز: معَز، وشعْر: شعَر، وشمْع: شمَع، ونشْز: نشَز، وشبْح : شبَح[١]. وفصّل الكوفيون فجعلوا تحريك ما ثانيه حرف حلق قياسيًّا، فأمر تحريكه أو تسكينه للمستخدم، وأمّا ما ليس ثانيه حرفًا حلقيًّا فمقتصر فيه على السماع[٢]، وردّ ابن جني قول الكوفيين بأنه لا دليل عليه، وبأن حروف الحلق لا تحرك ساكنًا ولا تسكن متحركًا[٣].

وفي المقابل قد تحذف الحركة في استعمال بعض لهجاتنا مثل حذف ضمة الحرف الأول في البناء (فُعُول) :

جُرُوح ß جْرُوح

حُمُود ß حْمُود

سُعُود ß سْعُود

عُبُود ß عْبُود

والهدف من هذا التسكين تقليل مقاطع الكلمة عند من يسيغون البدء بالساكن ويقدرون عليه.

خامسًا: اختلاف حركة الاسم:

قد يكون الاسم واحدًا من حيث الرسم والمعنى في الأصل؛ ولكنه ينطق بطريقتين مختلفتين من ذلك الاسم (عوض) نسمعه بفتح العين في نجد (عَوض) وبضم العين في عسير (عُوَض)، والاسم (حمود) سكنت حاؤه في نجد عن ضم لكنه يفتح في الجنوب (حَمود). وقد تميز طريقة النطق بين

(١) ابن جني، **المنصف**، ٢: ٣٠٥.

(٢) ابن جني، **المنصف**، ٢: ٣٠٦.

(٣) ابن جني، **المنصف**، ٢: ٣٠٦-٣٠٧.

استعمالين للاسم إذ جعل أحدهما للمذكر والثاني للمؤنث. ومن ذلك الاسم (رضا) فهو بضم الراء ضمة ممالة اسم مذكر وهو اسم قديم في الجزيرة العربية أما بكسر الراء، فهو اسم مؤنث حديث. ومثله (رجا) بالكسر اسم بدوي قديم للذكر، لكنه بالفتح اسم لمؤنث وهو حديث في الاستعمال ومن ذلك (ندا) بكسر النون اسم بدوي للذكر، و(ندى) بفتح النون للأنثى. ومن ذلك (هاجر)، فهو للذكور بكسر الجيم اسم فاعل من الهجر (هاجِر)، وهو للنساء بفتح الجيم (هاجَر) علم أعجمي. والاسم (عزّة) هو مذكر بكسر العين (عِزّة) وهو مؤنث بفتح العين (عَزّة).

سادسًا: القلب المكاني بين حركة وصامت:

مثال ذلك الأسماء:

دَعْفَس ß دْعَفَس

دَعْلَج ß دْعَلَج

دَهْمَش ß دْهَمَش

والهدف من هذا القلب هو التوصل إلى سكون الصوت الأول على الرغم من مخالفة هذه اللغة الفصيحة، ولكن من اللهجات ما يسيغ هذا السكون، ويقدر عليه، وهو يتيح للمتكلم التغيير المقطعي للاسم بما ييسر عليه النطق: دَه/مَش ß دْهَ/مَش. ولعل ما سوغ هذا النقل الرغبة في تحريك الحرف الحلقي الساكن، لأن هذا القلب خاص بما ثانيه حرف حلقي، ونجده في غير الأعلام مثل (مْحَسوب، مْعَروف، مْخَروف، مْهَشوم، مْغَصوب). ومعنى هذا أن الاسم نطق دون توقف بسبب زوال المقطع المقفل، وهذا

يشير إلى كراهة المقاطع المقفلة داخل الاسم. على أن هذا التغير بدأ يأخذ طريقه إلى التفصيح ؛ ولذلك نسمع النطقين الفصيح واللهجيّ.

سابعًا : تغير حركة الاسم في اللهجات عن أصله الفصيح :

يصور استخدام الأسماء الفرق بين المستويين الفصيح واللهجي ، إذ نجد الحركات في بعض الأسماء نالها شيء من التغير ، ولسنا نحصي ألوان التغيّر أو أمثلتها لكنّا نشير إلى بعضها :

١- تحول الفتحة إلى ضمة ، مثل : ثَواب ß ثُواب

٢- اتباع الفتحة أو الضمة الكسرة وهو من التماثل في الحركات :

جَديد ß جِديد

نَمِر ß نِمِر

مُخلِد ß مِخلِد

مُخْلِف ß مِخْلِف

٣- تحول الضمة إلى كسرة ممالة :

سُلطان ß سِلطان

عُثْمان ß عِثمان

٤- إمالة الفتحة الأولى نحو الكسرة :

جَمَل ß جِمل

٥- تغير المركب الصوتي (ـَو) وـَي)

ينطق اسم مثل (عَوْن) بطرق مختلفة في لهجاتنا فهو بنطقه الفصيح في لهجة الوشم وسط الجزيرة العربية وفي بعض لهجات لبنان ، ولكن هذا المصوت (ـَو) تغير في بقية لهجات الجزيرة العربية إلى الضمة الممالة نحو الألف [o] كما

تظهر في نطق الكلمة الإنجليزية (go)، وهي حركة خلفية نصف ضيقة، وأما في مصر فقد تحول هذا المصوت إلى واو مد كالواو في (دور).

وأما اسم مثل (زَيْنب) فهو كذلك بنطقه الفصيح في لهجة الوشم وسط الجزيرة العربية وفي بعض لهجات لبنان، ولكن هذا المصوت (ـَي) تغير في بقية لهجات الجزيرة إلى الألف الممالة نحو الياء (e) كما تظهر في الكلمة الإنجليزية care. وتحول في مصر إلى ياء مد كالياء في (عيد) فتسمع (زِينب). ومن أمثلة هذا في الأسماء:

نَوْمان ß نُومان (Noomaan)

حَوشان ß حُوشان (ħoshaan)

زيد ß زَيد (Zade)

مُطيَران ß مْطيران Mteraan

ولا شك أن كتابتنا للاسم لا تبين هذه الاختلافات في النطق ولكن المشكلة سوف تنشأ عند كتابته بأحرف لاتينية إذ سوف يكون لطريقة نطق الكاتب أثر في الرسم.

الخاتمة

تبين لنا أن لدينا تعددًا في كتابة الأسماء ونطقها كان مردّه إلى ازدواجية مستويات الاستخدام اللغوي، وإلى ما فرضته قوانين التغير اللغوي، وإلى قصور الرسم العربي غير الملتزم بالحركات عن رسم الأسماء رسمًا دقيقًا. وليس من شك في أن هذا يشكل بعض الإشكال عند رسم هذه الأسماء بالخط اللاتيني، ولعل من المناسب أن توحد طريقة رسمها بالعربية تمهيدًا لتوحيد رسمها باللاتينية، ولعل الاحتكام إلى ضبط كتابة الأسماء وفاقًا للعربية الفصيحة هو الخطوة الصحيحة إلى التوحيد وتجنب أشكال الكتابة الموافقة للنطق المحلي في البيئات المختلفة.

المصادر والمراجع

الأنباري ؛ أبو البركات عبد الرحمن بن محمد(٥٧٧هـ) :

زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، تحقيق : رمضان عبدالتواب، بيروت : دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، ١٩٧١م.

بشر ؛ كمال محمد :

علم اللغة العام، القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٣م.

البغدادي ؛ عبدالقادر بن عمر(١٠٩٣هـ) :

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، ط١، القاهرة : دار الكاتب، ١٩٦٨م.

أبو تراب الظاهري :

لجام الأقلام، ط١، جدة : تهامة، ١٩٨٣م.

جريدة اليوم، عدد ١٠٨٦٠ يوم الاثنين ٧ محرم ١٤٢٤هـ.

ابن جني ؛ أبو الفتح عثمان :

- سر صناعة الإعراب، تحقيق : حسن الهنداوي، ط١، دمشق : دار القلم، ١٩٨٥م.
- المنصف، تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين ط١، القاهرة : وزارة المعارف العمومية، ١٩٥٤م.

الجوهري ؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد :

الصحاح، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار، ط١، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

الحربي ؛ محمد الباتل
اللغة المحكية في حوطة بني تميم ط١ ، الرياض : مركز حمد الجاسر الثقافي ، ٢٠٠٨م ،
الدخيّل ؛ جواد محمد :
الوقف في كتاب سيبويه ، رسالة ماجستير، الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٤١٠هـ.
ابن درستويه ؛ عبدالله بن جعفر (٣٤٧هـ) :
كتاب الكتاب ، تحقيق : إبراهيم السامرائي وعبدالحسين الفتلي ، ط١ ، دار الكتب الثقافية/ الكويت ، ١٩٧٧م.
الذييب ؛ سليمان بن عبد الرحمن :
دراسة تحليلية للنقوش الآرامية القديمة في تيماء ، ط١ ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٩٩٤م.
رابين ؛ شايم :
اللهجات العربية الغربية القديمة ، ترجمة : عبدالرحمن أيوب ، ط١ ، الكويت : جامعة الكويت ، ١٩٨٦م.
سجل أسماء العرب ، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ، ط١ مسقط : جامعة السلطان قابوس ، ١٩٩١م.
ابن السراج ؛ أبوبكر محمد بن السري (٣١٦هـ) :
كتاب الخط ، تحقيق : عبدالحسين محمد ، مجلة المورد ، وزارة الإعلام/بغداد ، ١٩٧٦.

سيبويه ؛ أبو بشر عمرو بن قنبر(١٨٠هـ) :
الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦م)
الشمسان ؛ أبو أوس إبراهيم :
دروس في علم الصرف ، ط١ ، (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٩٩٧م.
صحيفة الرياض ، ع ٩٤٣٨ ، الأربعاء ١٦ ذو القعدة ١٤١٤هـ.
الطبري ؛ أبو جعفر محمد بن جرير :
جامع البيان عن تأويل القرآن ، القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٦٧م ، عالم الكتب ، مجلد ٢٤ ، عدد ٣-٤ ، عام ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.
عبده ؛ داود :
- أبحاث في اللغة العربية ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٣م).
- ودراسات في علم أصوات العربية ، الكويت : مؤسسة الصباح ، د. ت.
علوية ؛ نعيم :
بحوث لسانية ، ط١ ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات ، ١٩٨٤م.
عمر ؛ أحمد مختار :
دراسة الصوت اللغوي ، ط١ ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٦م.
الغامدي ؛ منصور بن محمد :
الصوتيات العربية ، ط١ ، الرياض : مكتبة التوبة ، ٢٠٠١م.

الفارسي ؛ أبو علي الحسن بن أحمد(٣٧٧هـ) :
التكملة ، تحقيق : حسن شاذلي فرهود ، الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٩٨١م.
كراع ؛ أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي :
المنجد في اللغة ، تحقيق : أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي ، القاهرة : مطبعة الأمانة ، ١٩٧٦م.
معجم أسماء العرب ، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ، ط١ ، مسقط : جامعة السلطان قابوس ، ١٩٩١م.
المعجم الكبير(القاهرة : مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٠م).
المطلبي ؛ غالب فاضل :
لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، بغداد : وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨م.
الوشاء ؛ أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق :
المقصور والممدود ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩م.

الضاد بين الشفاهية والكتابية

للخطاب الشفهي أهمية بالغة في مستويات اللغة كلها ؛ صوتًا وصرفًا ونحوًا ومعجمًا ودلالة ، فهو يعطي بمحتواه الحاضر الشهادة على استمرار ظواهر لغوية تردد ذكرها في المدونات اللغوية القديمة ، وهو أيضًا يشرح لنا على نحو جلي ما لم يستطع التدوين تسجيله لقصور آلته ورموزه الصوتية ، فلسنا مدركين للكاف التي بين الكاف والشين أو الجيم التي بين الجيم والشين أو الجيم التي بين الجيم والقاف لولا أننا نسمع هذا في بيئاتنا الحاضرة اليوم ، وهو إلى ذلك يكشف عن التغيرات التي طرأت على ظواهر أخرى.

وعلى الرغم من أن التغير في جميع أنماط النشاط الإنساني سنة كونية لا مفرّ منها شهدنا شيئًا من التوقف أو التلكؤ عند مرحلة النشاط اللغوي الأولى التي بلغت ذروتها على يد الخليل وتلامذته ، إذ ما تلا تلك القرون إنما هو في الغالب يدور في فلك تلك المرحلة موجزًا أو شارحًا أو محشيًا ، وعلى المستوى المعجمي رأينا الرصيد في أوسع تجلياته كما في تاج العروس هو نتيجة تجميع أعمال سابقة ؛ إذ لم ينشط اللغويون إلى ضم ما ابتكره الناس فظهر في كتبهم أو ما تداولوه شفاهيًا فاندثر أو اتصل بعضه ، وظل المعجم العربي ممثلاً للغة عربية في مرحلة قديمة ؛ ومن أجل ذلك نجد أن بيئاتنا العربية ، وبخاصة في الجزيرة العربية ، حافلة بالمفردات اللغوية الفصيحة جذرًا وبنية ولكننا لا نجدها في المعجم. وإنْ وجدنا جذرًا يوافقها ؛ فإنا لا نجد المعنى في المعجم. مثال ذلك كلمة (قدوع) وهو اسم يطلق على ما يقدم عند شرب القهوة العربية وهو في الغالب التمر ، والجذر (ق/د/ع) في المعجم ولكنه يدل على الضرب ، فلا صلة له واضحة بالمعنى المتداول

شفاهيًا. ومن أجل ذلك نجد صعوبة بالغة اليوم في فهم كثير من أسماء الناس (الأعلام)؛ لأننا لا نجد لها مداخل معجمية. وليس من السهل معالجة أثر المشافهة على الظواهر اللغوية كلها؛ لأن هذه القضية واسعة ومن أجل ذلك سنكتفي بمقاربة قضية مثيرة هي (الضاد) لنرى أثر الكتابة والمشافهة عليها.

دعوى لغة الضاد:

يطلق العرب على لغتهم مفتخرين لقب لغة الضاد، وبهذا تغنى شعراؤهم منذ المتنبي الذي قال:

وَبِهِم فَخرُ كُلِّ مَن نَطَقَ الضا دَ وَعَوذُ الجاني وَغَوثُ الطَريدِ

وكذلك شرف الدين البوصيري:

فَارْضَهُ أفْصَحَ امرئٍ نطقَ الضَّا دَ فقامتْ تَغَارُ منها الظاءُ

ومن المحدثين خليل مطران يفخر بها:

لُغَةُ الضَّادِ أَنْبَتَتْ فِي بُحُورِ الشِّعرِ دُرًّا حَيًّا بَدِيعَ البَرِيقِ

أو يلوم المقصرين عن الاستفادة منها:

لُغَةُ الضَّادِ لا تَضَنُّ عَلَيْكُمْ إنْ جَدَدْتُمْ بِكُلِّ مَا تَبْتَغُونَا

ولكن هذا الحرف من العربية على الرغم من احتفاء الناس به هو من أقل الحروف استعمالاً في ألفاظها، ومن أثقلها على اللسان وهو صوت لم يستطع أهل اللغة المحافظة على نطقه على الهيئة الموصوفة في كتب علماء العربية القدماء بل اختلط أداؤه بأداء صوت آخر هو الظاء. وليس لهذا الصوت قيمة وظيفية كالنون أو اللام أو الباء بل هو حرف مبنًى فقط[1]. ومن أجل ذلك لا

---

(١) محمد سعيد صالح ربيع الغامدي، **العربية لغة النون**،**مجلة الدراسات اللغوية**،٢٠٠٥م، مج٧، ع٢، ص٣٣.

مزية لهذا الصوت ليكون لقبًا للعربية، غير أن هذا الاحتفاء به مردود إلى أمرين أحدهما ارتباط الضاد بفصاحة الرسول ρ والأمر الآخر توهم القول بتفرد العربية بالضاد.

دعوى (أنا أفصح من نطق بالضاد):

نجد مثال ارتباط الضاد بفصاحة الرسول ρ في قول ابن الأثير: "اعلم أن هذا الفن هو أشرف الفضائل وأعلاها درجة ولولا ذلك لما فخر به رسول الله في عدة مواقف، فقال تارة: (أنا أفصح من نطق بالضاد) وقال تارة: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث في قومه...» وما سمع بأن رسول الله ρ افتخر بشيء من العلوم سوى علم الفصاحة والبلاغة، فلم يقل إنه أفقه الناس، ولا أعلم الناس بالحساب، ولا بالطب ولا بغير ذلك، كما قال: (أنا أفصح من نطق بالضاد)"[1]. وهذا ابن مالك يقول: "قد ورد في الحديث(أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش) ألا ترى كيف افتخر ρ بفصاحة النطق بها وأثبتها لنفسه وما نفاها عن قومه"[2].

أما أهل الحديث والمحققون من العلماء فينكرون هذا القول إنكارًا شديدًا فهم يجمعون على أن هذا القول لا أصل له فهو موضوع، فهذا ابن البيطار يقول: «لا يهولنك ويعظم عليك قولنا سابقًا ولا يغتر بذكر الجوهري وصاحب المختار فتقول هذه جرأة على الجهابذة الأخيار، فاعلم أنه ليس كل قيل يقال، ولا كل ميدان تجول فيه الرجال، فكم من همام جهبذ في

---

(١) ابن الأثير، المثل السائر **http://www.alwaraq.net/index**

(٢) جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني، **الاعتماد في نظائر الظاء والضاد**، تحقيق: حاتم صالح الضامن (دمشق: دار البشائر ط١، ٢٠٠٣م) ص١٨.

علم لا قدر له في علم الآخر، وهذا القاضي البيضاوي سيد المحققين قد أودع تفسيره أحاديث السور، وغالبها موضوع بإجماع المحدثين أهل النظر، وهذا الجلال المحلي على جلالة محله، نقل حديث أنا أفصح من نطق بالضاد، وكذا شيخ الإسلام تلميذه، وهو موضوع عند النقاد»[1]. وذكر الشامي أنَّ «ما اشتهر على ألسنة كثير من الناس أنه ρ قال: "أنا أفصح من نطق بالضاد". فقال الحافظ عماد الدين بن كثير -وتابعه تلميذه الزركشي- وابن الجوزي والشيخ والسخاوي: إنه لا أصل له»[2]. وقال عنه ابن الجزري: "والحديث المشهور على الألسنة : أنا أفصح من نطق بالضاد، لا أصل له، ولا يصح"[3]. وقال عنه الأمير: "والحديث غريب لا يعرف له سند كذا في حاشية السيوطي"[4].

وعلق رمضان عبد التواب على هذا فقال: «ويبدو أن هذا الحديث قد غيرت ألفاظه بعد أن شاعت تسمية اللغة العربية (بلغة الضاد) فقد وجدت في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٧) قوله: (قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ρ يقول لأصحابه: أنا أعربكم، أنا قرشي، واسترضعت في بني سعد بن بكر). ورواه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (١ / ١٧٧) بلفظ: (أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش). كما رواه السيوطي في

---

(١) عبد الرزاق البيطار، **حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر**، انظر: **http://www.alwaraq.net/index**

(٢) شمس الدين الشامي، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، ٢:١٤١.

(٣) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ١ /٢١٩.

(٤) محمد الأمير، **حاشيته على مغني اللبيب**، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، ١: ١٠٥.

الجامع الصغير (١ : ١٠٧ / ١٢): أنا أعرب العرب ولدتني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر)»[١].

دعوى القول بتفرد العربية بالضاد:

ينتهي إبراهيم أنيس بعد حديث عن الضاد إلى «أن علماء اللغة حتى أواخر القرن الثاني من الهجرة لم يشيروا إلى صوت الضاد على أنه مما تميزت به العربية وحدها[٢]، ولم يطلقوا على هذه اللغة ذلك القول المأثور (لغة الضاد) وكل ما أشاروا إليه في كتبهم أنه كان هناك أنواع من النطق غير مستحسنة وقعت في بعض الأصوات ومن بينها الضاد»[٣]. وأشار إلى «أن نطق العرب للضاد في صدر الإسلام لم يكد يسترعي انتباه أحد من العلماء، ولم يشر إليه على أنه مما تميزت به العربية حتى أواخر القرن الثاني من الهجرة. فلم يقل أحد حتى ذلك الحين: إن بعض المتكلمين بالعربية قد تعثروا في النطق بهذا الصوت وحده، وإن العربية لغة الضاد من أجل ذلك»[٤].

تنبه سلوى ناظم[٥] إلى أن الضاد ليست مقصورة على العربية مستشهدة بأقوال المتقدمين من علماء العربية فالخليل أكد في موضعين من

---

(١) رمضان عبدالتواب، **مجلة المجمع العلمي العراقي** (بغداد، مطبعة المجمع ،١٩٧١م)، مج ٢١.

(٢) المقصود بهذه الضاد الصوت الذي وصفه سيبويه وهو غير الضاد التي هي نظير مطبق للدال فهذه مسموعة في لغات أخرى كالإنجليزية مثل (does/darling)، انظر: إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٥٠.

(٣) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٥٦.

(٤) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٥٧.

(٥) سلوى ناظم، **دراسات لغوية مقارنة**، ص١٦٢-١٦٥.

معجم العين على أن الظاء هي الخاصة بلغة العرب قال: «وليس في شيء من الأَلْسن ظاء غير العربية»، وقال في موضع آخر: «والظّاء عربية لم تُعطَ أحدًا من العجم، وسائر الحروف اشتركُوا فيها». وتقول سلوى ناظم: «وهذا ابن فارس الذي لم يقصر الضاد على العرب، يصرح بأن الظاء والحاء للعرب وفي هذا يقول: ومما اختصت به لغة العرب (الحاء) و(الظاء)، وزعم ناس أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم. أما ابن جني، بتحفظه المعهود، فيصرح قائلاً: "واعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط...»[1]. ثم نقلت ما ردده صاحب اللسان وتاج العروس من أقوال الخليل وابن جني، ثم نقلت ما جاء في التاج: «قال شيخنا: وصرح بمثله أبوحيان وشيخه ابن أبي الأحوص، وغير واحد فلا يعتد بمن قال إنما الخاص بالضاد قلت وكأنه تعريض على البدر القرافي حيث قال إنما المختص بهم الضاد وقال ابن جني اعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط»[2]. ويمكن القول إن تفرد العرب بالظاء لا يدفع تفردهم بالضاد أيضًا فابن جني الذي ورد قوله سابقًا عن الظاء ممن يذهبون إلى تفرد العرب بالضاد إذ قال: «واعلم أن الضاد للعرب خاصة، ولا يوجد من كلام العجم إلا في القليل»[3].

ويذهب المتخصصون بدراسة اللغات السامية إلى أن الضاد قد عرفت في الساميات؛ ولكنها تحولت إلى أشكال صوتية أخرى، ومنهم من لا يصرح بذلك مكتفيًا بالقول: إن في الساميات ما يقابلها من الأصوات

---

(١) ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ١: ٢٢٧.

(٢) سلوى ناظم، **دراسات لغوية مقارنة**، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ١: ٢١٤-٢١٥ .

الأخرى بناءً على موازنة الكلمة الواحدة في تلك اللغات. قال حسن ظاظا: «فهناك من ذهب من العلماء إلى القول بأن الضاد كانت موجودة في اللغة السامية الأم ولكنها كانت صوتًا مزدوجًا من قاف وسين (قساد)، وحجتهم في ذلك أننا لو أخذنا كلمة فيها ضاد، عامة شائعة في كل اللغات السامية، ولتكن كلمة (أرض) العربية لوجدناها في العبرية (آرص) بالصاد، وفي البابلية الآشورية (أرستو) بتفخيم في السين أحيانًا، وفي الحبشية (أرد)، وفي الآرامية (أرعا) أو (أرقا). واستخلصوا من ذلك أنها لابد أن تكون صوتًا من أقصى الحنك الرخو عند منطقة اللهاة، بدليل أنها تحولت إلى عين وإلى قاف في الآرامية، يتبعه مباشرة صوت أسناني، فكان هذان الصوتان هما عند أولئك العلماء القاف والسين، وقد تأثروا في ذلك بنطق اليهود الاشكنازيين (يهود شرق أوربا ووسطها) لحرف الصاد صوتًا مزدوجًا مكونًا من تاء وسين. والراجح عندنا أن السامية الأمْ لم تكن تعرف الأصوات المركبة على هذا النحو، وأن الضاد كانت عندهم صوتًا مركبًا بشكل آخر هو اعتماده على نقطة خروج لسانية أسنانية من نوع الياء، مع تفخيم يصل الإطباق فيه مع الجهر إلى تحويل هذا المخرج إلى مزيج مع صوت حلقي. ولذا كان النبط والآراميون بعامة ينطقون مقابل هذه الصاد في لغتهم عينًا»[1]. ثم قال: "فنحن إذن نختلف مع الذين قالوا: إن الضاد، التي هي من أخص خصائص العربية الفصحى، لم تكن موجودة بلفظها هذا في السامية الأمّ، بل إننا نرى أن العربية بحفاظها على الضاد ربما اعتبرت هذا مفخرة لها، لتواتر حرف من

---

(١) حسن ظاظا، **كلام العرب**: من قضايا اللغة العربية، الإسكندرية: مطبعة المصري، ١٩٧١م، ص٢٩.

حروف الأسلاف الأول على لسان العرب، انقرض تمامًا لدى غيرهم من الساميين"[١]. وردد الباحثون هذا المثال من بعد حسن ظاظا كما نجد عند رمضان عبد التواب الذي يشير إلى وجودها في الحبشية ثم يقول: «وإذا كانت الضاد بهذه الصورة توجد في بعض اللغات السامية كما رأينا كان من التجوز قول ابن جني: واعلم أن الضاد للعرب خاصة، ولا يوجد من كلام العجم إلا في القليل»[٢]. وأما سلوى ناظم فأشارت إلى أن الظاء موجودة في الأوجاريتية ونقلت قول خليل نامي في ذلك ثم انتهت إلى القول: «وهكذا يتبين لنا من جملة ما سبق أن المقولة الشائعة (العربية لغة الضاد) مقولة غير وثيقة. وأن المقولة الأخرى التي بدأها الخليل والتي تخص العربية بحرف الظاء، هي الأخرى فيها تجاوز- وإن كانت أقرب إلى الصواب»[٣].

أما كاصد الزيدي فهو عاطفي النظرة حتى إنه ليغفل عن التناقض في القول حين يذهب إلى أن «تعدد صور الضاد في اللغات الجزرية [السامية] في كلمة (أرض) يَرُدّ زعم من يرى أن صوت الضاد لا يختص به العرب ويدفع استثناء ابن منظور في كلامه الذي أوردناه آنفًا حين يقول: (ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل)، إذ لا يعرف علم اللغة ولا تاريخ اللغات –

(١) حسن ظاظا، **كلام العرب:** من قضايا اللغة العربية، الاسكندرية: مطبعة المصري، ١٩٧١م، ص٢٩.

(٢) رمضان عبدالتواب، **زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء**، لـ أبي البركات بن الأنباري، بيروت: الرسالة، ١٩٧١م)، ص ١٥.

(٣) سلوى ناظم، **دراسات لغوية مقارنة**، ص ١٦٥.

قديمًا أو حديثًا- أحدًا كان ينطق هذا الصوت، غير الناطقين بالعربية»[١].
واستشهد الزيدي على عجز غير العرب عن نطق الضاد بكلمة (ضروري) فهم ينطقونها (زروري)[٢] ولكنهم كذلك ينطقون الظاء زايًا، فلا فرق عندهم بينهما[٣]. ونجد السحيمي يقرر أن الظاء العربية تحولت إلى صاد في البابلية والعبرية وكذلك الضاد قابلتها الصاد في اللغتين السابقتين ويميل إلى أن اختفاء الصوتين (ظ/ض) من الساميات مقترن باختفاء الثاء والذال اللذين يميل إلى كونهما أساس الصوتين (ظ/ض)[٤].

ونود قبل أن نتابع بحث جوانب هذه المسألة أن ننبه إلى أن الباحثين الذين يدعون وجود الضاد في السامية إلى درجة الافتخار باستمراره في العربية عند ظاظا أو الذين ينفون ذلك إنما ينطلقون من مصادرة أولية هي وجود صوت متميز بأنه وحدة صوتية (phoneme) تسمى (الضاد)؛ ولذلك يشيرون إلى مقابلاتها أو تحولاتها. وليس وجود الضاد في العربية بدليل استمراره فيها فقد يكون حادثًا في أي مرحلة من مراحل استعمالها. ولا يختلف هؤلاء الباحثون عن صنيع علماء العربية القدماء الذين يرون أن الضاد خالطت حروفًا أخرى، وأن لها تلونات صوتية أخرى، وكل ذلك

---

(١) كاصد الزيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ص١٢٧.

(٢) الزيدي، **دراسات نقدية**، ١٢٦.

(٣) ومن طريف ما يقال أن كلمة (موسوعات) هي اللفظ التركي للكلمة العربية (موضوعات) فالضاد العربية تنطق زايًا مفخمة في التركية ثم دخلت العربية تاركة صفة الجهر فسمعت سينًا. انظر مقدمة شرح الأجرومي للأسمري على الرابط: http://www.islamport.com/isp_eBooks/lqh/

(٤) سليمان السحيمي، **إبدال الحروف في اللهجات العربية**، ص٤٣٨-٤٣٩.

مبعثه إيمان لا يتزعزع بوجود وحدة صوتية (phoneme) اسمها (الضاد)؛ أما أنا فأشك في الأمر جملة وتفصيلاً وهذا ما سأحاول أن أبينه بعدُ.

دعوى مخرج الضاد:

أول ذكر لمخرج الضاد ما ورد في الكتاب لسيبويه: «ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مُخرج الضاد»[1]. ويوضح ذلك المبرد، فيقول: «ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر»[2]، ويقول ابن جني: «ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»[3].

وهذا المخرج لا تشارك الضاد فيه أصوات أخرى، ومع ذلك وصف هذا الصوت بالصعوبة حتى كان ذلك سببًا لتغيره. ووُصف هذا الصوت بأنه مطبق كإطباق الظاء والطاء والصاد غير أنه يختلف عنها من جهة أنه ليس له نظير منفتح؛ ومن أجل ذلك قال سيبويه: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً[4]، والصاد سينًا، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها»[5].

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٤: ٤٣٣.

(٢) المبرد، **المقتضب**، ١: ١٩٣.

(٣) ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ١: ٥٢.

(٤) الطاء التي تسمع اليوم في الاستعمال الفصيح وقراءة القرآن وكثير من اللهجات هي النظير للتاء أي طاء مهموسة و لم تبق نظيرًا للدال إلا في بعض لهجات اليمن.

(٥) سيبويه، **الكتاب**، ٤: ٤٣٦.

فإن يكن للضاد مخرجها الفريد وصفتها الواضحة فما الذي جعلها تنطق في بعض البيئات ظاءً؟ وأما خروجها من الكلام فلا يعني سوى أنها لا تظهر في شكل صوت له وظيفة بنائية في العربية فلا يكون وحدة صوتية (phoneme)، ولكن الإطباق صفة إضافية فإذا زالت وجب أن يسمع أي صوت اتصف بها بشكل من الأشكال وإن لم يكن له وظيفة. فليس للباء المهموسة (P) وظيفة في العربية ولكنها تتحقق في النطق كما في قولنا: (لاعبْ سالًما) إذ تسمع: لاعپْ سالًما. والفاء المجهورة (v) لا وظيفة لها ولكنها تتحقق في النطق كما في قولنا: (اقطفْ زهرة) إذ تسمع: اقطڤْ زهرة. وأما الضاد فلا نعلم كيف تكون بلا إطباق، إلا ما يقال من أنّ من العرب من ينطقها ذالاً فتكون في هذه الحال ظاءً بلا إطباق.

ويذكر لنا سيبويه صورة صوتية (allophone) للضاد، وهي الضاد الضعيفة، يذكرها مع جملة الصور الصوتية التي لا توصف بالفصاحة، ولذا لا يقرأ بها القرآن، وهي صور مسموعة في لهجات العرب (لغاتهم)، يقول: «إلا أن الضاد الضعيفة تُتَكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقةٌ، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه. وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين. وهي أخف لأنها من حافة اللسان، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان، فسهل تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن، ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان، كما كانت كذلك في الأيمن»[1].

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٤: ٤٣٢-٤٣٣.

وكـلام سـيبويه غـير واضـح كـل الوضـوح هنـا[1]، ولا نعلـم مـا الاختلاف بين الضاد الضعيفة وغير الضعيفة؟ ولسنا نفهم معنى قوله: إنها تستطيل حتى تخالط حروف اللسان ولا قوله: إنها تنسل حتى تتصل بحروف اللسان، فهل يمكن أنه يشير بذلك إلى تحولاتها النطقية إلى أصوات أخرى؟ وهذا ما نفهمه من قول السيرافي الذي ذكره ابن يعيش: «والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها طاء وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها، فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء»[2]. ويذهب غانم الحمد إلى أن هذا المصطلح صار يطلق بعد سيبويه على أكثر من صوت حسب ما تؤول إليه الضاد، سواء كان ظاء أو بين الضاد والظاء أو بين الضاد والثاء[3].

غاية ما نفهمه من وصف سيبويه لهذا الصوت أنه صوت مطبق ويصاحب نطقَه اقترابُ اللسان نحو الأضراس من جهة الفم اليسرى أو اليمنى أي نحو الشدق يسارًا أو يمينًا ولعل في ذلك عنتًا على الناطق دعاه إلى تركه والتحول عنه بعد.

ولكنّا نعود فنسأل أهذا الموضع الذي ذكره سيبويه لنطق الضاد هو مخرج لها أم هو صفة كالإطباق وأنّ لها مخرجها الأصلي؟ الذي نميل إليه أن الجانبية أو الشدقية صفة لها أو ملمح من ملامحها كالإطباق والرخاوة التي

---

(١) وكذلك وصفه رمضان عبدالتواب بأنه كلام غير مفهوم، انظر: **مقدمة زينة الفضلاء للأنباري**، ص١٦، ح١.

(٢) ابن يعيش، **شرح المفصل**، ١٠: ١٢٧.

(٣) غانم قدوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص ٢٨٠.

وُصفت بهما، إن مرور الهواء من بين حافة اللسان والأضراس ليس هو مخرج الضاد لأنها كما وصفها سيبويه تستطيل والاستطالة هذه هي ما جعلها تمتاز من الظاء في قول المجودين[1].

وذهب عبداللطيف الخطيب إلى أن ما نسب إلى الخليل من أن الضاد من شجر الفم مخرجها[2] وأن ما قاله سيبويه هو صفة المخرج ولكن الخالفين غلبوا صفة المخرج على المخرج نفسه، ويستدل على قوله بالرسم الذي رسمه السكاكي في مفتاح العلوم حيث تظهر الضاد إلى الجانب الأيمن من الأحرف الشجرية[3]. فإن تكن الضاد شجرية كما روي عن الخليل وجانبية كما ذكر سيبويه؛ أفما كان لها أن تميز في السمع عن الظاء، وأن يستمر استعمالها فلا تذهب أو تتحول إلى أصوات أخرى؟

ولعل إبراهيم أنيس اقترب من قول الخليل حين حاول شرح الضاد العربية القديمة: «والضاد القديمة كما أتخيلها يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة ثم ينهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة، وشيء من رخاوة الظاء العربية؛ ولذلك يعدها القدماء من الأصوات الرخوة»[4]. ولكنا نلاحظ أنه أهمل صفة الجانبية فيها.

---

(١) غانم قدوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٦٧.

(٢) جاء في (العين): "قال الليث: قال الخليل: فالعين والحاء والخاء والغَيْن حَلْقيّة، لأن مبدأها من الحَلْق، والقاف والكاف لَهَوِّيتانِ، لأنَّ مَبْدَأهُما من اللّهَاة. والجيم والشِّين والضاد شّجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم".

(٣) عبداللطيف محمد الخطيب، **ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية**، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١م، ص٩-١٠.

(٤) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٤٩.

ومن محاولات تصور مخرجها ما قاله برجشتراسر: «ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن للضاد نطقًا قريبًا منه جدًا عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة. ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك؛ ولذلك استبدلها الأسبان بصوت LD في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم، مثال ذلك أن كلمة (القاضي) صارت في الأسبانية: alcalde ومما يدل أيضًا على أن الضاد كانت في نطقها قريبة من اللام أن الزمخشريّ ذكر في كتابه (المفصل) أن بعض العرب تقول: (الطجع) بدل: (اضطجع). ونشأ نطق الضاد عند البدو من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه»[1]. ولا يختلف هذا القول عن قول سيبويه، وبخاصة أنه يصرح في آخره بتحولها من حافة اللسان إلى طرفه، أما الفعل (الطجع) فهو دليل على أن مماثلة الضاد للطاء في هذا اللفظ غير تامة إذ بقيت صفة الجانبية التي سمعت لامًا. ويمكن القول: إن هذه اللام في هذا الفعل كانت نتيجة التخلص من متماثلين، فالفعل (اضطجع) ماثلت الضاد فيه الطاء مماثلة تامة فصارت طاء، ثم تخلص من هذه المتماثلات بقلب أول المضعفين لامًا (الطجع):

اضطجع ← اطَّجع ← الطجع

وبرجشتراسر قال: إن الضاد في حضرموت كاللام المطبقة ولم يقل إنها اللام؛ ولذا فإن رمضان عبدالتواب قد خالفه التوفيق حين فهم من قوله السابق: إن الضاد لام مطبقة، يقول عنها: «ويبدو من وصف القدماء لها،

---

(١) ج. برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، القاهرة: المركز العربي للبحث والنشر ١٩٨١م)، ص١٠.

ومن تطورها في بعض اللهجات واللغات، أنها كانت لامًا مطبقة، كما يقول برجشتراسر، كما يبدو أنه كان فيها بعض الشبه بالظاء والضاد الحديثة[1]، وإلا ما تطورت في اتجاه كل واحد من هذين الصوتين في اللهجات العربية الحديثة»[2]. وأما نحن فلم نسمع من أهل حضرموت على كثرة من وفد منهم إلى نجد نطقًا للضاد كاللام المطبقة.

ويذهب المسهلي إلى أن الضاد العربية في لهجة الشحر يقول بعد ذكر مخرج الضاد العربية الفصيحة كما ذكره سيبويه: "وهذا الوصف ينطبق بعينه أو يكاد على الضاد في اللهجة الشحرية، وفي اللهجة الكثيرية –إحدى اللهجات العربية المعاصرة في ظفار. وقد ذكر بعض الباحثين المعاصرين، بأن أقرب نطق للضاد العربية القديمة لا يزال موجودًا في ظفار، إشارة إلى الشحرية وغيرها من لهجات ظفار التي ينطبق عليها هذا الوصف، لأنه لم يعد اليوم لهذا الحرف أو الصوت وجود يذكر في اللغة العربية الفصحى المعاصرة أو لهجاتها"[3].

دعوى اختلاط الضاد بالظاء:

الأمر الذي يكاد يتفق عليه اللغويون هو اختلاط الصوتين الضاد والظاء، فمكي بن أبي طالب يقول: "والضاد يشبه لفظها لفظ الظاء؛ لأنها من حروف الإطباق ومن الحروف المستعلية، ومن الحروف المجهورة، ولولا

---

(١) أي الدال المطبقة كما تسمع في مصر [دط].

(٢) رمضان عبدالتواب، **زينة الفضلاء**، للأنباري، ص١٣.

(٣) محمد بن مسلم بن طفل المسهلي، **مفردات من اللهجة الشحرية**، (ط١، ١٩٩٧م) ص٢٠-٢١.

اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لكان لفظهما واحدًا، ولم يختلفا في السمع..."[1]. وقال المرادي: "ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لاتحدا في السمع"[2].

والمحدثون أشاروا إلى هذا الاختلاط، ولكنهم يشيرون إلى صورتين صوتيتين للضاد إحداهما: وقفية كالدال والأخرى غير وقفية وهي المطابقة للظاء، ويشرح لنا إبراهيم أنيس الضاد الوقفية في قوله: "الضاد العربية، التي ننطقها الآن في مصر لا تختلف عن الدال في شيء سوى أن الضاد أحد أصوات الإطباق. فعند النطق بها ينطبق اللسان على الحنك الأعلى متخذًا شكلاً مقعرًا، كما يرجع إلى الوراء قليلاً. فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا. فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتًا انفجاريًّا هو الضاد كما ننطق بها في مصر"[3].

ويروي عبدالعزيز مطر عن أستاذه أنيس علة نطق الضاد على النحو الذي وصفه وتغير الثاء والذال والظاء، فيقول: "إنما هو من تأثير اللغة الآرامية التي تخلو من هذه الأصوات.. ولهذا نجد ظاهرة النطق بأصوات بديلة لهذه الأصوات الثلاثة شائعة في البلاد التي انتشرت فيها اللغات

---

(١) مكي بن أبي طالب القيسي، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دمشق: ١٩٧٣م، ص ١٥٨.

(٢) انظر: غانم قدوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٦٨.

(٣) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٤٨.

واللهجات الآرمية- كسوريا، ولبنان، وفلسطين، ومصر"[١]. ولكن هذا التعليل متوقف فيه لأمرين أحدهما أن عبدالعزيز مطر نفسه نقل لنا في بحثه الميداني عن لهجة البحرين "أن نطق الظاء ضادًا عام في كل الموقع في لهجة سترة وما شابهها من لهجات"[٢]. وليست سترة في نطاق اللغة الآرامية، والأمر الآخر أن الأصوات الأسنانية شهدت تغيرًا في كثير من البيئات حتى البدوية منها فالثاء تسمع من البادية في نجد مفخمة والذال تسمع مطبقة، نحو: (هذا ← هاظا، ذاق← ظاق). ولم يرصد المسهلي في كتابه عن المفردات الشحرية كلمات بالظاء لنرى كيف نطقت، ولكنه رصد كلمة واحدة وهي (ضهر أي ظهر)[٣]. وهذا قد يعني أن الظاء في هذه اللهجة نطقت ضادًا أي جانبية حسب وصف المسهلي للضاد في لهجة الشحر.

ويبين أنيس لنا بعد ذلك أن هذه الضاد الوقفية تختلف عن الضاد القديمة الموصوفة عند سيبويه يقول: "فإذا أتيح لبعضنا الاطلاع على وصف سيبويه لصوت (الضاد) القديمة تبين لهم أن الضاد التي وصفها سيبويه تختلف عن ضاد المصريين وأهل الشام في أمرين:

أولهما: أن ضاد المصريين شديدة أو انفجارية، في حين أن التي وصفها سيبويه رخوة.

---

(١) عبدالعزيز مطر، **دراسة صوتية في لهجة البحرين**، ص ١٠. وانظر في تحول الثاء إلى تاء أو سين وتحول الظاء إلى ضاد في بلاد الشام، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، **غرائب اللهجة اللبنانية السورية**، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٢) ص٧.

(٢) عبدالعزيز مطر، **دراسة صوتية في لهجة البحرين**، ص ١٨.

(٣) المسهلي، **مفردات من اللهجة الشحرية**، ص ١٠٤.

ثانيهما : أن ضاد المصريين مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ، ولكن التي وصفها سيبويه مخرجها حسب تعبيره(أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس)"[١].

ويشير رمضان عبدالتواب إلى خلط العرب بين الضاد والظاء فيقول : "تخلط بعض الشعوب العربية بين صوتي الضاد والظاء خلطاً كبيرًا في النطق والكتابة ، كما هو الحال في بعض بلاد العراق وشمالي أفريقيا"[٢]. وما ذكره عبدالتواب متوقف فيه ، ففي العراق خلط بين الحرفين في الكتابة لا النطق لأنه لا وجود للضاد الوقفية أو غير الوقفية في نطقهم ، يقول العاني : "ولا تنطق الضاد في العراق سواء على المستوى المثقف أو الشعبي ، إلا في لهجات بعض المسيحيين العراقيين[٣]. ومع أنها تمثل في الكتابة بحرف /ض/ فإنها دائمًا تنطق بصوت /ظ/ وليس /ض/. ولذلك فهي غير مميزة صوتيًّا لأنها منصهرة Fused مع الظاء"[٤].

ولعل هذا الانصهار الذي أشار إليه العاني هو ما أراده رمضان ؛ ولكنه لم يوفق إلى بيانه ، فلعله قد أراد أنهم يخلطون الضاد بالظاء ، وهو أمر يختلف عن الخلط بينهما. ويؤيد ما نفهمه ذهابه إلى أن الضاد في مصر لم تختلط بالظاء يقول : "وليس صوت الضاد الشائع في مصر وبلاد الشام بأسعد من صنوه في العراق وبلاد المغرب ؛ إذ إنه تطور في اتجاه آخر من صوت الضاد القديم ، وإن

---

(١) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٥١.

(٢) رمضان عبدالتواب، **مجلة المجمع العلمي العراقي**،١٩٧١م، مجلد ٢١.

(٣) وهو يقصد بالضاد هنا الوقفية المسموعة في مصر.

(٤) سلمان حسن العاني، **التشكيل الصوتي في اللغة العربية:فنولوجيا العربية**، ترجمة ياسر الملاح، جدة: النادي الأدبي، ط١، ١٩٨٣م، ص٧٤.

لم يختلط هنا بصوت الظاء، كما حدث في تلك البلاد"[1]. ولابد لنا من التنبيه إلى أنه على الرغم من استقلال الصوتين نطقًا في مصر والشام حدث الخلط بينهما فقد ينطق بالظاء ما حقه أن ينطق بالضاد الوقفية وقد ينطق بالضاد ما حقه أن ينطق بالظاء. كما في (الظَهر) تنطق وتكتب (الضَهر)، والعلم (إيلي ظاهر) يكتب (إيلي ضاهر). وقال عبدالعزيز مطر: "وفي الظاء التي أصبحت ضادًا: صليت الضُّهر - خلِّينا في الضل - الدنيا ضلْمه. بدلاً من: صلَّيت الظهر - خلِّينا في الظل - الدنيا ظلام"[2].

ذكرَ وافي تحول "الضاد إلى ظاء في عامية المغرب وخاصة برقة، وفي لهجة العراق، وفي لهجة نجد، والقصيم وفي لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر من الغرب (فبدلاً من: وضوء، يضيع، يضرب، يضم...إلخ. يقال: وظوء، يظيع، يظرب، يظم ...إلخ."[3]. والضاد عند البدو في مصر هي "صوت أسناني، جانبي، رخو، مجهور، مطبق، قريب من الظاء العربية. يقول البدوي: يضحك، فاضي، مريض، ضيف. فيسمع السامع الضاد قريبة من الظاء التي ينطقها مجيدو القراءات القرآنية في العصر الحاضر"[4]. وأما في لهجة شمال المغرب في تطوان وما حولها فإنهم "يبدلونها دالاً كما في قولهم مْدْخَّمْ، مْدَغْ(مضخم ومضغ). ويبدلونها طاء كما في قولهم: بْيَّطْ،

---

(١) رمضان عبدالتواب، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ١٩٧١م، مجلد ٢١.

(٢) عبدالعزيز مطر، **دراسة صوتية في لهجة البحرين**، القاهرة: مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٨٠م)، ص٩.

(٣) علي عبدالوحد وافي، **علم اللغة**، القاهرة: ط٦، دار نهضة مصر، ١٩٦٧م، ص٢٨٤.

(٤) عبدالعزيز مطر، **لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط**، ص٤٧.

لْحَـامِطْ، رْطَـعْ، رّيَـاطْ، طْحَـكْ عْلِيْـهْ، غْمَّـطْ عْـيْنَ،فَطْ، في (بـيّضَ، الحامض، رضع، الرياض، ضحك عليه، غمض عينيه، وفاض)"[1]. وأما (الظاء) فـإنهم "يبـدلونها ضـادًا في قـولهم: ضْـلّ، ضّـلْمْ، ضّـلاَمْ، ضْـنّ، ضْـهَرْ، نّـضَرْ، وْضَّـفْ، في (الظـل، الظلـم، الظـلام، ظـن، ظهـر، النظر، وظفه) ويبدلونها طاء في قولهم: طّهَارْ، لْعْطَمْ، لْغْلـيط، في(الظهر، العظم، الغليظ) ويبقونها فصحى في مثل قول لْمْظْلّ، نّـاظِرْ، بـالله لْعْظِيم، لْغْيْظْ"[2].

وما زلنا في البلاد النجدية وما جاورها لا نسمع غير الظاء، فكـل مـا يكتب بالضاد ينطق ظاء كما هي الحال في العراق على نحو ما وصف العاني، ولم تعـرف الـضاد الوقفيـة في نجـد إلا بعـد توافـد القـراء مـن مـصر والـشام ونشرهم لطريقة أداء الضاد، ومع ذلك ظل التمييز بـين الـصوتين غائبًـا وآيـة ذلك تظهر في تدوين أسماء الناس (الأعلام). إذ نجد الاسم قد يكـون رسـمه المفـترض بالـضاد فيرسـم بالظـاء وقـد يكـون رسمـه المفـترض بالظـاء فيرسـم بالضاد، وكل ذلك راجع إلى أن الناس لا يفرقون في الاستعمال بين الحـرفين ولا يسمعونهما مختلفين ومن ذلك ما يتضمنه هذا الجدول[3]:

---

(١) عبدالمنعم سيد عبد العال، **لهجة شمال المغرب"تطوان وما حولها"**، القاهرة: دار الكاتـب العربي، ١٩٦٨م، ص٨٠.

(٢) عبدالعال، **لهجة شمال المغرب**، ص٨٠.

(٣) أبوأوس إبراهيم الشمسان، **تباين كتابة الأسماء العربيـة في الحـروف والتـشكيل:** صـوره وأسبابه، كتاب توحيد معايير النقل الكتابي لأسماء الأعلام العربية: الأبعاد الأمنيـة، الريـاض: أكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٣م)، ص١٨. وانظـر كتـاب: **النـاس في المملكة العربية السعودية**، انظر: الرابط العنكبي: http://www.aboaws.com/kitabannas.ht.

الاسم بالضاد	رسمه بالظاء	الاسم بالظاء	رسمه بالضاد
تاضي	تاظي	حظاظ	حضاض
خضران	خظران	حظيظ	حضيض
ضاحي	ظاحي	حظيه	حضيه
ضبيب	ظبيب	ظافر	ضافر
ضفيدع	ظفيدع	ظبية	ضبية
ضيف الله	ظيف الله	ظويهر	ضويهر
عايض	عايظ	حفيظ	حفيض
عواضه	عواظه	حفيظة	حفيضة
عوضه	عوظه	حنيظل	حنيضل
عيضه	عيظه	حويفظ	حويفض
غاضي	غاظي	محيفظ	محيفض
معيض	معيظ	مغيظ	مغيض
موضي	موظي	مغيظه	مغيضه

وأما الضاد التي وصفها سيبويه، وألح المجودون على وجوب إتقان أدائها فهي في نظر الدارسين المحدثين كما هي في نظر القدماء من نحاة ومجودين قريبة من الظاء، يقول المستشرق (برجشتراسر): "إن نطق الظاء كان قريبًا من نطق الضاد وكثيرًا ما تطابقتا وتبادلتا في تاريخ اللغة العربية. وأقدم مثل لذلك مأخوذ من القرآن الكريم، وهو الضنين في سورة التكوير[1]، فقد قرأها كثيرون الظنين بالظاء مكان الضاد التي رسمت بها في كل المصاحف. وممن قرأها بالظاء

(١) هكذا وأما في المصحف فالآية (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) (التكوير: ٢٤).

ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، وكذلك النبي ρ كما قال مكي في كتاب الكشف[1]"[2]. ويرى إبراهيم أنيس أن هذه الآية "يمكن تفسيرها على أساس أن قلة من العرب كانوا ينطقون الضاد ظاء"[3].

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: "لا يخالجنا الآن أدنى شك في أن العرب القدماء كانوا في نطقهم يميزون هذين الصوتين تمييزًا واضحًا، ولكنهم فيما يبدو كانوا فريقين: فريق يمثل الكثرة الغالبة، وهؤلاء هم الذين كانوا ينطقون النطق الذي وصفه سيبويه. أما الفريق الآخر؛ فكان يخلط بين الصوتين"[4]. وحاول التعليل بقوله: "وهذا الخلط الذي وقع في بعض اللهجات المغمورة، إنما كان سببه أن هذين الصوتين على حسب وصف سيبويه لهما يشتركان في بعض النواحي الصوتية، أو بعبارة أخرى كان وقعهما في الآذان متشابها. ولعل مما يستأنس به لهذا التشابه بين الصوتين في النطق القديم، وقوعهما في فاصلتين متواليتين من فواصل القرآن الكريم، مثل ما جاء في سورة فصلت قال تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ

---

(١) مكي بن أبي طالب القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤م، ٢: ٣٦٤، وذكر مكي أنها بالظاء بمعنى متهم.

(٢) ج. برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، القاهرة: المركز العربي للبحث والنشر، ١٩٨١م، ص١١.

(٣) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص ٥.

(٤) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص ٥٣-٥٤.

عَذَابٍ غَلِيظٍ ~ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الأَنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)[٥٠، ٥١ - فصلت]، وفي رأيي أن الانسجام الموسيقي بين فواصل كثيرٍ من الآيات القرآنية يهدينا إلى النطق الأصلي لبعض أصوات اللغة وقت نزول القرآن"(١).

ولم يسلم من الخلط بين الضاد والظاء قراء القرآن حتى رأينا علماء القراءات يؤكدون على وجوب الفصل بينهما ووجوب أخذ النفس بالتمرن على أداء الضاد حتى لا تختلط بالظاء وكأن هذا النطق ليس من لغة القارئ. يقول مكي بن أبي طالب: "فلابد للقارئ المجوِّد أن يلفظ الضاد مفخمة مستعلية منطبقة مستطيلة، فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها. ومتى فرّط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال فيكون مبدلاً ومغيِّرًا. والضاد أصعب الحروف تكلفًا في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها، وأخل بقراءته، ومن تكلف ذلك وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعًا وسجية"(٢). وقال الداني: "ومن آكد ما على القراء؛ أن يخلصوه [أي الضاد] من حرف الظاء بإخراجه من موضعه، وإيفائه حقه من الاستطالة، ولا سيما فيما يفترق معناه من الكلام، فينبغي أن ينعم بيانه ليتميز بذلك"(٣). وقال عبدالوهاب القرطبي: "وأكثر القراء اليوم على إخراج الضاد من مخرج الظاء، ويجب أن تكون العناية بتحقيقها تامة"(٤).

---

(١) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص ٥٥.

(٢) انظر: غانم قدوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٣) غانم قدوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص ٢٦٨.

(٤) غانم قدوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص ٢٦٨.

وأمر اختلاطهما مشهود في استعمال الناس قديمًا وحديثًا، فقد سجل الجاحظ مثل هذا الخلط بين الضاد والظاء قال: "زعم يزيد مولى ابن عون، كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها قال: يا ضمياء بالضاد، فقال ابن المقفع: قل يا ظمياء، فناداها: يا ضمياء، فلما غيّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثًا، قال له: هي جاريتي أو جاريتك؟"[١]. وروي عن المدائني أنه "قرأ إمام (ولا الضالين) بالظاء المعجمة، فرفسه رجل من خلفه فقال الإمام آه ضهري، فقال له الرجل: خذ الضاد من ضهرك واجعلها في الظالين وأنت في عافية"[٢]. وهذه الروايات تبين الخلط لكنها لا تعين على تبيان كيفيته ولا صفة الضاد المقصودة.

بل إن أمر اختلاط الضاد بالظاء يُرَدُّ في بعض الروايات إلى عهد الصحابة؛ فقد روى أبو علي القالي أن رجلاً "قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، أَيُضَحَّى بضَبْيٍ؟ قال: وما عليك لو قلت: بظبي؟! قال: إنها لغة، قال: انقطع العتاب ولا يضحَّى بشيء من الوحش"[٣].

ولعل هذا الاختلاط يقف وراء كثرة ما كتب من أعمال منظومة ومنثورة للفرق بين الضاد والظاء، أحصى منها رمضان عبدالتواب ثلاثين عملاً[٤]. وأوصلها حاتم الضامن إلى اثنين وأربعين عملاً ثم ذكر في مستدركه أربعة عشر عملاً ليصل المجموع إلى ستة وخمسين عملاً[٥].

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢: ٢١١.

(٢) ابن الجوزي؛ **أخبار الحمقى والمغفلين**، ص ١١٢.

(٣) أبو علي القالي، **ذيل الأمالي والنوادر**، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢.

(٤) انظر: مقدمة رمضان عبدالتواب **لكتاب زينة الفضلاء**، ٢٣- ٣٥.

(٥) انظر مقدمة كتاب **معرفة الضاد والظاء للصقلي**، ص١٣، ١٥.

وقد أدرك الذين ألفوا تلك الأعمال أن الخلط بين الصوتين أمر واقع وأنه لابد من تنبيه الكُتّاب لكي لا يخلطوا في الكتْب بينهما كما يخلطون في النطق، يقول رمضان عبد التواب: "ولقد كانت محاولات بعض من ألف في موضوع الضاد والظاء من اللغويين العرب، منحصرة أحيانًا في تنبيه الكُتّاب حتى لا يخلطوا الضاد بالظاء في خطوطهم متأثرين في ذلك بنطقهم الذي كان من العسير إصلاحه، فنحن نرى مثلاً الزنجاني...يقول: (هذا كتاب معرفة ما يكتب بالضاد والظاء معًا والفرق بينهما في الخط والهجاء، إذا كانا على بناء واحد وصورة واحدة في اللفظ) كما يقول الحريري: (ما اشتبه لفظه واختلف كتابه لاختلاف معناه). كما تذكر المصادر عن القفطي أنه ألف (كتابًا في الضاد والظاء، وهو ما اشتبه في اللفظ، واختلف في المعنى والخط).

ولم يحاول منهم إلا أبو بكر الصدفي أن يفرق بوضوح بين نطق الضاد والظاء حين قال: (لتستدل به على بعض ما التبس على بعض المسلمين بالفرق بينهما من إبانة الظاء بإظهار طرف اللسان في النطق بها، ورفعك رأسها عند كتابتها، وضم الأسنان على الضاد، وميلك باللسان إلى الأضراس من ناحية الشمال، فيفرق بينهما في خطهما)"[1].

والذي نريد الانتهاء إليه هو أنه ما كان لهذين الصوتين أن يختلطا لو أن لكل منهما مخرجه المباين لمخرج الآخر وهذه قرينة قوية أن الضاد في حقيقتها ظاء مع صفة إضافية هي الجانبية فإذا فقدت هذه الصفة عادت إلى أصلها فاختلطت بذلك الأصل.

(١) انظر: مقدمة رمضان عبدالتواب **لكتاب زينة الفضلاء**، ١٩.

دعوى المعاقبة بين الضاد والظاء:

يميل رمضان عبد التواب إلى أن "هذا الخلط بين صوتي الضاد والظاء كان قد شاع في القرن الثالث الهجري، وكان هو السر فيما ذهب إليه أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي اللغوي المشهور (توفي سنة ٢٣١هـ) من أنه يجوز عند العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء"؛ فقد روى ابن خلكان[١] أن ابن الأعرابي كان يقول: (جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء، فلا يخطئ من يجعل هذه في موضع هذه. وينشد:

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خلال كلها لي غائض

بالضاد (بدل غائظ)، ويقول: هكذا سمعته من فصحاء العرب).

ويزعم ابن جني أن ذلك ليس من باب المعاقبة، وإنما هي مادة أخرى فيقول: وأما قول الشاعر:

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خلال كلها لي غائض

فقالوا: أراد (غائظ) فأبدل الظاء ضادًا.

ويجوز عندي أن يكون غائض غير بدل، ولكنه من غاضه: أي أنقصه، فيكون معناه: أي ينقصني ويتهضمني)[٢]"[٣].

وهذا الذي ينسب إلى ابن الأعرابي إن صح هو قول معياري يقعد لنطق الحرفين فهو، وإن لم يسوِّ بينهما من حيثُ اللفظُ، يجيز أن ينطق اللفظ

(١) **وفيات الأعيان** ٣: ٤٣٣ وانظر: كذلك: **طبقات الزبيدي** ٢١٥.

(٢) ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ١: ٢١٥.

(٣) انظر: مقدمة **زينة الفضلاء** للأنباري، ص١٨.

الواحد بأي منهما، وهو بهذا يلغي أثر اختلاف الصوتين في معنى الألفاظ وهو ما تمسك به ابن جني في محاولة تخريجه البيت، ومذهب ابن الأعرابي في الحقيقة يعزز القول بالعلاقة بين الحرفين وأن الضاد في حقيقتها هي الظاء.
ونجد الصقلي يذكر بعض ما جاء بالضاد والظاء على معنى واحد، قال: "يقال: فاض الرجل وفاظ: إذا مات، يجوز بالضاد والظاء. وحضلت النخلة: إذا فسدت أصولها، يكتب بالضاد والظاء"[1].

وبتأمل نظائر الظاء والضاد نجد تقاربًا في دلالات بعضها يجعلنا نحس أنها ترتد إلى أصل واحد وأن أمر اختلافها لا يتعدى الكتابة والخط فكأن الظاء والضاد حرفان لصوت واحد على نحو ما يقع في الإنجليزية من استعمال الحرفين (Q) و(k) لصوت واحد وفي بعض الألفاظ يستعمل له الحرف(**c**)[2]. من هذه النظائر (التقريض والتقريظ) فالتقريض: يطلق على المدح والذم، والتقريظ: المدح[3]. ومنها (الضَّلْع والظَّلْع) فالضلع: الجور والميل والظلع في المشي: الخمع الخفيف[4]. فالمعنى يكاد يكون واحدًا. ومنها (العضّ والعظّ) فالعض: الشدّ بالأسنان والعظ: اشتداد الزمان والحرب[5].

---

(١) أبوالحسن علي بن أبي الفرج القيسي الصقلي، **معرفة الضاد والظاء**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٣م، ص٤٦.

(٢) انظر أمثلة أخرى: **تغريد السيد عنبر**، دراسات صوتية، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١، ١٩٨٠م) ١: ٥٩.

(٣) جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني، **الاعتماد في نظائر الظاء والضاد**، دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٣م، ص ٢٣.

(٤) ابن مالك، **الاعتماد**، ص ٣٥.

(٥) ابن مالك، **الاعتماد**، ص ٣٧.

ومنها (العضل والعظل) فالعضل: التضييق وتعظّل القوم على فلان: اجتمعوا عليه[1]. ومنها (العضم والعظم) فالعضم: مقبض القوس وعسيب الفرس وخشبة يذرى بها الطعام والعظم واحد العظام والعظم خشب الرحل[2]. فكأن الفرق بينهما فرق بين الحقيقي والمجازي. ومنها (اللضلضة واللظلظة) فاللضلضة: التلفت في المسير واللظلظة تحريك الحية رأسها غيظًا[3]. ولا نتصور أن اللفظ الواحد رسم بالرسمين إلا لغياب الفرق بين الصوتين، أما تفرد أحد الحرفين بألفاظ تختلف عن ألفاظ الحرف الآخر فليس بدليل على التفريق بين الصوتين إذ قد يكون أمرًا عشوائيًّا وبخاصة في وقت كانت الكتابة فيه غير دقيقة كل الدقة، ورسم المصحف خير شاهد على اختلاف بعض الكلمات في رسمها. قال ابن خَلدون: "وأما مضر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضر من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر، فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع. وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخط عند أهلها"[4].

---

(١) ابن مالك، **الاعتماد**، ص ٣٨.

(٢) ابن مالك، **الاعتماد**، ص ٣٩.

(٣) ابن مالك، **الاعتماد**، ص ص٤٥.

(٤) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، بيروت: دار إحياء التراث العــربي، ص٤١٩.

دعوى تحولات الضاد:

نقل لنا غانم الحمد تلخيصًا لكتاب (بغية المرتاد لتصحيح الضاد) للمقدسي (١٠٠٤هـ) وفيه يبين أن دافعه إلى وضع كتابه خروج كثير من أفاضل الناس في محروسة القاهرة عن مقتضى العقل والنقل في نطق الضاد، فهم ينطقونها ممزوجة بالدال المفخمة والطاء المهملة[١]، وينكرون على من ينطقها قريبة من الظاء المعجمة بحيث يتوهم بعضهم أنها هي[٢]. وذكر المقدسي اثني عشر دليلاً على أن اللفظ بالضاد كالظاء المعجمة هو المقبول، نوردها موجزة:

١- تعرضُ العلماء للفرق بين الضاد والظاء نظمًا ونثرًا دليل على تشابههما والتباسهما حتى خفي الفرق بينهما.

٢- أن الضاد ليست في لغة التُرك، وليس المفقود فيها إلا الضاد الشبيهة بالظاء، وأما المشبه الدال المفخمة الذي ينطق به أكثر المصريين، وهو الضاد الطائية[٣] فهو في التركية.

٣- أن الفقهاء تعرضوا لأحكام من يبدل الضاد ظاء... ولم يتعرضوا لأحكام من يبدلها بحرف غير الظاء كتعرضهم لأحكام من يبدلها به، فلولا التشابه بينهما لما كانوا يفعلون ذلك.

٤- أن بعض العلماء وصفها بالتفشي، ولا تفشيَ في الضاد الطائية.

---

(١) المقصود بهذه الطاء النظير المطبق للدال لا النظير المطبق للتاء.

(٢) غانم الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٧١.

(٣) نسبة إلى حرف (الطاء) والمقصود به النظير المطبق للدال حسب وصف القدماء بخلاف الطاء الحديثة التي هي نظير التاء، وهذه الطاء القديمة (طْ) ما زالت تسمع في اليمن في مثل (طريق đariiq).

٥- ذكروا من صفات الضاد النفخ، ويشاركها فيه الظاء والذال والزاي. ولا يتحقق ذلك إلا بالضاد الشبيهة بالظاء. أما الضاد الطائية فلا توجد فيها هذه الصفة كما تبين من وصف مخرج الضاد.

٦- ذكروا من صفاتها الاستطالة... وهي المميزة لها عن الظاء، ولا يوجد في الضاد الطائية الاستطالة.

٧- ذكروا من صفات الضاد الرخاوة، والضاد الطائية شديدة؛ فالضاد لا رخاوة فيها إلا إذا أتت شبيهة بالظاء، أما الضاد الطائية فمشوبة بالدال والطاء المهملة وهما شديدتان.

٨- أن الضاد صعبة على اللسان وأما الضاد الطائية فهي في غاية السهولة ولذا فالضاد الطائية بعيدة عن الضاد العربية بمراحل.

٩- أن المخرج المنصوص عليه للضاد في الكتب المعروفة المتداولة ليس إلا للضاد الشبيهة بالظاء المعجمة لا للطائية...وأنت إذا نطقت بالضاد الطائية ... لا تجد الصوت ينتهي إلا إلى طرف اللسان وأعلى الحنك، وهو مخرج الدال والطاء والتاء. ولم نر أن أحدًا ذكر أن مخرج الضاد من هذا المحل، بل ما ذكرناه لها من المخرج مذكور في كتب لا تحصى في علم القراءات وعلم النحو... فإن قيل: نحن نروي هذه الضاد الطائية بالمشافهة عن الشيوخ الراوين عن شيوخهم بالإسناد المتصل بأئمة القراء البالغ إلى النبي ρ قلنا: لا عبرة بالرواية المخالفة للدراية، إذ شرط قبول القراءة أن توافق العربية[1]، وقد بينا مخالفتها لما تواتر في كتب العربية والقراءات.

---

(١) عبارته هنا فيها تسمح إذ الرواية التي يشير إليها ليس بقراءة بل أداء ولعل الأجود أن يقول فإن يكن من شروط قبول القراءة موافقتها للعربية فإن الرواية والأداء مشترط فيه تلك=

١٠- وصفها الخليل بأنها شجرية ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت شبيهة بالظاء، فإن الضاد الطائية تخرج من طرف اللسان لا من شجر الفم.

١١- قولهم عن اتصاف الضاد بالإطباق وأنه لولاه لخرجت من الكلام إذ لا يخرج من موضعها غيرها؛ إنما يخص الضاد الشبيهة بالظاء، وأما الطائية فتخرج من مخارج الحروف النطعية... فلو كانت الضاد الطائية عربية لوصفت بالنطعية كما وصفت أخواتها، ولقالوا لولا الإطباق لصارت الضاد دالاً، بدل قولهم لخرجت من الكلام.

١٢- أن أهل مكة وما والاها من بلاد الحجاز؛ إنما ينطقون بالضاد الشبيهة بالظاء المعجمة ولا يسمع من أحد منهم هذه الضاد الطائية، وهم نعم المقتدى لمن رام في هذا السبيل الاهتداء.

والمقدسي يكاد يسوي بين الضاد والظاء وقد أحس ذلك إحساسًا قويًّا؛ ولذلك نراه يحترز وينبه بقوله: "ليس مرادي بكون الضاد شبيهة بالظاء وقريبة منها كونها ممزوجة بها غاية الامتزاج، بحيث يخفى الفرق بينهما على المجيد لفن القراءة"[١].

ويعمد المقدسي إلى ترتيب درجات الإجادة الأدائية للضاد قال: "إن من ينطق بالضاد من مخرجها الخاص مع صفاتها المميِّزة لها حتى عن الظاء، فهو في

= الموافقة؛ لأن القراءة قد تكون موافقة للعربية ولكن المؤدي أخل بالأداء و لم يخرج الحروف من مخارجها، وهذا مشهود في أداء القراء في عصرنا هذا حيث يتأثر أداؤهم بعاداتهم اللهجية، فقد تسمع الجيم مشوبة بالدال في أداء الشيخ الطبلاوي وتجدها مشوبة بالزاي في أداء قراء جنوب المملكة العربية السعودية كالثبيتي وتجد واو المد ممالة نحو الألف في أداء الشيخ السديس.

(١) انظر: غانم الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٧٥.

أعلى مراتب النطق بها ومن الفصاحة. ودونه من ينطق بها من مخرجها مشوبة بالظاء لكن من مخرجها وبينهما فرق. ودونه من ينطق بها ظاء خالصة، ومن يشمها الذال، ومن يشمها الزاي، ومن يجعلها لامًا مفخمة، وكذا من ينطق بالضاد طائية، فهو من أسفل مراتب النطقية بالنسبة إلى من سبق ذكره"(١).

علق غانم الحمد على ما أورده من أقوال المقدسي بقوله: "والواقع أن كلام المحدثين عن العلاقة الصوتية بين الضاد والظاء لم يتجاوز ما قرره المقدسي في كتابه (بغية المرتاد) إلا ما يدخل في باب زيادة التوضيح والتفسير للقضايا الأساسية في الموضوع"(٢).

وينقل المرعشي ما أورده مكي في (الرعاية) من أن القارئ إذا فرط في تجويد لفظ الضاد أتى بلفظ الظاء أو الذال ومتى فرط في تجويد لفظ الظاء أخرجها إلى الضاد أو الذال ونقل تأكيد مكي على وجوب التحفظ بترقيق الذال إذا أتت بعدها قاف نحو (ذاق)(٣)، وإلا صارت ضادًا أو ظاءً. ويستنتج المرعشي أن الحروف الثلاثة وهي الضاد والظاء والذال متشابهات في السمع وإنما يتمايزن فيه بمخارجهن وبعض صفاتهن(٤).

وبين المرعشي أن الضاد تشارك الظاء في الجهر والإطباق والاستعلاء

---

(١) انظر: غانم الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٧٥.

(٢) غانم الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ص٢٧٦.

(٣) نسمع هذا الفعل ينطق عند بعض بادية نجد بالظاء (ظاق)، وكذلك سمعته في الكويت من بعض كبار السن.

(٤) محمد بن أبي بكر المرعشي (ساجقلي زاده)، **كيفية أداء الضاد**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٣م، ص٢٠-٢١.

وفي الرخاوة، وأن في الضاد استطالة تقتضي امتداد الصوت وفيها تفشٍّ قليل يقتضي انتشار الريح قليلاً وبالاستطالة والتفشي تمتاز عن الأحرف الثلاثة (ظ، ذ، ط)، ثم يقول وبالجملة إن الضاد المعجمة أشبه بالظاء المعجمة(١).

ويفسر المرعشي أمر التقصير بأداء الضاد وإخراجها طائية بما أشار إليه مكي في (الرعاية) من أن أكثر القراء والأئمة يُقصِّر في أدائها لصعوبته على من لم يدرَب فيه. ثم قال: وذلك في تاريخ أربع مئة وعشرين وزمننا هذا أحق بالتقصير، فاعتبروا فلعلّ غلط المصريين قد شاع(٢). وقد أثار رأي المقدسي وقول المرعشي الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت فألف كتابًا تحت شعار (دفاعًا عن القرآن) سماه (إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء: دراسة تجويدية، لغوية، تاريخية، أصولية) وجعله في أربعة فصول الأول بيان بأسماء من قالوا بتشابه الضاد والظاء، والثاني بيان أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والثالث نبذة مختصرة عن حرف الضاد ومخرجه وصفاته، والرابع بيان أن الضاد العربية الفصيحة لا تشبه الظاء المشالة بحال من الأحوال، ويقرر الباحث أن القراء المصريين لا ينطقون الضاد دالاً مطبقة "فليس منهم من ينطق الضاد من طرف لسانه مع الثنيتين العلويتين بل يخرجها من مخرجها الصحيح وهو حافة اللسان مع ما يليها من الأضراس مع إعطائها صفاتها الخاصة بها بقدرها المضبوط بلا إفراط ولا تفريط"(٣). وهذا القول تعانده تسجيلات كبار القراء في مصر وتعانده أقوال اللغويين المصريين

(١) المرعشي، **كيفية أداء الضاد**، ص ٢٤.

(٢) المرعشي، **كيفية أداء الضاد**، ص ٢٥.

(٣) أشرف طلعت، **إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء**، ص١٠٨.

أنفسهم، وقد ذكرنا طائفة منها في ثنايا البحث. ولكنا لا نراه من خطأ المصريين؛ بل هو تغير محتمل يعرض لأي صوت لغوي كالظاء والطاء والذال والقاف، ولعله بدأ منذ وقت مبكر أعني أن الظاء تحولت في الاستعمال في بعض البيئات إلى ظاء جانبية (ظ^ل) وإلى ظاء لثوية أسنانية (ظ^د)، ويمكن أن نستأنس في هذا المقام بوصف ابن سينا(٤٢٨هـ) للضاد يقول: "وأما الضاد فإنها تحدث عن حبس تام عندما تتقدم موضع الجيم وتقع في الجزء الأملس إذا أطلق أقيم في مسلك الهواء رطوبة وحدّة، أو رطوبات تتفقع من الهواء الفاعل للصوت ويمتد عليها منحبسًا حبسًا ثانيًا، ويتفقأ فيحدث شكل الضاد"(١). وهذا الوصف لا أجده عند غيره، ولعل السبب في ذلك أن من يصف الضاد يردد قول السابقين "وقد لا تكون نصوص التراث مفيدة جدًّا في تحديد نطق هذا الحرف وتطوره؛ لأنها تنقل عن بعضها، ولأنّ أصحابها نادرًا ما وصفوا نطق معاصريهم، فهم يلجؤون إلى نقل أقوال السابقين اعتقادًا منهم أنّه وصف لنطق العرب (الفصحاء الذين صحّت عربيتهم)؛ يضاف إلى ذلك أنّهم قد لا يحدّدون المصطلحات التي يستعملونها تحديدًا شاملاً مانعًا وموحّدًا"(٢).

والأمر الذي يمكن لنا الاطمئنان إليه أنه لا يمكن أن يبلغ الشبه بين الضاد والظاء هذا المبلغ لو لم يكونا من مخرج واحد، وأما انفراد الضاد بالاستطالة لتتميز عنها بالسمع كما ورد عند المرعشي فليس كافيًا لتكون

---

(١) الرئيس أبوعلي الحسين بن سينا، **أسباب حدوث الحروف**، راجعه: طه سعد، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت) ص١٨.

(٢) عبدالفتاح إبراهيم، **مدخل في الصوتيات**، تونس: دار الجنوب للنشر، ص٩٢-٩٣.

الضاد وحدة صوتية (phoneme) مستقلة عن الظاء، بل هي صورة صوتية (allophone) لها. وليس بغريب أن يكون للظاء صور صوتية (allophones) فالمشهود أن الأصوات الثلاثة (ظ، ذ، ث) كلها استعملت في بعض لهجات العرب المعاصرة بأن تأخرت نحو تجويف الفم فنشأت لها ألفونات مختلفة فالذال نطقت دالاً أو زايًا، والثاء نطقت تاء أو سينًا[1]، والظاء نطقت زايًا مفخمة أو دالاً مطبقة، وأما الضاد العربية التي لا يعرف نطقها على الحقيقة سوى ما تردد من أقوال غامضة عن مخرجها وصفاتها، وقد تبين من ملاحظات كتاب التجويد أن أمر تميزها عن الظاء عسير، ولئن سلمنا أن للضاد ما يميزها من استطالة وتفش فإنها في نهاية الأمر ظاء مستطيلة متفشية وأنها ربما فقدت في مرحلة من المراحل صفتي التفشي والاستطالة لتطابق الظاء ثم جعلت دالاً مفخمة كما تجعل الظاء دالاً مفخمة. وما نريد التأكيد عليه أن التحولات ليست للضاد بل للظاء لأن الضاد هي في الواقع ظاء. ولعل هذا ما يفهم من أقوال بعض الدارسين المحدثين في (الضاد)، فهذا كانتينو يقول: "النطق القديم كان (ظْ لْ) أي: ظاء ذات زائدة انحرافية، أي: بتقريب طرف اللسان من الثنايا، كما في النطق بالظاء، وبأن يجري النفس لا من طرف اللسان، بل ومن جانبيه أيضًا"[2]. وقال هنري فليش: "ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد، وهو عبارة عن صوت

(١) ولذلك نجد هذا يؤثر في الإملاء فقد تكتب الثاء تاء. ومن طريف ما يروى أن معلمة تصحح لطلابها كتابة كلمة (ثعلب) فقالت لهم: ما تكتبوهاش بنؤطتين [بنقطتين] اكتبوها بتلات أهوه: (سعلب).

(٢) كانتنو، **دروس في علم أصوات العربية**، ص ٨٦.

مفخم، يحتمل أنه كان ظاء (d̠)جانبية، أي أنه كان يجمع الظاء واللام في ظاهرة واحدة"[١].

دعوى رسم الضاد:

قد نجد لأصوات العربية عددًا من الصور الصوتية أشار إليها اللغويون القدماء منذ سيبويه على أنها طرائق لهجية للأصوات. ولو كانت تلك الصور قد قوبلت بأحرف كتابية في الألفبائية لأشكل الأمر على الناس ولخلطوا في كتابتهم كما خلطوا بين الضاد والظاء، وما يدفع الخلط بين تلك الصور فترسم برسم الوحدة الصوتية أنهم يدركون أن الاستعمال الوظيفي لتلك الصور واحد[٢].

ولكن الاضطراب يحدث حين يغيب هذا الإدراك بانتقال الإنسان من بيئة لغوية إلى أخرى ذات استعمالات مختلفة[٣].

---

(١) هنري فلش،العربية الفصحى، ترجمة عبدالصبور شاهين، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م، ص ٣٧.

(٢) انظر: أبوأوس إبراهيم الشمسان، **جوانب من الاستخدام الوظيفي للغة**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ١٩٩٠م، ع٣٧، مجلد١٠، ص٣٧.

(٣) ولعل في المثال الذي أذكره ما يوضح هذا وهو مثال نقلته من الشبكة العنكبية: "أذكر لك هذه الحادثة لطفلة نشأت في دولة عربية تفرّق بين نطق (ذ) و(ز) وانتقلت للدراسة في الابتدائي لمصر، ففي أول اختبار للإملاء، نطقت المدرّسة الامتحان باللهجة المصرية، فكتبت البنت ما سمعته من المدرسة، فجاءت النتيجة مأساة وعوقبت الطفلة "لغبائها" لأنها كتبت كل (ذ) بالحرف (ز) وكل (ق) بالحرف (أ) ومن سوء حظ الطفلة كذلك أن كان من ضمن كلمات الامتحان كلمة (ضابط) فكتبتها (زابط)، وكتبت (الزلال) أي (الظلال)، فكان يومًا أسود للطفلة". وقد كشفت غش أحد طلاب الرسالة القصيرة حين وجدت بعض الأخطاء الإملائية في العمل الذي زعم أنه كتبه وكانت الأخطاء في كتابة الذال زايًا.

لم يكتف الزمخشري في الكشاف حين توقف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] بذكر القراءتين بالضاد والظاء وتخريجهما بأن القراءة بالضاد بمعنى البخل، وبالظاء بمعنى الشك؛ بل ذكر أن الكلمة كتبت في مصحف أبي بن كعب بالضاد وكتبت في مصحف عبدالله بن مسعود بالظاء. وقال: "ولو استوى الحرفان لما ثبت في الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة، ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب"[(١)].

وقال إبراهيم أنيس إنه: "يمكن تفسيرها على أساس أن قلة من العرب كانوا ينطقون الضاد ظاء. ونشعر من كلام ابن جرير الطبري في تفسيره أنه يميل إلى هذا. فهو يقول بعد ذكر هذه القراءة ما نصه: (وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة وإن اختلفت قراءاتهم به وذلك بضنين بالضاد؛ لأن ذلك كله كذلك في خطوطها، فإن كان ذلك كذلك فأولى التأويلين بالصواب في ذلك؛ تأويل من تأوله: وما محمد على علمه من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس). فالمصاحف كلها تتفق في رسم الكلمة بالضاد وفي رأي الطبري ترجيح معنى واحد للآية حتى مع القراءتين"[(٢)]. ولذلك يخالف أنيس الزمخشري فيقول: "ففي رأي الزمخشري أن للآية معنى على القراءة بالضاد يختلف عن معناها على القراءة بالظاء. ولكني أطمئن إلى رأي الطبري وأميل إلى ترجيحه، وأرى القراءة بالظاء إنما كانت على أساس لهجة بعض العرب القدماء ممن كانوا ينطقون بالضاد ظاء"[(٣)].

---

(١) الزمخشري، **الكشاف**، ٤: ٢٢٥.

(٢) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٥٥-٥٦.

(٣) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**. ص٥٦.

وما يذهب إليه أنيس ليس ببعيد وكان قد مرّ معنا ما نقل عن ابن الأعرابي من تبادل الصوتين في لغة العرب وجواز ذلك. فالأمر لا يعدو كون الضاد صورة صوتية من الظاء.

ولكن السؤال الذي يبرز للأذهان هو لِمَ جُعل لهذه الصورة الصوتية رمز كتابي؟ أوليس تخصيصها برمز كتابي دليلاً على أنها وحدة صوتية مستقلة؟

يبدو أن التشابه بين الصوتين وازاه تشابه بالرسم مما يظن معه أن رسمهما واحد كما كان صوتهما واحدًا أو كالصوت الواحد، قال عبداللطيف الخطيب: "ويبدو أن التباس الحرفين في النطق اقترن بتشابههما في الخط، وقد أبان الجعبري عن هذا المشكل بقوله: (وجه بضنين أنه رسم برأس معوجة وهو غير طرف، فاحتمل القراءتين)"[1]. ونقل في التعليق(٧٦) عن حاشية الشهاب الخفاجي قوله: "ذكر أبوعبيدة أن الضاد والظاء في الخط القديم لا يختلفان إلا بزيادة رأس إحداهما على الأخرى زيادة يسيرة قد تشتبه، وذكر الشهاب أن الأمر على ما ذهب إليه أبوعبيدة، وأنه لا يعرف هذا إلا من قرأ الخط المسند"[2].

على أن الكتابة التي أخذت منها الكتابة العربية ليس فيها رمز للضاد، ولم يجعل لها رمز إلا في الألفبائية العربية إذ زيدت ستة أحرف (ت، خ، ذ، ض، ظ، غ) وقد سميت بأسماء تضارع الأحرف التي انشقت عنها بالإعجام أو بتطويره[3].

---

(١) عبداللطيف الخطيب، **ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية**، ص٢١.

(٢) عبداللطيف الخطيب، **ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية**، ص٧٤.

(٣) رمزي البعلبكي، **الكتابة العربية والسامية**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م، ص٢٦٩.

ويرى (جاشوا بلاو) "أن الأصوات الصامتة، في العربية النبطية والعربية النموذجية، التي لا يتضمنها رصيد الأصوات الصامتة في الآرمية النبطية ترسم بحروف تتوافق مع الحروف التي تكتب بها الكلمات الآرامية النبطية القريبة منها من حيث الأصل، لهذا فقد كتبوا كلمة (ظبي) بـ(طاء) في بدايتها، نتيجة لتأثير الكلمة الآرامية (طَبْهيَا)، ذلك على الرغم من أن الظاء والطاء ربما كانتا مختلفتين اختلافًا كبيرًا"[(١)]. وعلق في الحاشية (٥٥) فذكر أن هذا الافتراض لا يحل استعمال حرف يشبه (ص) في العربية النموذجية لكتابة (ض)[(٢)].

وأعتقد أن المدون الأول للعربية جعل للظاء رمزًا وجعل لصورتها الصوتية التي أحسها تختلف بعض الاختلاف صورة أخرى توهمًا أن تلك الصورة مختلفة عن أصلها اختلافًا يستوجب الرسم المستقل. ولا حجة في أن الرسم المختلف يحتمل اختلافًا في الدلالة لأن الأصل في اللغة المشافهة لا الكتابة ثم إن المشترك اللفظي هذا شأنه فهو اتفاق في الرسم والصوت واختلاف في الدلالة.

وننتهي إلى أمر تطمئن إليه النفس، وهو أن الضاد ليست سوى الظاء، ولكنها رسمت برسم يختلف عن الظاء أي هما صوت رسم برسمين (ض/ظ). وليس هذا بغريب فاللغات قد تتعدد فيها الأحرف للصوت

(١) **نشأة الازدواجية اللغوية في العربية:** دراسة في أصول اللهجات العربية الحديثة، دراسات في تأريخ اللغة العربية، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، الرياض: دار الفيصل الثقافية، ٢٠٠١م. ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) **دراسات في تاريخ العربية**، ص ٢٤٣.

الواحد كما مثلنا سابقًا بصوت الكاف في اللغة الإنجليزية الذي يمثل بحرفين(k/Q) وقد تشاركهما (C) في بعض الألفاظ. ورسم للهمزة في الأبجدية الأوجاريتية ثلاثة أحرف مختلفة لتعبر عن اختلاف حركاتها[١].

بقي أن نبين كيف جاءت الضاد بأشكالها المختلفة المسموعة اليوم. يعيد نعيم علوية جملة من الأصوات إلى أصل طبيعي فالصاد والظاء والضاد والزاي والدال والشين والطاء كلها من (أصوات المص العفوي)، يقول: "وتوق الصاد إلى الزاي ينزلق بذلق اللسان نحو الظاء، مما يخاوي بين /مَصَّ/ و/مَظّ/ التي تؤول إلى /مَضَّ/"[٢].

وأرى أن الصوت في أصله هو الظاء، وهذا هو الصوت الذي شاع في البيئات البدوية في الجزيرة العربية وامتداداتها في العراق وبوادي الشام والأردن وحملته بعض القبائل إلى بلاد المغرب واستمر إلى يومنا هذا، ولكن بعض البيئات الحضرية في الحجاز والسواحل التهامية واليمنية تحول صوت الظاء ليكون جانبيًّا بأن يقترب اللسان من الشدق أثناء إخراج الصوت (ظل) وهذا ما سمي بالضاد ورمز له بالحرف (ض). وجعلت الظاء وقفية بأن تأخر مخرجها فلم ينحشر طرف اللسان بين الأسنان بل انطبق على أصول الثنايا ليخرج الصوت انفجاريًّا بعد ذلك (ظد) وهو النظير المطبق للدال. ومن الصور النطقية لهذا الصوت نطقها لثوية مجهورة مطبقة أي نظيرًا مطبقًا للزاي

---

(١) سليمان الذييب، **الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية**، بيروت: الدار العربية للموسوعات ،٢٠٠٧م)، ص١١٥.

(٢) نعيم علوية، **بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر**، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص١١٠.

(ظِ). ومن أشكال النطق جعلها لامًا مفخمة ونسب هذا إلى الزيالع[1]. وقد يكون هذا بالمبالغة في صفة الجانبية لا أن تجعل لامًا خالصة.

وقد يجادل أنه في اللغة العربية الموحدة تفريق بين كلمات تنتمي إلى الضاد وأخرى تنتمي إلى الظاء، وهذا صحيح ولكن اللغة الموحدة هي نتيجة انصهار جملة من الخصائص اللهجية العربية فليس غريبًا أن يحدث هذا، ولولا الكتابة التي رصدت صورتين لنطق الظاء ما كان هناك شكوى من تداخل الصورتين لأن التداخل بين الصور الصوتية حادث في أصوات أخرى؛ ولكنه لا يُشْكل على مستوى الاستعمال الفصيح لأنه غير ممثل بحروف مختلفة.

وفي نهاية هذا البحث أقول ليس أمام مستعمل اللغة سواء نطق بالضاد دالاً مفخمة أم نطقها ظاءً؛ إلا أن يحفظ ما يرسم بالضاد وما يرسم بالظاء لكي لا يخلط في كتابته بينهما.

---

(١) الواحد زيلعي نسبة إلى جبل زيلع في عسير جنوب المملكة العربية السعودية.

المصادر والمراجع

إبراهيم ؛ عبدالفتاح :

مدخل في الصوتيات ، تونس : دار الجنوب للنشر.

ابن الأثير؛ أبوالفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد الشيباني(٦٣٨هـ) :

المثل السائر *http://www.alwaraq.net/index*

الأمير ؛ محمد :

حاشيته على مغني اللبيب ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، د.ت).

أنيس ؛ إبراهيم :

الأصوات اللغوية ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة ، ١٩٧٥م.

برجشتراسر ؛ ج :

التطور النحوي للغة العربية ، المركز العربي للبحث والنشر/ القاهرة ، ١٩٨١م.

البعلبكي ؛ رمزي :

الكتابة العربية والسامية ، ط١ ، دار العلم للملايين ، ١٩٨١م.

البيطار ؛ عبد الرزاق :

حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر ، انظر : http://www.alwaraq.net/index

الجاحظ ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ) :

الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٨م.)

ابن جني ؛ أبوالفتح عثمان :
سر صناعة الإعراب ، تحقيق : حسن هنداوي ، دمشق : دار القلم ، ١٩٨٥م.)
ابن الجوزي ؛ أبوالفرج عبدالرحمن بن علي(٥٩٧هـ) :
أخبار الحمقى والمغفلين ، بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩م).
الحمد ؛ غانم قدوري :
الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، بغداد : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ١٩٨٦م.
الخطيب ؛ عبداللطيف محمد :
ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية ، القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠١م) .
ابن خلكان ؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي(٦٨١هـ) :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة : ١٩٤٨م .
ابن خلدون ؛ عبدالرحمن بن محمد :
مقدمة ابن خلدون ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت.
الذييب ؛ سليمان :
الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية ، بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٧م).

الزُبيدي ؛ أبو بكر محمد بن الحسن(٣٧٩هـ)
طبقـات النحـويين واللغـويين ، تحقيـق : محمـد أبـو الفـضل إبـراهيم ، القاهرة ، ١٩٤٥م.
الزمخشري ؛ جارالله أبو القاسم محمود بن عمر(٥٣٨هـ) :
الكـشاف عـن حقـائق التنزيـل وعيـون الأقاويـل في وجـوه التأويـل ، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، د.ت.
الزيدي ؛ كاصد :
دراسات نقدية في اللغة والنحو ، دار أسامة للنشر والتوزيـع ، عمـان : ٢٠٠٣م.
السحيمي ؛سليمان بن سالم بن رجاء :
إبـدال الحـروف في اللـهجات العربيـة ، المدينـة المنـورة : دار الغربـاء الأثرية ، ١٩٩٥م.
سيبويه ؛أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر(١٨٠هـ) :
الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هـارون ، القـاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م.
ابن سينا ؛ الرئيس أبوعلي الحسين(٤٢٨هـ) :
أسباب حدوث الحروف ، راجعـه : طه عبـدالرؤوف سـعد ، القـاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، د.ت.
الشامي ؛ شمس الدين محمد بن يوسف الصالحي(٩٤٢هـ) :
سبل الهدى والرشـاد في سـيرة خـير العبـاد ، (القـاهرة :المجلـس الأعلـى لهيئة الشؤون الإسلامية ، ١٩٩٧م)ج ٢.

الشمسان ؛ أبو أوس إبراهيم :

- تبـاين كتابـة الأسمـاء العربيـة في الحـروف والتـشكيل : صـوره وأسـبابه ، (كتـاب توحيـد معـايير النقـل الكتـابي لأسمـاء الأعـلام العربيـة : الأبعـاد الأمنيـة ، أكاديميـة الأمـير نـايف العربيـة للعلـوم الأمنية/ الرياض ، ٢٠٠٣م).
- جوانـب مـن الاسـتخام الـوظيفي للغـة ، المجلـة العربيـة للعلـوم الإنسانية ، الكويت ، ١٩٩٠م ، ع٣٧ ، مجلد١٠.
- كتاب الناس في المملكة العربية السعودية ، انظر : الرابط العنكبي : http://www.aboaws.com/KITABANNAS.ht

الصقلي ؛ أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي :

معرفـة الـضاد والظـاء ، تحقيق : حـاتم صـالح الـضامن ، القـاهرة : دار البشائر ، دمشق ، ٢٠٠٣م.

طلعت ؛ أشرف محمد فؤاد :

إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء : دراسة تجويدية ، لغوية ، تاريخية ، أصولية ، القاهرة ، مكتبة السنة ، ١٩٨٨م.

ظاظا ؛ حسن :

كلام العرب : من قضايا اللغة العربية ، الاسكندرية : (مطبعة المصري ، ١٩٧١م.

العاني ؛ سلمان حسن :

التشكيل الـصوتي في اللغـة العربيـة : فنولوجيـا العربيـة ، ترجمـة ياسـر الملاح ، جدة : النادي الأدبي ، ١٩٨٣م.

عبدالتواب ؛ رمضان :
- زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي البركات بن الأنباري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧١م.
- مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد: مطبعة المجمع، ١٩٧١م، مج٢١.

عبد العال ؛ عبدالمنعم سيد :
لهجة شمال المغرب"تطوان وما حولها"، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٨م).

علوية ؛ نعيم :
بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

عنبر ؛ تغريد السيد :
دراسات صوتية، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٠م.

الغامدي ؛ محمد سعيد صالح ربيع :
العربية لغة النون، مجلة الدراسات اللغوية، ٢٠٠٥م، مج٧، ع٢.

فلش ؛ هنري :
العربية الفصحى، ترجمة عبدالصبور شاهين، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م.

القالي ؛ أبو علي :
ذيل الأمالي والنوادر، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.

القيسي؛ مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ):
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دمشق، ١٩٧٣م).
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤م).
كانتنو، جان:
دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، تونس: الجامعة التونسية، ١٩٦٦م).
ابن مالك؛ جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني (ت٦٧٢هـ):
الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٣م.
المبرد؛ أبو العباس محمد بن يزيد(٢٨٥هـ):
المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ القاهرة، ١٩٦٣م.)
المرعشي؛ محمد بن أبي بكر (ساجقلي زاده):
كيفية أداء الضاد، تحقيق: حاتم صالح الضامن(ط١، دار البشائر/ دمشق، ٢٠٠٣م).
المسهلي؛ محمد بن مسلم بن طفل:
مفردات من اللهجة الشحرية (ط١، ١٩٩٧م).
المزيني؛ حمزة بن قبلان:
دراسات في تأريخ اللغة العربية، الرياض: دار الفيصل الثقافية، ٢٠٠١م.

مطر ؛ عبدالعزيز :

- دراسة صوتية في لهجة البحرين ، القاهرة : مطبعة جامعة عين شمس/ القاهرة ، ١٩٨٠م.
- لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط.

ناظم ؛ سلوى :

دراسات لغوية مقارنة.

وافي ؛ علي عبدالوحد :

علم اللغة ، القاهرة : دار نهضة مصر ، ط٦ ، ١٩٦٧م.

اليسوعي ؛ الأب رفائيل نخلة :

غرائب اللهجة اللبنانية السورية ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٢.

ابن يعيش ؛ موفق الدين يعيش بن علي(ت٦٤٣هـ) :

شرح المفصل ، القاهرة : دار الطباعة المنيرية ، د.ت).

الأصالة والاتصال في لهجات الجزيرة العربية

إنّ من الطبيعي في اللغة أن تتباعد لهجاتها المتحيزة في بيئات مختلفة لها من الانعزال ما يفضي إلى شيء من الاستعمال الخاص. والعربية بعمرها الطويل ذات لهجات متعددة تختلف عنها بعض الاختلاف ؛ ولكنها على درجات متباينة في قربها وبعدها من العربية الفصيحة المشتركة ، تلك اللغة التي كانت انتخابًا من خصائص اللهجات العربية القديمة ، وأما اللهجات العربية الحديثة المختلفات في قربهن وبعدهن من العربية فعوامل قربها أوبعدها متعددة ؛ منها أن البنية التحتية للبيئة اللغوية كانت في الأصل غير عربية وإنما جاءتها العربية مع الفتوح الإسلامية ، ومنها أنها تضم قوميات أخرى اصطحبت معها لغاتها عبر الزمن ، ومنها ما خضع لفترة استعمارية أثّرت في لغة الناشئة في زمن كان التعليم سلاحًا محظورًا.

وقد تكون هذه العوامل مجتمعة كلها أو بعضها ما أثرَ تأثيرَه ، وأما لهجات الجزيرة العربية فهي أقرب اللهجات العربية إلى العربية الفصيحة ؛ وإن كان قد نالها من التغير والابتعاد عن الفصيحة ما أمره ظاهر كل الظهور ، ولعل فترة الانحطاط التي عانت منها المنطقة لقرون عديدة أثناء سيطرة الدولة العثمانية وتوالي فترات من القحط والعوز وقلة الثروات عوامل أدَّتْ إلى ترك أمر اللغة للتغيرات المحلية التي ابتعدت بها عن أصلها. ولعل أبرز مظاهر ذلك البعد تركها لظاهرة التصرف الإعرابي والاستغناء عنه بالتزام ترتيب معين في الجملة ، ومنها التزام صيغة النصب في المثنى وجمع السلامة للذكور ، ومنها البدء بالساكن في بعض اللهجات. ولكن هذه

اللهجات - على الرغم من بعدها الذي وصفت شيئًا منه - لها من وشائج القربى ومن الصلة بجذورها ومن الاتصال الممثل لمظاهرها ما قد يثير الدهشة. فالمعجم المستعمل يمكن إرجاعه - سوى الدخيل - إلى المعجمات العربية فتراه فيها مثبتًا[1]. وأن لو رجعت بكثير من ألفاظ المعاجم لوجدتها في لهجات الجزيرة مستعملة هنا أو هناك، فإن لم تُسمع الفعل (وهب) في لهجات نجد وشرق الجزيرة فإنه يُسمع في لهجة الجنوب، والفعل(سار) لا يستعمل في نجد أو الجنوب أو الشمال ولكنه يُسمع في لغة الناس في عُمان، و(الرحيل) في نجد ولكن بمعنى خاص هو انتقال الزوجة إلى بيت زوجها، والفعل (يخرج) يُسمع في نجد في سياق خاص. والأمثلة كثيرة. وأما بقية المظاهر من أصوات وتصريف وتركيب فالاتفاق أكثر من الاختلاف. وليس لنا في هذه السطور أن نفصل القول في ذلك، وحسبنا أن نشير إلى بعض السمات اللهجية المتصلة إلى يومنا هذا في استعمال الناس، المتصفة بأصالتها؛ إذ هي موصوفة معروفة في اللغة القديمة. ولرصدها اليوم أهمية بالغة فهو يعطيها شهادة حياة واستمرار منذ القدم إلى اليوم. ومن أجل ذلك سنقتصر في حديثنا على: الإمالة في لهجة سدير، المركب الصوتي (ـَو) و(ـَي) في لهجة الوشم، حذف ياء المتكلم في لهجة القصيم، قلب الجيم ياء في لهجة حوطة تميم، قلب الثاء فاء في لهجة القطيف، أم التعريف في لهجة تهامة، قلب المركب الصوتي (ـَو) و(ـَي) ألفًا في لهجة البادية، لغة أكلوني البراغيث في لهجات الجزيرة. وإنما انتخبنا هذه الظواهر بأعيانها لأمرين؛ أحدهما: أنها

---

(١) ثمة كتب عالجت ما في اللهجات من ألفاظ فصيحة منها على سبيل المثال لا الحصر: عبدالرحمن السويداء. **فصيح العامي في شمال نجد** (الرياض، دار السويداء، ١٩٨٧م).

من بيئات لغوية مختلفة، والآخر: أنها قد تُعدّ عند غير ذوي الاختصاص من قبيل تغير اللهجة عن أصولها، ولأجل ذلك نجتهد في بيان أصالة الظاهرة واتصالها.

الإمالة في لهجة سدير:

عرّف الفارسيّ الإمالة فقال": وهو أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء فتقاربها. وذلك عِماد، وعابِد"[١]. وقد لاحظ اللغويون أن الإمالة مقترنة بوجود كسرة أو ياء. وأن إمالة الألف هي محاولة لجعلها تقترب نطقيًّا من الياء أو الكسرة. قال سيبويه: "فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور. وذلك قولك: عابِد، وعالِم، ومساجد، ومفاتيح، وعُذافِر، وهابيل. وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام[٢] الصاد من الزاي حين قالوا: صدر، فجعلوها بين الزاي والصاد، فقرّبها من الزاي والصاد التماس الخفة؛ لأن الصاد قريبة من الدال، فقرّبها من أشبه الحروف من موضعها بالدال. فكما يريد في الإدغام أن يرتفع لسانه من موضع واحد كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك"[٣]. والذي نفهمه من نص سيبويه، أن الألف يتأثر بالكسرة فيكون بينهما شيء من التماثل الحركي vowel harmony كما أنه يحدث بين الصوامت تماثل assimilation وذلك للخفة وهو ما يعبر عنه المحدثون بتوفير الجهد.

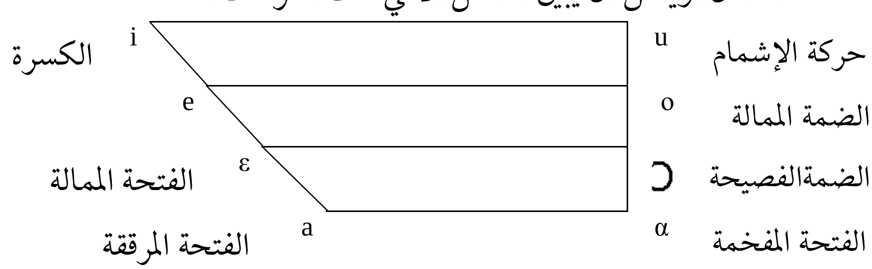
---

(١) الفارسي، **التكملة**، ٥٢٧.

(٢) يستعمل سيبويه مصطلح الإدغام بمعنى المماثلة الصوتية الناقصة كما في المثال المضروب هنا، ويستعمله بمعنى المماثلة التامة، كما جاء في آخر النص.

(٣) سيبويه، **الكتاب**، ٤: ١١٧.

ويمكن أن ندرك الوصف الصوتي للإمالة اعتمادًا على النظام المعياري للحركات، أي ما يسمى cardinal vowel system وهو الإمكانات النطقية للحركات التي يمكن أن ينطقها جهاز النطق الإنساني، ويحدد صفة الحركة وضع اللسان من الحنك الأعلى ارتفاعًا أو انخفاضًا، والجزء من اللسان الذي يرتفع أو ينخفض؛ فقد يكون الأمامي أو الخلفي، ثم حال الشفتين من حيث الانفتاح أو الاستدارة أو الحيدة. ووفاقًا لذلك قد تكون الحركة ضيقة إن ارتفع اللسان كل الارتفاع أو تكون واسعة إن انخفض كل الانخفاض، وتكون خلفية إن ارتفعت مؤخرة اللسان أو أمامية إن ارتفعت مقدمة اللسان. ويمكن أن يبين الشكل الآتي تلك الحركات:



ويمكن أن نجمل القول في الجدول الآتي:

بعد اللسان عن الحنك	حركات خلفية			حركات أمامية		
	الهيئة التي تظهر فيها الشفتان			الهيئة التي تظهر فيها الشفتان		
	تضام	انفتاح	حيدة	تضام	انفتاح	حيدة
ضيقة	حركة إشمام				الكسرة	
نصف ضيقة	الضمة الممالة					
نصف واسعة	الضمة الفصيحة					فتحة ممالة
واسعة		فتحة مفخمة				فتحة مرققة

ويمكن أن تحدث الإمالة إذا وقعت الألف بعد حرف يلي الكسرة (عِماد) أو أن يقع قبل حرف مكسور (عابِد)، أو بعد ياء متصلة(عيال)، أو مفصولة بحرف(شيبان)، أو حرفين أحدهما هاء (بيتها)، أو قبل ياء (شايع)، أو تكون مبدلة عن ياء متطرفة(فتى)[1]. وهذه الظاهرة قديمة أصيلة. قال سيبويه: "ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين... وهي لغة لبعض أهل الحجاز. فأمّا العامة فلا يميلون...وبلغنا عن ابن أبي إسحاق أنه سمع كثيّر عزّة يقول: ***صار***[2] بمكان كذا وكذا. وقرأها بعضهم: ***خاف***[3]"[4]. ويفهم من قول سيبويه: أن عامة أهل الحجاز ومنهم قريش لا يميلون، وأما إمالة كُثيّر فلأنه خُزاعيّ، وخزاعة قبيلة حجازية وهم من المقصود ببعض أهل الحجاز[5]. و"أما قول ابن الأنباري: (والإمالة تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بني تميم) فإنه لا يريد بأهل الحجاز قريشًا؛ بل يريد بعض بطون قيس التي تقيم في إقليم الحجاز أو قريبًا منه... ويؤيد هذا أن هوازن من قيس، وقيس إحدى القبائل التي تنسب إليها الإمالة"[6]. وعلى نحو ما كانت الإمالة ظاهرة عند بعض العرب نجد أن قرّاء القرآن اختلفوا في القراءة بها فالذين تلقوا عن قريش ليس في قراءتهم إمالة وهم ابن كثير وأبوجعفر وابن محيصن، ولكنّا نجدها في قراءة نافع ورواية

---

(١) ثمة احتمالات أخرى لإمالة الألف، انظر: الشمسان، **دروس في علم الصرف**، ٢: ١٧٨.

(٢) أي بالإمالة.

(٣) أي بالإمالة في خمس آيات من القرآن:١٨٢- البقرة، ١٠٣-هود، ١٤- إبراهيم، ٤٦- الرحمن، ٤٠- النازعات.

(٤) سيبويه، **الكتاب**، ٤: ١٢٠-١٢١.

(٥) مختار الغوث، **لغة قريش**، ٩٤.

(٦) مختار الغوث، **لغة قريش**، ٩٥.

ورش عنه وأما صاحب إمالة الأفعال الجُوف فحمزة الزيات الكوفي الذي تنتهي قراءته إلى ابن مسعود الهذلي[١].

وإن تكن هذه الظاهرة أصيلة كما تبين سابقًا ؛ فإنها تسمع اليوم في منطقة سدير التي تقع إلى الشمال الغربي من مدينة الرياض(١٨٠كيلاً)، ونسمع من ذلك قولهم (ما) في ماء، و(جا) في جاء و(شتا) في شتاء. فالإمالة إذن ظاهرة عربية أصيلة متصلة إلى يومنا هذا في هذه المنطقة من الجزيرة العربية.

المركب الصوتي (ـَو) و(ـَي) في لهجة الوشم:

تغير المصوت (ـَو) في لهجات الجزيرة العربية، وبعض اللهجات العربية إلى الضمة الممالة نحو الألف [o] كما تظهر في نطق الكلمة الإنجليزية (go)، وهي حركة خلفية نصف ضيقة، وتغير الصوت (ـَي) إلى الألف الممالة نحو الياء (ε) كما تظهر في الكلمة الإنجليزية care. أمّا اللهجة القاهرية فتحول الأول إلى ضمة طويلة (واو المدّ) فيقولون (يُوم) كما في (تُوم)، وجعل الثاني كسرة طويلة (ياء المد) فيقولون: (بِيت) كما في (عِيد). ويستثنى من لهجات نجد لهجة الوشم، غرب الرياض (٢٠٠كيل)، وقد أبقت على المصوتين دون تغيير، فينطقونهما كما تسمعان في اللغة الفصيحة، فيقولون (حَوْش، وبَيت)، ومن الأمثال المسموعة في الوشم: (مَنْ عَاشَرَ الْقَوْمْ خَمْسِيْنْ يَوْمْ صَارْ مِنْهُمْ)[٢] و(مَنْ في بَطْنِهْ تَيْسٍ ثَغَا)[٣]. ومن اللهجات العربية التي أبقت على المصوتين ما نسمعه في لبنان من مثل: (حَوْر، وطَيْر).

---

(١) مختار الغوث، **لغة قريش**، ٩٦.

(٢) عبدالكريم الجهيمان، **الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب**، دار أشبال العرب، الرياض،١٤٠٢هـ، ٨: ١٩٤.

(٣) الجهيمان، **الأمثال الشعبية**، ٨: ٢٠٧.

قلب المركب الصوتي (َو) و(َي) ألفًا في لهجة البادية:

إن من الظواهر اللغوية التي لا يخطئها المراقب للهجات البادية في الجزيرة العربية ظاهرة تغيير الواو المسبوقة بفتحة، أو الياء المسبوقة بفتحة؛ إلى ألف. وتغيير الياء أكثر، فيقال في (عليكم): علاكم، وفي (بَيْض) باض. وهذه ظاهرة عربية قديمة أشار إليها أبو زيد الأنصاري في نوادره، قال: "وأنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن:

أي قلوص راكب تراها طاروا عليهن فشل علاها

واشدد بمتني حقب حقواها ناجية وناجيًا أباها

القلوص مؤنثة وعلاها أراد عليها ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفًا، يقولون: أخذت الدرهمان، واشتريت ثوبان والسلام علاكم، وهذه الأبيات على لغتهم"[1]. وجاء في مجاز القرآن: "وزعم أبو الخطاب أنه سمع قومًا من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب"[2].

وذكر الفراء في تعليل رفع المثنى في قوله تعالى: (إن هذان لساحران) [٦٣-طه] وجهين أحدهما: أنها جاءت على لغة الحارث بن كعب،

---

(١) أبو زيد الأنصاري، **النوادر**، ٥٨. والنحويون مختلفون في النظر إلى هذه الظاهرة بين معمم ومخصص فالأنصاري يعمم قلب الياء المسبوقة بفتح فيورد أمثلة من المثنى وغيره، ومنهم من يخصص هذا بغير المثنى وأما المثنى وما انتهى بألف فيذهب إلى أن الألف التزمت وعومل كالاسم المقصور؛ إذ جعل المثنى بالألف في جميع حالاته الإعرابية. انظر: السيوطي، **شرح شواهد المغني**، ١: ١٢٨.

(٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، ٢: ٢١.

قال : "يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف. وانشدني رجل من الأسد. يريد بني الحارث :

فـأطرق إطـراق الـشجاع ولـو رأى　　مـساغًا لِنابـاه الـشجاعُ لـصمّما

قال : وما رأيت أفصح من هذا الأسدي ، وحكى هذا الرجل عنهم : هذا يدا أخي بعينه"[١].

وقال الزجاج : "وهؤلاء [بنو كنانة] يقولون : ضربته بين أذناه ، ومن يشري مني الخفان ، وكذلك روى أهل الكوفة : أنها لغة لبني الحارث بن كعب"[٢]. وجاء في شرح المفصل أنها لغة لبني الحارث وبطون من ربيعة[٣] ، وقد عزاها الرواة لخثعم ، وهمدان ، وزبيد ، وكنانة ، وبني العنبر ، وبني الهجيم ، وبطون من ربيعة وبكر بن وائل ، وبني عذرة[٤].

وهذه الظاهرة مستمرة في جنوب الجزيرة العربية في حضرموت إذ يقولون : آضا في أيضًا ، وعان في عين ، وكذا فُعل في بعض الألفاظ من لهجة اليهود في وسط اليمن ، مثل : وان في أين ، وعان في حرف العين[٥].

وهي أيضًا متصلة مستمرة في بادية الجزيرة العربية ،[٦] وفي كلمات نادرة عند الحاضرة مثل : (ماجود) أي (مَوْجود). وتسمع هذه الظاهرة في

---

(١) الفراء، **معاني القرآن**، ٢: ١٨٤.

(٢) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ٣: ٣٦٢.

(٣) ابن يعيش، **شرح المفصل**، ٣: ١٢٨.

(٤) الدلائي، **نتائج التحصيل**، ١: ٣٧٠.

(٥) رابين، **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ١٢٣-١٢٥.

(٦) قال محمد المفدى:"وهذه اللغة بالنسبة لعلى ولدى شائعة اليوم في بادية نجد"، انظر: الدماميني، **تعليق الفرائد**، ١: ٢٠٣،حاشية ٣.

أشعار البادية وفي خطابها اليومي، إذ نسمعهم يقولون: خار في: خير، ومار في: مير. وعار في: عير، وطار في: طير، وشاخ في: شيخ، وعلاهم في: عليهم، وغار في: غير، وباض في: بيض، وباضا في بيضاء، والقانة في القينة، وبسني في: يسني، ومن إنشادهم:

يا مرحبا بشعالة كم درهمت من لالة

يريد: شُعَيْلة، ولَيْلة. ويلاحظ حدوثه على مستوى الياء القصيرة (الكسرة) وذلك في قولهم (فَ البيت)، والأصل: في البيت ß فِالبيت ß فَالبيت. ومن الطرائف ما يروى أن بدويًّا أمَّ جماعته وهو لا يحفظ من القرآن شيئًا فألّف لهم قائلاً: "عَنْزِي بَاضَا، حِلِيبْهَا اَبْيَضْ. تَرعَى الصّخَبَرْ، والله اَخَبَر". وقد ظهر هذا النطق في بعض أسماء البادية فرسمت وفاقًا لنطقها كما رسمت أيضًا وفاقًا لنطقها الفصيح(١) ومنها:

الاسم بـ(ـَي)	الاسم بـ(ا)
حدَيجان	حداجان
زَينه	زانه
مطَيمير	مطامير
ترَيحيب	تراحيب
النَيرة	الناره

الاسم بـ(ـَو)	الاسم بـ(ا)
عَوجان	عاجان
عَوضة	عاضة
نَوضاء	ناضاء
نَوضا	ناضا

(١) أبو أوس إبراهيم الشمسان، **توحيد معايير النقل الكتابي لأسماء الأعلام العربية**: الأبعاد الأمنية، (أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض،٢٠٠٣م)،ص٣١.

حذف ياء المتكلم في لهجة القصيم:

يلاحظ المتأمل في لهجة منطقة القصيم، الواقعة بعد منطقة سدير في الشمال الغربي للرياض على مسافة (٣٥٠ كيلا)، أنهم يحذفون ياء المتكلم من الأفعال ويكتفون بما يسميه جمهور علماء اللغة القدماء "نون الوقاية"، فمن ذلك قولهم: أكرمَن، أي: أكرمَني، وشافَن، أي: شافني، يَعَرْفَن، أي: يعرفني.

ويتوهم بعض الناس أن هذا الاستخدام حديث طارئ، وأنه مظهر من مظاهر ابتعاد اللهجة عن أصلها الفصيح، وليس الأمر على ذلك؛ بل هو استخدام عربي فصيح، يشهد لهذا ما ورد من شواهده في لغة القرآن الكريم، والشعر العربي. ومن ذلك حذفها من الفعل(تخزون) في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [٦٢ -الإسراء]، وقد ذكر الفعل نفسه بالياء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٠ - المنافقون]. وحذفت من الفعل (اتبعنِ) في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [٢٠ - يوسف]، وقد حذفت من أفعال أخرى[1]. والحقيقة أن في التعبير بالحذف

(١) ظهر حذف الياء في آيات نكتفي بذكر مواضعها: {تتبعن}[٩٣- طه]، {اتبعون} [٣٨- غافر، ٦١- الزخرف]، {يحيين} [٨١- الشعراء]، {ولا تخزون} [٧٨- هود، ٦٩- الحجر]، {واخشون} [٣، ٤٤- المائدة]، {خافون} [١٧٥- أل عمران]، {دعان} [١٨٦-البقرة]، {ترن} [٣٩- الكهف]، {ارجعون} [٩٩- المؤمنون]، {ترجعون} [٢٠- الدخان]، {لتردين}[٥٦- الصافات]، {فأرسلون} [٤٥- يوسف]، {فارهبون} [٤٠- البقرة، ٥١- النحل]، {يردن} [٢٣- يس]، {فاسمعون} [٢٥- يوسف]، {أشركتمون} [٢٢- إبراهيم]، {يشفين} [٨٠- الشعراء]، {أطيعون}=

شيء من التجوز، إذ الياء ينالها شيء من التقصير وهذا ما يفسر رسم الكسرة في خط المصحف وليس الأمر على ما يتوهم النحويون من أن المدود مسبوقة بحركات تماثلها. أما في لهجة القصيم فلا تسمع الكسرة بعد النون لالتزام وقف على أواخر الكلمات يذهب بالحركات. ومن أمثالهم (أَحْيَن الْيومْ ومَوّتَنْ باتسر)، و(بَشّرَنْ وِافْلِقَنْ). أي: أحيني اليوم وموّتني باكر(غدًا)، وبشّرني وافلقني (شجّ رأسي).

وقد اختلف القراء في هذه الياءات فمنهم من يثبتها وصلاً ووقفًا، ورجح مكيّ بن أبي طالب المذهب الأخير؛ لأنه أخف وفيه متابعة لرسم المصحف وهو الذي عليه أكثر القراء[1].

ومن شواهد ذلك في شعر العرب قول الأعشى:

فهل يمنعني ارتيادي البلاد   من حذر الموت أن يأتِيَنْ

= [٥٠- آل عمران، ١٠٨، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩- الشعراء، ٦٣- الزخرف، ٣- نوح]، {ليعبدون} [٥٦- الذاريات]، {فاعبدون} [٢٥، ٩٢- الأنبياء، ٥٦- العنكبوت]، {فاعتزلون} [٢١٢- الشعراء]، {تعلمن} [٦٦- الكهف]، {فلا تفضحون} [٦٧- الحجر]، {تفندون} [٩٤- يوسف]، {يقتلون}[١٤- الحج، ٣٣- القصص]، {ولا تقربون} [٦٠- يوسف]، {كذبون}[٢٦، ٣٩- المؤمنون، ١١٧- الشعراء]، {أن يكذبون} [١٢- الشعراء، ٣٤- القصص]، {أكرمن} [١٥- الفجر]، {ولا تكفرون} [١٥٢- البقرة]، {تكلمون} [١٠٨- المؤمنون]، {كيدون} [١٩٥- الأعراف، ٣٩-المرسلات]، {أتمدون}[٣٦- النمل]، {تنظرون} [١٩٥- الأعراف، ٧١- يونس، ٥٥- هود]، {هدان} [٨٠- الأنعام]، {يهدين} [٢٤- الكهف، ٦١، ٧٨- الشعراء، ٩٩- الصافات، ٢٧- الزخرف]، {أهانن} [١٦- الفجر]، {اتقون} [٤١، ١٩٧- البقرة، ٢- النحل، ٥٢- المؤمنون، ١٦- الزمر].

(١) **الكشف عن وجوه القراءات**، ١: ٣٣٣.

وقوله:

ومـــن شـــانئ كاســـف لونـــه إذا مـــا انتـــسبت لـــه أنكـــرَنْ

أي: أن يأتيني، وأنكرني[(١)].

قلب الجيم ياء في لهجة حوطة بني تميم:

تقع الحوطة جنوب الرياض على مسافة ١٧٨كيلا[(٢)]، وهناك ما زالت الناس ينطقون الجيم ياء على نحو ما نسمعها في لهجات الخليج العربي ومن أشهرها لهجة الكويت، ولا شك في أن تلك اللهجات هي امتداد لاستعمال تميم، ونجد هذا الاستعمال في بعض مناطق جنوب المملكة[(٣)]. وقد أشار ضاحي عبدالباقي إلى أمثلة متعددة لهذه الظاهرة استقاها من أبحاث لهجية ميدانية[(٤)]. ويقول الناس في حوطة بني تميم: زواي أي زواج، وريل أي رجل، ودياي أي دجاج، ويار أي جار وياهل أي جاهل ويمر أي جمر[(٥)]. ويقول الحربي: إنه لا يشذُّ عن هذه الطريقة سوى الكلمات التي دخلت اللهجة من مستوى ثقافي أو من بيئة أخرى، وهي تسمع من الجيل الجديد[(٦)]. وهذه اللغة قديمة ذكر الأزهري عن أبي الهيثم أنها لغة في تميم معروفة[(٧)]. ولم يصل من أمثلة

---

(١) ابن عصفور، **ضرائر الشعر**، ١٢٨.

(٢) محمد الباتل الحربي، **اللغة المحكية في حوطة بني تميم** ط١ الرياض:مركزحمد الجاسر الثقافي،٢٠٠٨م،ص٣٢.

(٣) حمد الجاسر، **في سراة غامد وزهران**، (دار اليمامة:الرياض،١٩٧١م) ٢٥٦.

(٤) ضاحي عبدالباقي، **لغة تميم دراسة تاريخية وصفية**، ٨١.

(٥) السابق، ٣٩.

(٦) السابق، الصفحة نفسها.

(٧) الأزهري، **تهذيب اللغة**، مادة(م/ز/ي).

هذه اللغة سوى أمثلة نادرة ولكنها كانت كافية ليقيس عليها اللغويون[1]. ومن ذلك قولهم صهريّ في صهريج، وشيرة في شجرة، ولعل قلة المروي ما دفع ابن جني إلى الميل إلى أصالة الياء في شيرة، وإن حاول من جهة أخرى شرح كيفية تغير الجيم إلى ياء[2]. وقد ناقش ضاحي عبدالباقي رأي ابن جني هذا[3]، ولكنه اعتمد في ردّه عليه حال الاستعمال اليوم. والحق أنّنا نلتمس العذر لابن جني لاعتماده على المدونة اللغوية ونحن نعلم علم اليقين أنّ جمع اللغة لم يكن مستغرقًا جميع البيئات أو ممثلاً لكل الظواهر تمثيلاً كافيًا.

قلب الثاء فاء في لهجة القطيف:

من الأسماء التي جاءت ممثلة لهذه الظاهرة الاسم (فلاّج) لطفل ولد في زمن نزلت فيه الثلوج كثيرة: (ثلاج ß فلاج)، فالبيئة التي ولد فيها الطفل تقلب فيها الثاء فاء في بعض الكلمات، وقد سمعت بعض الناس في القصيم يطلقون كلمة (فلاجة) على (ثلاجة). ويرجع هذا إلى قرب المخرج بين الصوتين فالثاء أسنانية، والفاء أسنانية شفوية، مع أنهما مهموسان. وقلب الثاء فاء مسموع في بعض لهجات المنطقة الشرقية، في القطيف (في الشرق الشمالي عن الرياض٤٠٠كيل) إذ يقولون: فلافة أي ثلاثة، فلف أي ثلث.

وهذه لغة قديمة نسبت إلى قبيلة تميم، قال ابن جني: "ومن ذلك قراءة ابن مسعود: ﴿**مِنْ كُلِّ جَدَثٍ يَنْسِلُونَ**﴾ [٩٦-الأنبياء]. قال أبو الفتح: هو القبر بلغة أهل الحجاز، والجدف بالفاء لبني تميم. وقالوا: أجدثت له جدثًا،

(١) غالب فاضل المطلبي، **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة**، ٩٩.

(٢) أبوالفتح عثمان بن جني، **سر صناعة الإعراب**، ٢: ٧٦٤-٧٦٥.

(٣) ضاحي عبدالباقي، **لغة تميم دراسة تاريخية وصفية**، ٨٢.

ولم يقولـوا : أجـدفت، فهـذا يريك أن الفـاء في (جـدف) بـدل مـن الثـاء في جدث"[1].

أم التعريف في لهجة تهامة :

وهذه من الظواهر العربية القديمة الـتي استمرت إلى اليـوم[2]، وتنسب هـذه اللغة إلى قبيلة طيّئ وهـي قبيلـة يمانيـة في الأصـل، ولكنهـا اليـوم لا تـستعمل هذه اللغة. ومن المشهور ورودهـا في الحـديث الـشريف وهـو قولـه ρ : "لـيس من امْبرِ امْصيامُ في امْسفر". وقد يتوهم من لم يسمع هذا الاستعمال أنـه مـن خيال اللغويين[3] أو أنه على أحسن الأحوال استعمال تراثـي انـدثر؛ ولكنـا ما نزال نـسمع النـاس في بعـض المنـاطق الجنوبيـة مـن تهامـة يستخدمون أداة التعريـف (أم) في لهجـتهم، فيقولـون في الـسوق: (امـسوق)، ولـيست كـل الكلمات الـتي تدخلـها (ال) التعريفيـة تدخلـها (ام)؛ فالظـاهر أن الـتغير قـد أخذ طريقه إلى اللهجـة، والمهـم في هـذا المقـام أن بعـض الأسمـاء المعرّفـة قـد تحمـل أداة التعريـف (ام)، وربمـا يكـون هـذا علـى صـعيد الاسـتخدام المحلي[4].

---

(١) أبوالفتح عثمان بن جني، **المحتسب**، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٦م)، ٢: ٦٦. وانظر أمثلة أخرى: أبو القاسم عبدالرحمن ابن إسحاق الزجاجي، **الإبدال والمعاقبة والنظائر**، تحقيق: عزالدين التنـوخي (دمـشق: المجمع العلمي، ١٩٦٢م)، ص٨٦.

(٢) رابين، **اللهجات العربية**، ص٧٥.

(٣) السابق, الصفحة نفسها.

(٤) ينظر: ص١٠٣-١٠٤ من هذا الكتاب.

لغة أكلوني البراغيث في لهجات الجزيرة:

لا يخطئ الملاحظ للهجات العربية في الجزيرة وغيرها أن الناس يقولون مثلاً: نجحوا الطلاب، وسافروا الرجال، واعتمروا الحجاج، وهذه الطريقة ليست بالطريقة العربية المشهورة؛ إذ تقول: نجح الطلاب، وسافر الرجال، واعتمر الحجاج، كما تقول: نجح الطالب وسافر الرجل واعتمر الحاج؛ إذ الفعل المسند إلى فاعل ظاهر يتجرد من علامة دالة على العدد. هذه اللغة المشهورة في التراث وهي الموصوفة بالفصاحة عند النحويين. أما الجمع بين الضمير والاسم الظاهر بعد الفعل فقد يُتوهم أن استعماله عند الناس اليوم هو انحراف عن قصد السبيل وزيغ عن طريقة العرب القدماء، وليس الأمر كذلك؛ لأنّا نجد اللغويين والنحويين رووا من النصوص العربية القديمة ما اجتمع فيه علامة الجمع والفاعل الظاهر، وهي اللغة التي اصطلحوا على تسميتها بلغة (أكلوني البراغيث)؛ لأن هذا القول قد اجتمع فيه الضمير والاسم الظاهر. قال سيبويه: "واعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومُك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في (قالت فلانةُ)، وكأنّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة. قال الفرزدق:

ولكنْ دِيافيٌّ أبوه وأُمُّه   بحوران يَعصرنَ السليطَ أقاربُهْ"[١]

قال ابن عقيل: "وهذه لغة طيئ، وحكي أنها من لغة أزد شنوءة"[٢]. ونسبها الصفار إلى بني الحارث بن كعب[١]. وما زالت هذه اللغة في موطن طيئ اليوم وهو حائل وما حولها[٢].

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، 2: ٤٠.

(٢) وابن عقيل، **المساعد على تسهيل الفوائد**، ١: ٣٩٤.

ومن الأشعار التي استعملت هذه اللغة قول عبد الله بن قيس الرقّيات:

تـــولّى قتـــالَ المـــارقين بنفـــسه ... وقـد أسـلماه مُبْعَـدٌ وحَمـيمُ[٣]

أي: أسلمه مبعد وحميم.

وقول عمرو بن ملقط:

أُلْفِيَتـــا عَيْنـــاكَ عنـــد القفَـــا ... أولَـى فـأولَى لـكَ ذا واقيَـهْ[٤]

أي: أُلفيتْ عيناك.

وقول الشاعر:

يلومـــونني في اشـــتراء النخيـــ ... ـــلِ قـــومي فكلـــهم أَلْـــوَمُ

وقال العتبي:

رأيـن الغـواني الـشيب لاح بعارضـي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر[٥]

أي: رأت الغواني.

وقول الشاعر:

نَـصَروك قـومي فـاعتززت بنـصرهم ... ولـوَ انَّهـم خـذلوك كنـت ذلـيلا[٦]

أي نصرك قومي.

---

(١) ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ١: ٣٩٧.

(٢) عبدالرحمن السويداء، **النكهة الطائية في اللهجة الحائلية**، (دار الأندلس، حائل، ١٩٩٨م)، ص٣٢-٣٧.

(٣) انظر **الموسوعة الشعرية** (رقاقة إلكترونية).

(٤) أبوزيد الأنصاري، **النوادر**، ٦٢.

(٥) ابن مالك، **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، ٢٤٨. وابن عقيل، **المساعد على تسهيل الفوائد**، ١: ٣٩٣.

(٦) ابن مالك، **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، ٢٤٧.

وقول الشاعر:

نُسيا حاتمٌ وأوسٌ لدنْ فا ضت عطاياك يا ابن عبد العزيز[1]

أي: نُسيَ حاتم وأوس.

وقد استعمل أبو تمام (٢٣٠هـ) هذه اللغة[2]، قال:

شجًى في الحشا ترداده ليس يفتر به صُمْنَ آمالي وإني لمفطر

أي: صامت آمالي، وقال:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكْنَ إذًا من جهلهن البهائم

أي هلكت البهائم.

وكذلك استعملها المتنبي أيضًا[3] فقال:

ورمَى وما رمتَا يداه فصابني سَهمٌ يُعذّبُ والسِّهامُ تُريحُ

أي: وما رمتْ يداه.

وقوله:

نفديك من سَيلٍ إذا سُئلَ الندَى هَوْلٍ إذا اختلَطا دمٌ ومَسيحُ

أي: اختلط دم ومسيح.

وقوله:

لا يَستَحي أحَدٌ يُقال لَهُ نَضَلُوكَ آلُ بُوَيْه أو فَضَلوا

أي: نضلك آل بويه.

---

(١) ابن مالك، **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، ٢٤٧.

(٢) انظر: **الموسوعة الشعرية** (رقاقة إلكترونية).

(٣) انظر: **الموسوعة الشعرية** (رقاقة إلكترونية).

ولمّا وصف سيبويه هذه اللغة بالقلة خرّج ما في القرآن من الآيات التي ظاهرها أنها على هذه اللغة على أن الاسم الظاهر بدل من الضمير[١]. وقال ابن الشجري: إنهم حملوا موضعين من القرآن على هذه اللغة[٢]. والحقيقة أن ما حمل من ذلك أكثر.

فمنه قوله تعالى: (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) [مريم: ٨٧]، إن عدّ الاستثناء مفرّغًا.

قال الزمخشري: "الواو في لا يملكون إن جعل ضميرًا فهو للعباد ودلَّ عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة يجوز أن تكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع"[٣].

وقال تعالى: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) [٣-الانبياء].

ذكر النحاس ستة تخريجات لوجود الواو في الفعل (أسروا) منها قوله: "وأجاز الأخفش أن يكون على لغة من قال أكلوني البراغيث"[٤]. وقال الزمخشري: " أبدل الذين ظلموا من واو وأسروا إشعارًا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث"[٥].

وقال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) [١ - المؤمنون].

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١: ٤١.

(٢) ابن الشجري، **أمالي ابن الشجري**، ١: ٢٠١.

(٣) الزمخشري، **الكشاف**، ٣: ٤٥.

(٤) النحاس، **إعراب القرآن**، ٣: ٦٤.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ٣: ١٠٢.

قال الزمخشري: "ويقال أفلحه أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة ابن مصرف (أُفْلِحَ) على البناء للمفعول وعنه (أفلحوا) على أكلوني البراغيث"[١].

قال تعالى: (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ) [٧١-المائدة].

أشار النحاس إلى أنه لم يقل عمي وصم وذكر تخريجات منها أن تكون على لغة أكلوني البراغيث[٢].

قال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) [١١٣ - آل عمران].

قال العكبري: "وقيل أمة اسم ليس والواو فيها حرف يدل على الجمع كما قالوا أكلوني البراغيث وسواء الخبر وهذا ضعيف"[٣].

ووردت هذه اللغة في نصوص بعض الأحاديث ذكر منها ابن مالك[٤] قول عائشة رضي الله عنها: (كنّ نساءُ المؤمناتِ يشهدن مع رسول الله ρ صلاة الفجر). أي كانت نساء المؤمنات، ومنها قول النبي ρ: (يتعاقبون فيكم ملائكةٌ) أي: يتعاقب فيكم ملائكة، ومنها قول أنس: (وكنَّ أمهاتي يحثثني) أي: وكانت أمهاتي. وأما تفسير هذا الاستعمال فقد حاوله ابن مالك في قوله: "والسبب في هذا الاستعمال أن الفاعل قد يكون غير قابل لعلامة تثنية ولا جمع كـ(من). فإذا قصدت تثنيته أو جمعه والفعل مجرد لم

(١) الزمخشري، **الكشاف**، ٣: ١٧٧.

(٢) النحاس، **إعراب القرآن**، ٢: ٣٣.

(٣) العكبري، **التبيان في إعراب القرآن**، ١: ٢٨٦.

(٤) ابن مالك، **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**،٢٤٦- ٢٤٧.

يعلم القصد. فأراد أصحاب هذه اللغة تمييز فعل الواحد من غيره فوصلوه عند قصد التثنية والجمع بعلامتيهما. وجردوه عند قصد الإفراد، فرفعوا اللبس، ثم التزموا ذلك فيما لا لبس فيه، ليجري الباب على سنن واحد"[1].

وهذا التفسير على طرافته وذكاء قائله لا يبدو مقنعًا، وأما وصف سيبويه لهذا الاستعمال بالقلة، فلعله جاء قياسًا إلى اللغة الأدبية المشتركة لا اللغة التي كانت بين أوساط العرب. ومن المعلوم أن الجمع اللغوي غير مستغرق لجميع ما كانت تحفل به البيئات اللغوية في الجزيرة. والأقرب إلى المنطق أنّ تكون هذه الظاهرة هي أصل الاستعمال عند العرب، ثم تخففوا بترك علامات التثنية والجمع لظهور إسناد الفعل إلى الفاعل بعده، ولعل مما يشهد لذلك أن هذه الظاهرة في لغة سامية أخرى وهي العبرية، إذ وجد ممدوح عبدالرحمن أنها وردت في ٩٠٪ من تراكيب سفري التكوين والخروج في الكتاب المقدس[2]. والذي نود قوله: إن هذه الطريقة هي لغة عربية أصيلة وهي متصلة في لهجات الجزيرة العربية إلى يومنا هذا.

خاتمة:

لعله تبين بالوقوف على بعض الظواهر اللغوية المستعملة في اللهجات أنها ليست وليدة لحن أو خطأ بل هي ظواهر أصيلة النشأة، وإنما استعمالها في اللهجات يعطي شهادة على اتصالها، ويتبين أن الجفوة المفتعلة والقطيعة

---

(١) ابن مالك، **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، ٢٤٧.

(٢) ممدوح عبدالرحمن، **من أصول التحويل في نحو العربية**، ١٧٤، نقلا عن ظاهرة الحذف عند الزجاج في كتابه **(معاني القرآن وإعرابه)** لسمير آل ربح، ص٧٧.

التي ينادي بها بعض المتعصبين ليس لها ما يسوغها، وأن من الخير لنا أن نقرب المسافة بين مستويي العربية الفصيح الرسمي واللهجي الحيوي ففي كل منهما خير يمكن أن يؤتي أكله إن وجد يدًا صناعًا تحسن استثماره تنظيرًا وتطبيقًا.

المصادر والمراجع

الأزهري ؛ أبومنصور محمد بن أحمد(٣٧٠هـ) :

تهذيب اللغة ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون وآخرين ، القاهرة : دار الكتاب العربي/ القاهرة.

الأنصاري ؛ أبوزيد سعيد بن أوس بن ثابت (ت٢١٥هـ) :

النوادر في اللغة ، بيروت : دار الكتاب اللبناني/ بيروت ، ١٩٦٧م.

ابن جني ؛ أبوالفتح عثمان(ت ٣٩٢هـ) :

- سر صناعة الإعراب ، تحقيق : حسن هنداوي ، دمشق : ط١ ، دار القلم ، ١٩٨٥م.
- المحتسب ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٦٦م.

الجاسر ؛ حمد

في سراة غامد وزهران ، دار اليمامة : الرياض : ١٩٧١م.

الجهيمان ؛ عبدالكريم :

الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب ، الرياض : دار أشبال العرب ، ١٤٠٢هـ.

الحربي ؛ محمد الباتل

اللغة المحكية في حوطة بني تميم ط١ ، الرياض : مركزحمدالجاسرالثقافي ، ٢٠٠٨م ، ص٣٢.

الدلائي ؛ محمد بن أبي بكر المرابط (١٠٨٩هـ)

نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل ، تحقيق : مصطفى الصادق الغربي ، بنغازي ، د.ت.

رابين، شيم:
اللـهجات العربيـة الغربيـة القديمـة، ترجمـة: عبـدالرحمن أيـوب، جامعـة الكويت، الكويت، ١٩٨٦م.
آل ربح، سمير:
ظـاهرة الحـذف عنـد الزجـاج في كتابـه: معـاني القـرآن وإعرابـه، رسـالة ماجستير، الرياض: جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٥هـ.
الزجاج؛ أبو إسحاق إبراهيم بن السري(ت٣١١هـ):
معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، بيروت: ط١، عـالم الكتب، ١٩٨٨م.
الزجاجي؛ أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق(٣٣٧هـ)
الإبـدال والمعاقبـة والنظـائر، تحقيـق: عزالـدين التنـوخي، دمـشق: المجمـع العلمي، ١٩٦٢م.
الزمخشري؛ جارالله أبوالقاسم محمود بن عمر(٥٣٨هـ):
الكشاف، القاهرة: ١٩٦٦م، الطبعة الأخيرة. مصطفى البابي الحلبي.
السويداء؛ عبدالرحمن:
النكهة الطائية في اللهجة الحائلية، حائل، دار الأندلس، ١٩٩٨م.
سيبويه؛ أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر(١٨٠هـ):
الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هـارون، القـاهرة: الهيئـة المـصرية العامـة للكتاب، ١٩٧٥م.
ابـن الشجري؛ أبوالـسعادات هبـة الله بـن علـي بـن محمـد بـن حمـزة الحـسني (ت٥٤٢هـ):

الأمالي الشجرية، تحقيق: محمود محمد الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٢م.

الشمسان؛ أبوأوس إبراهيم:

- دروس في علم الصرف، الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٩٧م.
- توحيد معايير النقل الكتابي لأسماء الأعلام العربية: الأبعاد الأمنية، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

عبدالباقي؛ ضاحي:

لغة تميم، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥م.

عبدالرحمن؛ ممدوح:

من أصول التحويل في نحو العربية، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م.

أبو عبيدة؛ معمر بن المثنى(٢١٠هـ):

مجاز القرآن، تحقيق: فؤاد سزكين، مصر: دار الفكر، ١٩٥٤م.

ابن عصفور؛ علي بن مؤمن(٦٦٩هـ):

ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ١٩٨٠م.

العكبري؛ أبوالبقاء عبدالله بن الحسين الضرير (٦١٦هـ):

التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: محمد البجاوي، القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م.

ابن عقيل؛ بهاء الدين عبدالله (٧٦٩هـ):

- المساعد، على تسهيل الفوائد، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٨٠م.
- شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٩٥٨م.

الغوث ؛ مختار :
لغة قريش ، الرياض ، النادي الأدبي ، ١٩٩٢م.
الفارسي ؛ أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار (٣٧٧هـ) :
التكملة ، تحقيق : حسن شاذلي فرهود ، الرياض : جامعة الرياض ، ١٩٨١م.
الفراء ؛ أبوزكرياء يحيى بن زياد (٢٠٧هـ) :
معاني القرآن ، تحقيق : أحمد نجاتي ومحمد علي النجار ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥م.
القيسي ؛ أبومحمد مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) :
الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٤م .
ابن مالك ؛ أبوعبدالله جمال الدين محمد(ت٦٧٢هـ) :
شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، تحقيق : طه محسن ، دمشق : وزارة الأوقاف ، بغداد ، ١٩٨٥م.
المفدى ؛ محمد بن عبدالرحمن بن محمد :
الدماميني : حياته وآثاره ومنهجه في كتابه تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ، الرياض : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون/ الرياض ، ١٩٨٢م.
المطلبي ؛ غالب فاضل
لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، بغداد : وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨م.
ابن يعيش ؛ موفق الدين يعيش بن علي(ت٦٤٣هـ) :
شرح المفصل ، القاهرة : دار الطباعة المنيرية ، د.ت.

حكايات من نجد

رحم الله الأستاذ الدكتور محمد رجب النجار فقد كان موسوعي المعرفة. فهو إلى معرفته الدقيقة بالآداب الشعبية وما يتصل بها من فلكلور كان على معرفة معمقة بالتراث العربي، لغته وقصصه نثره وشعره. كانت اللقاءات التي جمعتنا ميدانًا لعرض معرفته الواسعة في مجالات ثقافية مختلفة. وهو يحدثك بكل ما يمتلكه من لطف المعشر وحسن الفكاهة ويشعرك بأنه يستثمر وقته معك. وأذكر أنه كان يسألني عن التراث الشعبي في نجد، وأذكر أنني كنت قد قلت له: إن بلادنا جملة من البيئات اللغوية المختلفة، وهي مليئة بالتراث اللغوي المعجمي ومليئة بالحكايات الشعبية ذات الطابع الخيالي البحت، وهي ما تسمى عندنا (بالسباحين). والسباحين جمع سبحانية وهي: قصة خيالية شعبية ذات طابع أسطوري، في بعضها، مجهولة المؤلف ومنها القصير ومنها الطويل، وسميت بهذا الاسم؛ لأن الراوية وهي في الغالب امرأة تبدأ قولها بتسبيح الله قائلة: (يقولون كان هاك الواحد، والواحد الله سبحانه، المتعالي مكانه)، وهاك أي هناك. وأما الرجال ففي مجالسهم كانت تتداول (السواليف) وهي جمع سالفة أي: حكاية ماضية منقولة عن السلف، وهي قصص أقرب إلى الواقع، وربما قد تكون من تأليف أحد الرواة، وقد يكون لها أصل قديم نجد أصوله في التراث، ولكن القوم يروونه دون أن يعلموا أنه تراثي المنشأ، ومن السواليف ما يكون مرويًا عن أشخاص معروفين، ولكن براعة الراوي تضفي على الحكاية من المحسنات ما يسلب به لب مستمعيه، ولذلك تجد تفاوتًا في حسن القصّ من

واحد إلى آخر، بل قد يجد أحد الناس ممن يتصدى للرواية بعض الاعتراض؛ إذ يستوقفه أحد الجالسين لأن الرواية انتهكت وأفسدت، ويعمد إلى تسلم قيادة القص. ولئن كان لشيخنا عبدالكريم الجهيمان فضل الريادة في جمع كثير من الحكايات في كتابه (من أساطيرنا الشعبية) فإن ما عند الناس أكثر، وهو بحاجة إلى من يجمعه جمعًا منظمًا. ولكني في هذا المقام سأذكر بعض الحكايات.

حكاية صيد السباع:

من الحكايات ما يكون وراء مثل متداول أو ما هو مفسر لظاهرة من الظواهر الغريبة. ومن ذلك الحكاية التي يرويها عامة الناس في نجد وهي أنّ الأسد والذئب والثعلب قد خرجوا يومًا للصيد معًا فصاد الذئب حمارًا وصاد الأسد غزالاً وصاد الثعلب أرنبًا، وجاء وقت الغداء فإذا الأسد يلتفت إلى الذئب ويقول له: اقسم بيننا فقال الذئب: القسمة واضحة وسهلة الحمار لك والغزال لي والأرنب للثعلب، فصفعه الأسد فإذا هو ملقى على الأرض دون حراك، ثم التفت إلى الثعلب وقال له: اقسم بيننا، فقال له الثعلب: القسمة واضحة وسهلة، الحمار لغدائك والغزال لعشائك والأرنب ما بين ذلك. فقال له الأسد: من علمك هذا القسْم المنسمح. فرد الثعلب: هذا الذيب المنسدح. وجاءت هذه الحكاية في كتاب (المستطرف) وغيره على اختلاف في الروايات؛ ولكنها في مجملها تؤكد كونها أصلاً للحكاية الشعبية التي ذكرتها. ومن أقرب الروايات ما جاء في(كتاب الأذكياء) قال ابن الجوزي: "قال: حدثنا المعافي بن زكريا قال: زعموا أن أسدًا وثعلبًا وذئبًا اصطحبوا، فخرجوا يتصيدون فصادوا حمارًا وظبيًا وأرنبًا، فقال الأسد

للذئب: اقسم بيننا صيدنا، قال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب لأبي معاوية يعني الثعلب، والظبي لي. فخبطه الأسد فاندار رأسه. ثم أقبل على الثعلب، وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة! ثم قال: هات أنت. قال الثعلب: يا أبا الحارث، الأمر أوضح من ذلك. الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، وتخلّل بالأرنب فيما بين ذلك. قال الأسد: ويحك ما أقضاك! من علمك هذه القضية. قال: رأس الذئب النادر بين عيني"[1].

والحكايتان الشعبية وأصلها المكتوب تعبران عن اتجاه شعبي في التعبير الكنائي عن أمور ليس يسهل التصريح بشأنها، وهي ما يتصل بظلم الحكام ذوي القوة الغاشمة المستبدة وأن من يتخذ سبيل الحكمة ويطلب العافية يسلم، وإن فاته من أمور دنياه ما فاته. ونلاحظ العلاقة بين النصين على مستوى التركيب اللغوي حيث يشتركان بالتركيب (فيما بين ذلك) ولكن النص الشعبي ناله حظ من المحسنات البديعية ظهرت في السجعة التي ختمت بها القصة فزادتها قوة وتأثيرًا (من علمك هذا القسم المنسمح، قال: هذا الذيب المنسدح)، ونلاحظ أن الغرض البديعي أثّر في الشكل التصريفي حيث حوّل (السمح) إلى (المنسمح) وليس هذا الشكل التصريفي بمستعمل عندهم لكنه مقبول في هذا الموضع لملاءمته للمنسدح بنية وصوتًا.

العَمَى والْمحَسْوَل:

أي: الأعمى تخلصوا من ثقل الهمزة بحذفها ونقلوا حركتها إلى العين، ومثله (العَرَج) أي: الأعرج، ولكنهم قد يحذفون الهمزة ويبقون حركتها كما في

---

(١) أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، **كتاب الأذكياء** (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٠م)، ص٢٤٦.

(الاصـقه) أي: الأصـقه، و(الاطـرم) أي الأطـرم. وأمـا (المحـسول) فهـو في لهجة نجد بمعنى المشلول المقعد. وقريب منه عندهم (المحرول) أيضًا غير أن هذا من تصلبت أرجله وانقبضت وإن كان يحسها. تقول الحكاية:

شاع بين البادية أن سعلوًّا يطوف في المنطقة التي يقطنونها وأنه لخبثه ومكره لا يختلف في هيئته عن بني البشر أي اختلاف ظاهر، وإنما يميزه كثافة في شعر صدره وأنه يستدير. فشدّ البدو على رحالهم، وكان في الحيّ رجلان، أما أحدهما فهو: أعمى، وأما الآخر: فمحسول لا يستطيع التحرك. غادر البدو بليل على عجل غير ملتفتين للرجلين، وليس غريبًا على بعض البادية ترك العاجز أو المريض بمرض فتاك معد والفرار عنه. فلما كان الصباح وأحس الرجلان بدفء الجو أنكر الأعمى هدوء ما حوله وفَقْدَ أصوات الدواب، وأما المحسول فنظر يمينًا وشمالا فلم ير أحدًا من القوم سوى هذا الأعمى فأدرك أن القوم قد فروا، وأنهما لا محالة سيكونان طعامًا سهلاً للسعلو أو غيره من السباع الضارية. نادى المحسول الأعمى فجاء إليه مهتديًا بصوته يقوم مرة ويتعثر أخرى حتى وصل إليه. قال له المحسول: القوم شدَّوا بالليل وكبّونا (تركونا) والحين ما لنا إلا الله ثم بعضنا بعض. أنت عمى ما تشوف طريقك وأنا محسول ما أقوم من مكاني؛ لكن وش رايك (رأيك) تشيلن (تحملني) على كتوفك وتمشي وأنا أدلّك. قال العمى: هذا الشور المبارك. حمل الأعمى المحسول على كتفيه وأخذ المحسول يرشد الأعمى يمنة ويسرة ويتتبع طريق سفر قومهما، وكان من تسليتهما الأحاديث والأخبار المتوالية يتبادلانها ليقطعا بها الطريق وكان الأعمى جريئًا في حديثه حافظًا لكثير من الحكايات ويستمتع بالحديث المتواصل، ويكفيه أن

يسمع من صاحبه الردود البسيطة من قوله: نعم، وإيه، وما شابه. وبينما هم في طريقهم اعترضهما على غفلة منهما رجل غريب وبادرهما بالسؤال عن وجهتهما ففرح الأعمى به واسترسل يقص عليه ما سمعه من قصة السعلو ومن خبر قومهما الذين شردوا بليل وتركوهما بلا حول ولا قوة ولم يدرك الأعمى أن المحسول فقد النطق ولم يعد يشاركه الكلام بل استمر في سرد تفاصيل حكايته على الرجل الغريب فلما جاء على ذكر وصف السعلو أمسك الرجل الغريب بيد الأعمى وقربها لتلامس صدره فأحس الشعر الكثيف المستدير وأحس على كتفيه بسائل ساخن أطلقه صاحبه المحسول. أدرك أنه بين يدي السعلو الذي لا محالة آكله فنفض عن كتفيه المحسول وهوى به أرضًا وجرى على غير هدى ولكن سياجًا من الأشجار كان له بالمرصاد فوقع فيه وسالت دماؤه ولكنه نهض للجرى والسقوط وما زال يفعل ذلك والسعلو يضحك من فعله ضحكًا متواصلا لم يستطع كبح جماحه فكلما قام الأعمى من كبوته ارتكس في أخرى ولا يزداد السعلو إلا ضحكًا حتى غشي عليه وسقط على الأرض بلا وعي. وهنا تمالك المحسول نفسه وصاح بالأعمى: على هونك السعلو مات، السعلو مات. ولكن الأعمى ضلّ يتخبط ويتجه يمنة ويسرة حتى صار في اتجاه ريح المحسول فأمكنه أن يسمع صياح المحسول وتبين مراده، ففُزّع عن الأعمى ورجع إليه رشده وتحامل على نفسه ورجع إلى صاحبه. ثمّ إنه اقترب من جسد السعلو وتحسسه فوجده يتنفس بعض النفس فأهوى على صدره بالسكين وانثنى إلى بطنه وبعجه حتى اطمأن إلى أنه قد قضى عليه. وكان الجوع قد أخذ منهما كل مأخذ فهما لم يذوقا منذ الأمس زادًا، فجمع الأعمى من الحطب ما

وصلت إليه يده والمحسول يرشده إلى ذلك ثم إنهما أوقدا نارًا عظيمة وألقيا السعلو في أتونها حتى بدأ ريح الشواء يداعب أنفيهما فأقبلا عليه يأكلان منه ما يسد جوعهما وكان سمينًا يقطر بالدهن فكانت يد المحسول زهمة فراح يدلك ساقيه بالدهن وأسفل قدميه وقد كانوا يفعلون ذلك لتليين الجلود وتطرية الأقدام المشققة ولكن المحسول بدأ يحس إحساسًا غريبًا ما كان يعهده من قبل، بدا له كأن النمل يسري في رجليه والحرارة تدب في ساقيه وما هي إلا دقائق حتى أحس أنه قد فك من عقال ورأى نفسه يعتمد على ساقيه وينهض شيئًا فشيئًا وتستقيم قامته وترتفع هامته وهو لا يدري أفي يقظة هو أم في منام؟ ولكنه في يقظة بلا شك فهذه النار يحس بحرارتها، وهذا الأعمى منهمك في عرمشة عظام السعلو وأدرك أن سمن السعلو كان فيه شفاؤه. فقال من فوره للأعمى: أدهن عينيك لعلك تفتح (تبصر) فأنا واقف على حيلي ما بي إلا العافيه طبت ما أنا محسول الحين. لم يلتفت الأعمى إلى قوله بل ظنه أصيب بالحمى أو أراد مداعبته ولكنه أيقن اليقين كله بصدق صاحبه لّما اقترب منه لينغزه[1] بقدمه ويحركه. طفق الأعمى، يدّهن بسمن السعلو، ويقطر في جفنيه فما لبث أن بدأ يحس بإزعاج ألسنة النار وضوئها الذي بدأ يأخذ طريقه إليه، ولكنه بعد قليل بدأ يهلل ويكبر ويحمد الله أن ردّ له بصره والتفت ينظر إلى رفيق محنته وتعانقا بحرارة وفرح؛ ثم واصلا طريقهما معًا متتبعين جادة قومهما حتى وصلا؛ ليهب القوم لاستقبالهما ظنًا منهم أنهما ضيفان لكن الدهشة عقدت الألسنة وهم يرون المحسول يمشي على رجليه

---

(١) النغز مقلوب النْزغ وجاء في **(تاج العروس)**: "نَغَزَ الصبيَّ: دَغْدَغَه كَنَزَغه".

والأعمى ينقّل بصره بين الحضور ويسمي كل من يسمع صوته باسمه فرح القوم بهما أيما فرح وتواصلت الأفراح بما قصّاه من أمرهما مع السعلو فكانت حكايتهما عبرة للمعتبر".

هذه هي الحكاية كما سمعتها من عامة أهل نجد كتبتها مع شيء من التصرف اليسير المناسب لمقتضيات القصِّ دون المساس بمفاصلها الأساسية. وهذه القصة نجدها مذكورة في كتاب (ألف ليلة وليلة) مع اختلاف بمضمون الحكاية ولكنها تنطلق من تكامل الوظائف بين الأعمى والمحسول، ونجتزئ من الحكاية هذا النص: "وكذلك الجسد والروح مشتركان في الأعمال وفي الثواب والعقاب، وذلك مثل الأعمى والمقعد اللَّذين أخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستانه وأمرهما أن لا يفسدا فيه ولا يصنعا فيه أمرًا يضر به. فلما طابت أثمار البستان قال المقعد للأعمى: ويحك إني أرى أثمارًا طيبة وقد اشتهيناها، ولست أقدر على القيام إليها لآكل منها فقم أنت لأنك صحيح الرجلين وائتنا منها بما نأكل، فقال الأعمى: ويحك قد ذكرتها لي، وقد كنت عنها غافلاً ولست أقدر على ذلك لأني لست أبصرها، فما الحيلة في تحصيل ذلك، فبينما هما كذلك إذ أتاهما الناظر على البستان وكان رجلاً عالِمًا فقال له المقعد: ويحك يا ناظر إنا قد اشتهينا شيئًا من هذه الثمار ونحن كما ترى أنا مقعد وصاحبي هذا أعمى لا يبصر شيئًا فما حيلتنا؟ فقال لهما الناظر: ويحكما ألستما تعلمان ما عاهدكما عليه صاحب البستان من أنكما لا تتعرضان لشيءٍ مما يؤثر فيه من الفساد؟ فانتهيا ولا تفعلا، فقالا له: لا بد لنا من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله، فأخبرنا بما عندك من الحيلة. فلما لم ينتهيا عن رأيهما، قال لهما: الحيلة في ذلك أن يقوم الأعمى ويحملك

أيها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التي تعجبك ثمارها حتى إذا أدناك منها تجني أنت ما أصبت من الثمار، فقام الأعمى وحمل المقعد وجعل يهديه إلى السبيل حتى أدناه إلى شجرة، فصار المقعد يأخذ منها ما أحب ولم يزل ذلك دأبهما حتى أفسدا ما في البستان من الشجر وإذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما: ويحكما ما هذه الفعال؟ ألم أعاهدكما على أن لا تفسدا في هذا البستان؟ فقالا له: قد علمت أننا لا نقدر أن نصل إلى شيءٍ من الأشياء لأن أحدنا مقعد لا يقوم والآخر أعمى لا يبصر ما بين يديه فما ذنبنا؟ فقال لهما صاحب البستان: لعلكما تظنان أني لست أدري كيف صنعتما؟ وكيف أفسدتما في بستاني؟ كأني بك أيها الأعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته إلى الشجر، ثم إنه أخذهما وعاقبهما عقوبةً شديدةً وأخرجهما من البستان"[١].

ليس من شك أن مضمون القصتين من حيث التفاصيل مختلفة ولكن المغزى العام الذي يشير إلى كيفية رأب الصدع وسد النقص بالتكامل المثمر وأن بني الإنسان بتعاونهم خلاقون قادرون على فعل ما يعجز عنه أحدهم منفردًا.

حكايات أسطورية:

ومن الحكايات الأسطورية المفسرة للظواهر ما يروى عن تفسير عجز الدجاج عن الطيران كالطيور من حمام وغيرها. والقصة تزعم أن الدجاج كان يطير كغيره. وفي ليلة قالت الدجاجة: إنهم غدًا سيطيرون. فقيل لها: قولي إن

(١) انظر النص في كتاب (**ألف ليلة وليلة**) على موقع الوراق http://www.alwaraq.net/index

شاء الله فردت طايرة طايرة، فأنزل الله على الدجاج عقابه وحرمها من الطيران.

ومن ذلك تفسيرهم للكثبان الرملية في صحارى نجد إذ يقال: إن بني هلال في القديم كانوا يسكنون في نجد ويزرعون القمح فأنعم الله عليهم بالخيرات منه حتى كانت الحبوب كالجبال في ارتفاعها فرخص عندهم وبطروا معيشتهم حتى قيل إن امرأة منهم رأت ولدها قد سلح على نفسه فتناولت قرصًا ومسحته به فأنزل الله عليهم غضبه ومقته وحول جبال القمح إلى كثبان من الرمل.

سندرلا النجدية:

أما حكاية سندرلا العالمية فهي معروفة لا يحتاج منا المقام أن نذكّر بتفاصيلها؛ ولكن في نجد قصة تشابه في الجزء الأخير منها قصة سندرلا، وأما عنوان القصة عند أهل نجد فهو (دويده أم الذبّان). ومعنى دويدة أي ذات الرائحة النتنة فالشيء المدود الذي فاحت رائحته الخبيثة وهو في الأصل مأخوذ من الجلد المنتن الذي أكله الدود أما (الذبان) فجمع ذباب، وهم يطلقون لفظ الذباب على المفرد ويجمعونه على الذبان، مثل باب وبيبان وصبي وصبيان. وسوف أورد القصة كما سمعتها مع شيء من التصرف مما يقتضيه القص. تقول الحكاية: "يقولون هاك الواحد، والواحد الله سبحانه، المتعالي مكانه، يقولون هاك البنت اللي(التي) بلغ من جمال وجهها وطول شعرها واعتدال قوامها أنها كانت تفتن كل من يراها، حتى إن كائنًا خرافيًّا يسمى (خضيّر) هام بها حبًّا، وكان من شأنه أنه يتحول بأشكال مختلفة ليلازمها، ولكنها كانت تفلح كلَّ مرة في التخلص منه. يقال:

إنه سمع عن رغبتها في خواتم فطلب من صاحب له أن يتولى بيعه عند تحوله إلى خواتم إلى أخي الفتاة، وهكذا فرحت الفتاة بالخواتم اللماعة ولبستها، ولكنها ما لبثت تحس بحكة في أصابعها أزعجتها أيما إزعاج فرمت بها إلى أخيها ليبيعها بأرخص الأثمان. وحين أقبل الحج خرج أخوها يطلب جملاً قويًّا يحمل أخته عليه إلى مكة فسمع من ينادي ويقول: (من يشتري البعير بملى[1] اذنه شعير) فتزاحم القوم حوله كل يدفعه الطمع ليفوز بهذا البعير الرخيص. ولكن أحدًا من الناس لم يستطع الفوز به، فهو يوالي ملء الأذن بالشعير وهي لا تمتلئ وتتابع الرجال واحدًا بعد واحد حتى استيأسوا وتفرقوا عنه وحسبوه لغزًا عصي الحلّ وكاد أخو الفتاة ينصرف عنه لّما رأى صنيع القوم، لولا نظرة تشجيع من البائع، فأقدم وحاول أن يملأ أذن البعير بالشعير فامتلأت وفاز ببعير رخيص قوي ومضى به إلى أخته. وكان يوم الرحيل إلى مكة وزُمَّتِ الحمول وشدت الرواحل واعتلت الفتاة ظهر (عليّان) وهو الاسم الذي أطلقته على جملها ومشى بها مع القوم، وفي ظاهر البلدة وقفت القافلة لتسقي الرواحل قبل المضي في الصحراء وارتوت الرواحل وهموا بالمسير غير أن الفتاة استمهلتهم ليرتوي عليّان الذي يعب من الماء ولا يكتفي حتى ضج الناس فقالوا: سنتقدم، وأنت كوني في ساقتنا بعد أن يُروى عليّان، ولما غابت القافلة عن الأنظار تكلم عليان، وقال لها: ما لك مفرّ إن نزلت من رجلي اليمنى أو اليسرى صقلتك (رفستك) وإن نزلت من إيدي اليمنى أو اليسرى خبطتك وإن نزلت من رقبتي عضيتك. ما

(١) أي بملء أذنه شعيرًا.

لك إلا إنك: تزوجيني أو آكلك، فاختاري. أُرْتِجَّ على الفتاة وتحيرت في أمرها ولم تنبس ببنت شفه من خوفها وهلعها. وفي هذه الأثناء بَصُرَ بها أبو الحصين (الثعلب) وأدرك ما هي فيه من همّ وغمّ فقال لها: أساعدك ولي حقّ؟ (مكافأة)، قالت: لك ما تريد. فأخذ الثعلب يدلي ذيله في الماء ويرفعه وهو يغني فأدهش فعله عليان وأدام مراقبته وأشار الثعلب لها أن تنفخ قربة وترفعها فوق السنام ليكون لها ظل يخدع عليان، وهكذا فعلت وانسلت بهدوء وهو مشغول بمراقبة الثعلب. وبعد أن اطمأن الثعلب أنّ الفتاة بلغت مأمنها قال لعليان: وين(أين) صاحبتك؟ قال: فوق اظهري (ظهري)، ثم التفت وحرك جسده وفطن إلى الخدعة، أما الثعلب فانتهز فرصة انشغاله، وهرب إلى الفتاة ليطالب بحقه. وعاد الأخ إلى أخته التي أبلغته بخبرها، وبخلوصها من شرّ ذلك المخلوق. ولما كان أخوها في السوق ذات يوم رأى حصانًا بريًّا نشيطًا فأعجبه، فاشتراه وأسرع به إلى أخته ليكون عوضًا من ذلك البعير، وربطه في بيته وسافر في طلب الرزق على أن يعود لعسفه (ترويضه) وإعداده للركوب. أما الحصان فلم يكن سوى (خضيّر) بصورة حصان. وكان لا يفتأ يحاول الانفلات من أسره لينقض عليها فقد غضب منها وهددها بأن يلتهمها. فما كان منها إلا أن أمرت عبدتها بخفية أن تجمع ما خف من ثيابها وزينتها وهربتا. فلما علم بأمر هربهما لاحقهما وهما هائمتان في الصحراء، وكانت الفتاة على يقين أنه ملاحقها فلجأت إلى شجرة عالية فتسلقتها لترى عن بعد من وراءها، فكانت تقول لعبدتها: يا عبيدتي تكحلي وتنظري واشتافي وش تشوفين. فتتكحل عبدتها وتتنظر ثم تمد بصرها لترد: أشوف خضيّر. فتسلمها مرآة صغيرة لتلقيها في اتجاهه

لتتحول إلى بحر من الماء يفصلهما وتواصلان بعدها الهرب إلى أن تصلا إلى شجرة أخرى فتتسلقان ثم تقول لعبدتها: يا عبدتي تكحلي وتنظري واشتافي وش تشوفين؟ قالت: أشوف خضيّر يشرب الماء كل الماء وهو يركض، فأعطتها علبة الكبريت لترميها في اتجاهه فاشتعل ما بينهما نارًا، وأما خضيّر الذي امتلأ بالماء فصار يبول على النار ويردد وكأن معه من يعينه (زغّل وأنا أزغّل) أي: بل وأنا أبول معك، أما هما فهربتا حتى وصلتا إلى شجرة أخرى فتسلقتا وأمرت البنت عبدتها بالنظر كما فعلت من قبل فقالت: أشوف خضيّر زغّل على النار وجاء. ولم يكن باستطاعة الفتاة وعبدتها مواصلة الهرب فلزمتا الشجرة لشدة التعب. وصل خضيّر إلى الشجرة منهكًا ورمى بنفسه تحتها دون أن يعلم بأنهما فوقها وكان الخوف والهلع قد استولى عليهما فلم تتمالكا نفسيهما، فتساقط البول عليه، فقال والدهشة تملأ نفسه: سبحان الله العظيم تمطر وهي صحو[1]. فضحكتا على قوله فانتبه إليهما ففتح فمه وقال للفتاة: هيا طبّي (اسقطي) وإلا رقيت الشجرة، فقذفت في فمه حقيبة من الحقائب فالتهمها وفتح فمه لها مرة أخرى، فما زالت تقذف بالأشياء إليه وهو يلتهمها بكل يسر حتى كادت تيأس من الخلاص منه ولم يبق في يدها سوى المقصّ، فتناولت المقص وفتحته وألقته في حلقه فغص به ومات. نزلت الفتاة وبعجت بطنه، وأخرجت ما التهمه من أشيائها، وواصلت هي وعبدتها الهرب حتى أجنهما الليل وأدركهما الجوع، فبصرتا بنار على البعد فأرسلت الفتاة

---

(١) أي تمطر وليس في السماء سحاب وذهب هذا القول مثلا في نجد يقال لحدوث غير المألوف من الأمر.

عبدتها لتستطلع أمر تلك النار فلعل عندها من القوم من يعينهما فذهبت العبدة، وظلت الفتاة في انتظارها حتى مضى من الليل أكثره والعبدة غائبة فمضت الفتاة في ساقتها للبحث عنها حتى إذا وصلت إلى النار رأت عندها قومًا ذوي أشكال مرعبة قد أكلوا وناموا من شدة البطنة. ورأت رأس عبدتها ملقى غير بعيد وجلدها معلقًا على شجرة فأخذته ولاذت بالفرار حتى اهتدت بعد طول مسير إلى بلد في ظاهره غدير كبير تحيطه الأشجار فشربت منه ثم لبست جلد عبدتها وسودت وجهها، وحفرت في الأرض حفرة أخفت فيها حقيبتها. مضت الفتاة بهيئتها القذرة ورائحتها التي بدأت تفوح من الجلد، وقصدت أكبر بيوت المدينة فطرقت الباب ليفتح لها وتنهر وتزجر لولا أن ربة البيت أشفقت عليها وأدخلتها وأمرت لها بطعام، وكانت الفتاة لا تكف عن البكاء وهي تأكل وحاولت المرأة أن تفهم منها قصتها فلم تدرك منها سوى أنها لا أهل لها، وهي لا تريد من الدنيا سوى المأوى واليسير من الطعام، فطيبت المرأة خاطرها وأبقتها في البيت وكلفتها برعاية طفل يتيم عليل كثير البكاء، واستمرت الفتاة في البيت تقوم بما تؤمر به بصمت ولم تسلم من سخرية كل من يعيش في البيت لما هي عليه من القذارة والهيئة المزرية والرائحة النتنة التي جمعت عليها الذباب فهو يلاحقها أينما توجهت وعرفت بينهم بلقب أطلق عليها (دويدة أم الذبان). وكانت الفتاة صابرة على ما ينالها من الأذى حتى جاء يوم شهدت المدينة فيه عرسًا عند أحد الوجهاء دعي إليه أهل البيت الذي تعيش فيه حتى الفتى الذي تتطلع أمه إلى زواجه وترجو أن تصادف في العرس من تناسبه. ذهب أهل البيت رجالاً ونساءً، وبقيت دويدة أم الذبان لترعى الصغار. مضى أول الليل وتعشى

الأولاد وناموا. ثم إن دويدة انسلت بهدوء ومضت على عجل إلى البحيرة، وأخرجت حقيبتها وخلعت عنها الجلد واغتسلت وتنظفت وتعطرت وتكحلت ومشطت شعرها وتزينت بأفخر ثيابها ومضت نحو العرس مسرعة، وهي تضع في كمها الأيسر رمادًا وفي كمها الأيمن طيبًا فلما دخلت كثحت[١] الرماد في أعين النساء وكثحت الطيب على الرجال ونزلت إلى ساحة الرقص فقفز إليها الفتى لا يعرفها وهي في بيت أهله وشاركها في رقصها حتى إذا انتصف الليل خطفت خاتمه من يده وولت هاربة فلحق بها ولكنه لم يدركها. مضت إلى الغدير وأعادت ملابسها إلى حقيبتها وأخفتها ولبست الجلد وسودت وجهها وعادت إلى البيت ونامت إلى جانب الصغار. أما الفتى فطار لبه وتعلق بهذا الطيف الذي لا يعلم من أين جاء، ولم تستطع امرأة في المدينة معرفة تلك الفتاة. ومرت أيام ساءت فيها حال الفتى فاستأذن والدته وإخوته ليسافر لعله ينسى ما جرى. وفي نهار السفر كانت أمه تعد له زاد السفر، وهو أقراص تخبزها في التنور فجاءتها دويدة تطلب منها أن تخبز للولد اليتيم قرصًا فأعطتها مثيلتين[٢] فقرصتهما وجعلت الخاتم بينهما، وأدخلتهما التنور ومضت ولما استوت[٣] القرصان جمعتها الأم في كيس وسلمته إلى ابنها الذي ودعها ومضى على فرسه، فلما كان وقت غدائه نزل يستريح ويأكل فمد يده في الكيس فأخرج قرصًا وأكله ومد يده ليأخذ غيره فوقعت يده على قرص غليظ منتفخ فلم يعجبه شكله وناوله

(١) كثحت: نثرت.

(٢) المثيلة قطعة مكورة من العجين تسطح لتكون قرصًا.

(٣) استوت أي نضجت.

للفرس ليأكله وأخذ غيره وسمع بعد قليل بصوت غريب في فم الفرس فوضع كفه أمام فم الفرس، فلفظ شيئًا تبين أنه خاتمه الذي فقده في تلك الليلة. قفز الفتى فوق ظهر جواده ومشاعر الدهشة والفرح والترقب تملأ تضاعيف نفسه، وانطلق يسابق الريح نحو أهله، ومضى نحو والدته التي امتلأت رعبًا لمقدمه على هذا النحو المفاجئ. قال لها: أحلفك بالله من خبز معك القرصان؟ فقالت: لم يخبز معي أحد. وحلفت له بالله ولكنه لم يقتنع بقولها وما زال بها حتى تذكرت أن دويدة أخذت منها مثيلتين لليتيم. وحينئذ قفز واقفًا وقال لها: يمه أبي أعرس على دويده. انقلب وجه أمه مرة وضحكت مرة أخرى إذ غلب على ظنها أنه يمازحها لولا نظرة الصرامة في وجهه وهي نظرة تعودت صدقها منه. تمعّر وجهها وحاولت نهره مرة وإقناعه بالحسنى مرة أخرى ولكنه استل خنجره ووجهّه نحو صدره وقال: إما حياة مع دويدة وإما الموت، فقالت أمه: إن كان في هذا سعادتك فأنت وما ترى ولكن إخوتك سيقتلونك إن علموا بأمرك فقال: لا يهم. نادت الأم دويدة وبلغتها بالأمر فطارت فرحًا وأمرت الأم أن تختبئ العروس في الروشن حتى تستميل إخوته. وتحت جنح الظلام مضت دويدة خفية إلى حيث أخفت ثيابها وخلعت عنها الجلد واغتسلت وتطيبت ولبست أفخر ثيابها وعادت منسلة إلى روشنها. في هذه الأثناء كانت الأم قد بعثت لمن جاء لعقد القران والشهادة وتمّ الأمر دون أن يعلم إخوة الفتى بشيء ونصحته أن يلحق بعروسه في روشنها فلحق بها ليطير من الفرح بما لقيه من حسنها وجمالها وطيب معشرها. أما الإخوة الذين عادوا من رحلة صيد ذلك اليوم فقد علموا برجعة أخيهم وبأمر المأذون الذي دخل بيتهم مع شاهدين. وتلطفت

أمهم في نقل القضاء الذي لا مرد له ، ولكنها فشلت في فثء سورة الغضب التي جاشت في نفوسهم ، فانتفخت لها أوداجهم ، واحمرت عيونهم ، واستلوا سيوفهم يريدون تمزيقه متى نزل من الدرج. تسللت أشعة الشمس على العروسين وهما في أهنأ حال فنهض الفتى يريد أن يمضي إلى أمه ليبشرها بما لقيه من دويدة هذه ، فأمسكت به الفتاة وقالت له : لا تنْزل فإنهم قاتلوك ، ودعني أنزل قبلك. فوافقها على ما قالت ، فأسرعت نازلة على الدرج بكل ما هي عليه من زينة بشعرها الطويل المسترسل وتظاهرت بأنها لم تر أحدًا أما الإخوة فقد صعقوا لما رأوا ، أفي حلم هم أم في علم ؟ وتمنى كل واحد منهم أن لو كان صاحب النصيب نزل الفتى وتلقته أمه في أحضانها وتلقاه أخوته بالفرح والسرور". وأحسب القارئ أنه أدرك معي جوانب التشابه بين قصة سندرلا والجزء الأخير من قصتنا الشعبية. فالفتاتان فقيرتان لا تستندان إلى وجاهة اجتماعية وهو ما جعل الأنظار تقتحمهما وهما عاملتان في أعمال المنزل ممن يسخر له أمثالهما من الفقراء أو المغلوبين على أمرهم على أي حال ، وهما لهما صورتان صورة ظاهرة للناس مقتحمة مزدراة وصورة باطنة تظهر في الوقت الملائم. والاحتفال في القصتين هو ميدان الاستعراض وكشف ما لم يكن ظاهرًا للعيان ، والقصتان تشتركان في زمن نهاية الاستعراض ففي (سندرلا) لابد من أن تغادر قبيل منتصف الليل لأن مفعول السحر الذي جاءت به سيبطل ، وكذلك دويدة لابد أن تعود حتى لا ينكشف أمرها ، ولئن فقدت سندرلا فردة من حذائها لتقود الأمير إليها ؛ فإن دويدة في المقابل انتزعت خاتم الفتى ليقوده إليها بعد ذلك. وتتشابه القصتان في سعي الرجل للحصول على فتاته وإيمانه بما رآه منها أول

مرة ففي سندرلا نجد الأمير يقبلها بثيابها الرثة وبهيئتها التي ظهرت في بيت تمتهن فيه امتهانًا يذهب برونقها. والفتى في قصتنا آمن أن من جعلت له الخاتم هي تلك التي سلبت لبه في ميدان الاحتفال ولم تغره صورة دويدة ولا سواد جلدها ولا نتانة ريحها وما يحيط بها من الذباب فهو يدرك بقرارة نفسه وبعاطفة ملكت عليه حواسه أن تحت هذا الظاهر باطنًا واعدًا. ثم نجد القصتين آخر الأمر تنتهيان نهاية سعيدة تلبي حاجة الذائقة الشعبية المتطلعة إلى تحقق آمالها وإن كانت خيالية. وطالما فرّ الإنسان من واقعه المتعب الأليم إلى عوالم من الخيال تنداح فيها له من الحيوات ما يجد فيها سكينته.

جحا النجدي:

كان من أعظم أعمال الأستاذ الدكتور محمد رجب النجار ما كتبه عن (جحا العربي) ونشر في العدد العاشر من (عالم المعرفة)[1]. وقد اهتمَّ بجلاء حقيقة جحا العربي وتخليصها مما شابها من خلط واضطراب شديد متبعًا في ذلك منهجًا علميًّا صارمًا دقيقًا كان من شأنه أن أوصله إلى نتيجة مهمة كل الأهمية، يقول: "لو استقرينا الآن، بعض الملامح والقسمات الخاصة بشخصية جحا العربي، من خلال نوادره –لا أخباره- بخاصة تلك النوادر التي أثرت عنه، ونسبت إليه في حياته، وكان صاحبها وبطلها، فلم تنسب لغيره –كما ذكر الأقدمون- لما خرجنا بغير الملامح والقسمات التي أكدتها أخباره (التاريخية) نفسها، ومن ثم نجد أنفسنا في خلاف مع هؤلاء الأقدمين الذين ترجموا لجحا، وصنفوا لنوادره، بين نوادر الحمقى والمغفلين، وكان

(1) سلسلة من الكتب العلمية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت.

عليهم أن يترجموا له وأن يصنفوا لنوادره بين نوادر الأذكياء"[١]. والنجار حين يقول ذلك فإنما ينطلق من تأمل دقيق للنوادر نفسها، يقول: "ذلك أن المتأمل لهذه النوادر التي انفردت نسبتها إلى جحا، في حياته، تؤكد أنه كان ذكيًّا، لّماحًا، حاضر الجواب، سريع البديهة، حاد البصيرة، ثاقب النظر، وإن تظاهر بغير ذلك، لأسباب بعينها"[٢]. ويؤيد كلامه وما وصل إليه بإنجاز علمي آخر لأحد الباحثين المعاصرين، يقول: " الأمر الذي أكده أحد الباحثين المعاصرين، هو كامل كيلاني الذي عثر –فيما يقول- على مخطوط قديم، كتبه أبو السبهلل طارق بن بهلل بن ثابت بن أخي جحا (الذي كان معنيا بتسجيل أحاديث عمه جحا) وملحه وطرائفه وأن هذا المخطوط يشرح لنا الأسباب التي أدت بجحا إلى اتخاذ أسلوبه الخاص في التغابي والتحامق"[٣].

وليس هذا الذي يذهب إليه الدكتور النجار ببعيد من صورة ما أسميه (جحا النجدي) يقال: إن جْحِه[٤] (هذا اسمه في نجد عند الحاضرة أما البادية فاسمه جَحا بفتح الجيم) من أذكى الفتيان وأما والده فكان قاضي البلدة الذي يَكُنُّ له التقدير والاحترام وبلغ من محبتهم له وثقتهم به وبأسرته أن قرروا أن يولوا ابنه القضاء من بعده؛ ولكن القاضي يشفق على ابنه من القضاء وتبعاته فأوصاه أن يراقبه عند الممات فإن جمدت عينه اليمنى قَبلَ

(1) محمد رجب النجار، **جحا العربي**، ص٣٠.

(2) المصدر نفسه، ص٣٠.

(3) المصدر نفسه، ص٣٠.

(4) وهكذا أثبته الأستاذ محمد العبودي، قال: "جْحَه: جُحا المشهور بالفكاهة، ويلفظون باسمه بإسكان الجيم فحاء، ثم هاء" **الأمثال العامية في نجد**، ٤: ١٥٤٤.

القضاء وإن جمدت عينه اليسرى رفض القضاء، فلما مات والده رأى (جحه) عين أبيه اليسرى جامدة فقرر أن يرفض القضاء؛ ولكنه يعلم العلم كله أنّ أهل بلدته سيبذلون جهدهم لحمله على القضاء، ومن أجل ذلك تعمد أن يظهر من الجزع على موت والده ما أقنع الناس بخباله وظهر لهم أنه بلغ الجنون وإمعانًا في الأمر مضى مع الصبيان الصغار في الشوارع يلعب معهم واتخذ عسيًا ليمتطيه كالحصان والتف حوله الصغار وصار يتجول معهم هنا وهناك لا يفارقونه ولا يفارقهم إلا وقت المنام حتى عرف أهل البلد (جحه ودولته). ولكنهم يرحمونه ويتلطفون به محافظين على محبتهم لأبيه. وانطلى أمره على أقرب الناس إليه وهو أخوه إذ أيقن بسفهه وخباله أما أمّه فهي أعلم الناس بأمره فلم يخالجها الشك في صلاحه وذكائه؛ ولذلك حملت أخاه حين همّ بالزواج أن يستشير أخاه، فتعجب من فعلها وتعجب كيف تريد منه أن يستشير خبلاً لا رأي له ولا قيمة لما يقول، ولكنه راح آخر الأمر يرضي أمه لا قناعة منه بقولها، فطاعتها واجب ديني لا يجادل فيه أحد، وحين لقيه في أحد شوارع البلدة ودولته تتصايح من حوله قال له: إنه يريد الزواج وإنه يريد رأيه فرد عليه جحه(جحا) ردًا موجزًا سريعًا، قال: ابعد عن الحمص والرمص وبيت القطيعة وابعد عن الفرس. ومضى لا يلوي على شيء ودولته وراءه يثيرون من ورائهم الغبار. ورجع الفتى إلى أمه يشتكي من ردّ أخيه الذي لم يفهم منه شيئًا. فراحت أمه تفسر له من كلام أخيه ما لم يفهمه فقالت: إنه يوصيك أن تختار زوجة سالمة من عيب الحمص؛ وهو ذهاب أهداب العين من مرضها والرمص هو: ما يجف على العين من إفرازاتها لمرض بها. وأن لا تكون من النساء المسببات بقطيعة

الرحم، وهي من أنكر المنكرات عند أهل نجد، ثم قال له أبعد عن درب الفرس أي: أفسح الطريق فالوقت ضيق لا يحتمل طول النقاش. وتزوج أخو جحه، ولكنه لم يعمل بنصيحة أخيه فكانت زوجته قاطعة رحم ما زالت توغر صدر زوجها على أخيه حتى بلغ بها الأمر أن اتفقت معه على أن يرمياه متى نام في البئر، ولكن جحه كان يسمع دون علمهما ما اتفقا عليه، وفي الليل حين نام أخوه وزوجته تسلل ولبس من ثيابها وألقى عليها من ملابسه وغمز أخاه فنهض من مرقده ولما رأى أخاه بثياب المرأة ظنه زوجته وحملا المسجى بثياب جحه وألقياه في البئر وقال الزوج: (راحة من جحه راحه)[1] فقال جحه: لا والله راحة من أم العيال راحه. قال أخوه لما سمع صوته: سويته يا جحه (أي فعلتها يا جحا)، قال: إيه، وإلا تبي تلعبون علي[2].

(١) هذا مثل نجدي مشهور ذكره الأستاذ محمد العبودي في (**الأمثال الشعبية في نجد**) وكذلك ذكره الأستاذ عبدالكريم الجهيمان في (**الأمثال الشعبية**).

(٢) هكذا سمعت الحكاية وإن كانت بهذه الصورة غير منسجمة مع شخصية جحا التي تصورها الحكايات التي تلي. وأجد الحكاية مسوقة على نحو مختلف عند الأستاذ محمد العبودي: "يقولون: إنّ جحا كان أجيرًا عند فلاح وأنه كان يخالف سيّده إلى ما ينهاه عنه، ويفعل خلاف ما يريد فأراد سيده أن ينتقم منه بأن يجره برجله إذا نام ليلا ويلقي به في البئر ولكن جحا فطن لذلك فلبس ثياب امرأة الفلاح، ونام في منامها وتحيّل على المرأة فجعلها تنام في مكانه فجاء سيده إلى امرأته يحسبها جحا فألقاها في البئر بأن جر رجلها من فوق رمل كانوا ينامون عليه مجاور للبئر. وهو يقول: راحة من جحه راحه" أي يظن أنه ألقى جحا في البئر. قالوا: فأجابه جحا بقوله: راحة من أم العيال – يريد الزوجة- راحة، وأما جحا فما منه راحة" **الأمثال العامية في نجد**، ٢: ٥٥٨-٥٥٩.

كان جحا يدرك كل الإدراك مدى حاجة أهل بلدته إلى من يفصل بينهم عندما تشتجر الأمور فكان لا يألو جهدًا في حلّ مشكلاتهم ولكن بطريقة ذكية تدفعهم إلى التنبه إلى الصواب الذي تجنبوه فيكون سببًا في هدايتهم.

وكان من تصرفاته مع دولته (الصبيان) ما يثير العجب بين أهل بلده. يحكى أنه دخل على أمه يطلب منها تمرًا لدولته من الصبيان فقالت: ما عندنا تمر. فقال: لمن هذه الخصف؟ وهو يشير إلى مجموعة من خصف التمر، عندها فقالت: هذه للبدو. فما كان منه إلا أن خرج ونادى بأعلى صوته يا بدو خوذوا (خذوا) خصفكم ضيق علينا. فلم يكذب البدو خبرًا وانقضوا على الخصف، ومضوا بها إلى قطينهم خارج البلدة. فإذا بالأم تلطم وجهها على ما صار من ابنها وأدركت خطأها، واعترفت له بكذبها عليه، وبخلها بالتمر على الصبية الجياع، فطمأنها وطيّب خاطرها، ووعدها أن يستعيد التمر في الليل. فلما صار المساء، تسلل جحه إلى موقد البدو، وعمد إلى حجرين أسودين من أثر النار فدفن جسده قربهما إلى رأسه بعد أن طلس وجهه بالسواد، فلما جاء وقت الطبخ جاءت البدوية تريد إشعال النار فقربت الحجرين وأرادت الثالثة لتكون ثالثة الأثافي لقدرها فما وقعت يدها على رأسه حتى صرخ بأعلى صوته: أنا جحه ولد علي تحسب راسي بسواد الليل منصبه (أثفية). ففزعت البدوية ومن حولها وجزموا بأنه جنيّ، فولوا هاربين، وهم أخوف ما يخافون منه الجن. فلمّا رأى الصبيان الذين كانوا يراقبون غير بعيد ما حصل مضوا إليه، وأخرجوه واستعادوا التمر لأمه ونالوا من كرمها ما يستحقون. وجحا الذي فعل ما فعل استعمل ذكاءه

ومعرفته بطبائع البدو فلم يحاول أن يسترد التمر بالقوة بل لجأ إلى لطف الحيلة[1].

ويحكى أن رجلاً صاحب بستان راهن فقيرًا على أن يسبح في الغدير ليلة من ليالي الشتاء القارسة البرودة فقبل الفقير وظل يسبح أمام أمه التي خافت عليه أن يهلك من البرد فظلت حول الغدير على قور مشرفة عليه تشعل بعض ما تجده من السعف والحطب لعله يدفئ ابنها فلما كان الصباح خرج الفقير من الغدير منهك القوى مرتعد الفرائص من شدة البرد وراح يطالب بحقه، ولكن الرجل أنكر أن يكون له عنده حقّ محتجًا بأن والدته قد سخّنت له مياه الغدير فاختل الشرط الذي بينهما. ولم يستطع الفقير ولا من

(١) هكذا سمعت القصة منذ صغري في بلدي (المذنب) ويبدو أن لها روايات مختلفة تختلف باختلاف الأماكن فالأستاذ محمد العبودي وهو من (بريدة) التي تبعد عن المذنب ٥٠ كيلا تقريبًا يوردها في كتاب (**الأمثال العامية في نجد**) على نحو مختلف، ويفهم من كلامه أن هناك شخصيتين كلاهما يطلق عليها هذا الاسم أحدهما: حضرية، والأخرى: بدوية، والقصة يوردها في سياق تفسير المثل الذي أورده (أنا جحه ولد علي تحسبوني في الظلام منصبه). قال العبودي:"قالوا: كان جحا بن علي بدويًّا ولكنه جبان أخرق لا ينتفع به إلا أنه ذات يوم أغار فيه الأعداء على قبيلته فلم يصنع إلا أن أمر رفاقه بأن يدفنوه في الأرض ولا يبقوا إلا رأسه. قالوا: فانهزم جماعة (جحا) وجاء أعداؤهم يجمعون الغنائم وأخذوا يعدون القدور ليطبخوا عشاءهم فذهبوا يلتمسون منصبة وهي الأثفية – واحدة أثافي القدر- فلمس أحدهم رأس جحا وهو يحسبه منصبة لأن الوقت ليل فتحرك في يده وتكلم جحا قائلا: (أنا جحه ولد علي تحسبوني في الظلام منصبه) فأجفل الرجل من الرعب وصاح في رفاقه أن المكان مأهول بالجن ففزعوا وتركوا الغنائم وانهزموا" الأمثال العامية في نجد، ١: ٢١٩. وأميل إلى أن الرجل المقصود هنا حضري بدليل طريقة نطق الاسم (جحه) فهذه الطريقة الحضرية أما البادية فيقولون (جَحا).

حوله من الناس أن يأخذ من الرجل شيئًا وظل على إنكاره حق الفقير. سمع جحه بما حصل فذهب يتجول مع دولته وأظهر أنه صادف مروره أثناء تجواله ببستان الرجل. وأما وقد وصل إلى صاحب البستان، فإنه لقي من الحفاوة واستقبله بفرح ورحب به ومنحه ذبيحة يتغدى بها هو ودولته من الذبيحة فتقبلها جحه وأراد طبخها فوضعها في قدر فيه ماء وجعله في أسفل المنحاة[1] ثم إنه جعل في أعلى المنحاة الحطب بعيدًا عن القدر وأشعل النار، واجتهد هو ودولته في إشعالها وتزويدها بالحطب، وصاحب البستان يراقب ولا يفهم من تصرفهم شيئًا، وكان جحه يكلف بين حين وآخر أحد أصحابه ليمضي إلى القدر لينظر هل بدأ الماء بالغليان أم أن النار تحتاج إلى مزيد من الحطب، وظل يوالي ذلك حتى اقتنع البستاني بخطأ جحه ودولته، فقال له: إن الماء لن يغلي والنار بعيدة عنه بل لن يسخن، فأظهر جحه عجبه وقال: كيف؟! ألم تسخن العجوز ماء غدير كامل بسعف النخل أنكون أعجز من تلك العجوز؟ فعلم الرجل أن جحه جاء يلقنه درسًا وينبهه إلى ظلمه فعاهده على أن يدفع للفقير حقه وعندها قرب جحه القدر إلى النار وطبخ وأكل هو ودولته ومضوا في سبيلهم. وهكذا جعل جحه الظالم يحكم على نفسه وينطق من حيث لا ينتبه بالحجة يقيمها على نفسه.

ويحكى أن فلاحًا استأجر صبيًّا للعمل في بستانه سنة على أن يعطيه نخلةً فوافق الصبي وثابر على عمله حتى أثمر النخل وجاء يطالب الرجل بثمرة النخلة الموعود بها فقال له الفلاح: أنا أعطيتك النخلة فخذها أما التمر

---

(١) المنحاة أرض منحدرة تجعل بين يدي البئر لتتردد فيها السانية أثناء الري.

فهو لي. فبهت الصبي وانصرف كاسف البال لا يدري ما يفعل. سمع جحا بأمره فمضى إلى الفلاح كأنه في تجوال مع دولته ففرح به الفلاح فهو ابن القاضي الذي لا يختلف على حبه اثنان: وأهداه نخلة من النخيل الجيدة، فشكره جحا ولكنه أخرج حبلاً جاء به معه ولفّه على النخلة، وراح مع أفراد دولته يسحبون النخلة وهم يتصايحون ويسأل بعضهم بعضًا: هل تحركت؟ هل تحركت؟ أما الفلاح فهو طائر اللب لا يدري ما خطب الصبية، والعجب قد ملك عليه كل أمره فأقبل على جحا وقال له: لماذا يريد سحب النخلة؟ قال: ألم تعطنا النخلة؟ قال: بلى، قال: فنحن نأخذها. فقال الفلاح: ألا تفهم الكلام؟ أعطيتك التمر الذي في النخلة. هذا ما قصدته وعنيته. قال: إذا لماذا طلبت من أجيرك أن يأخذ النخلة ويترك الثمرة، فقال: هاه! وانتبه إلى أن جحا جاء يعلمه درسًا في حسن التعامل والصدق والأمانة، فدعا الصبي الأجير وأعطاه ما له من حق.

على أن هذه الصورة التي تبين ما عليه جحا من فطنة وذكاء وطيبة وتفان في فعل الخير تجاورها صورة أخرى نفهمها من أخبار أخرى تختلف عن تلك الأخبار السابقة في توجهاتها ومقاصدها إذ هي تركز على جانب الدهاء الذي قد يتخلى عن جانب الطيبة والخير ولعل مثل هذه الأخبار من جملة ما تنسب إليه. والشخصيات الشعبية قد ينالها من تغير الملامح بسبب ما ينثال في سيرتها من حكايات ألفها مجهولون لزيادة رصيد هذه الشخصية من القص. ومن هذه الأشياء ما يرتبط بالمثل النجدي (راحة من جحه راحه) الذي ذكرت قصته سابقًا. ومن هذه الحكايات ما يتصل بالمثل (وِتَد جحه)، قال العبودي: "وهذا المثل هو المشهور في معظم البلدان العربية بلفظ (مسمار

جحا) وقصته عندهم أن جحا باع دارًا له واستثنى وتدًا فيها قال: إنه لا يبيعه بأي ثمن. فاستخف المشتري به ووافق على ذلك. قالوا: فكان جحا يتردد عدة مرات كل يوم إلى الدار بحجة أنه يريد أن يضع على الوتد شيئًا أو أن يصلحه، أو أن يأخذ منه شيئًا حتى أقلق راحة المشتري، واضطر إلى شراء الوتد منه بقيمة كبيرة"[١]. ومن القصص الغريبة التي تنسب إليه قصة المثل (جحه يحِدّ[٢] امّه بما لا تسوى)، قال العبودي: "يقولون: أصله أن جحا حلف أن يبيع أمه، فأشفق الناس عليه من أمرين إما أن يعق أمه، أو يحنث يمينه. قالوا: فأخذ يعرض أمه للبيع ولكنه حدّد لبيعها ثمنًا لا يمكن أحدًا أن يقبله"[٣]. ولعله بهذه الطريقة سَلِمَ على أمه من البيع فلم يعقها كل العقوق ولم يحنث بيمينه، ولولا أن للخيال الشعبي مساربه الخاصة التي تتأبى على المحاكمات الصارمة لكان يمكن ردّ مثل هذه الحكاية بحجة أن الحنث بالحلف أهون من تعريض الأم للبيع، ولكنه المثل الذي يروى ويتداول كما هو وكذلك القصص الشعبية التي لا تسلم من التناقض والإحالات، وهذا حال كثير من الإبداع الذي يتخطى حدود المعقول، ولعل لذلك ما يسوغه من رغبة إنسانية لتجاوز الواقع المر المكبل لحركة الحياة، فهو يجد انطلاقه في عوالم تتخفف من القيود والصرامة التي يفرضها نظر العقل.

---

(١) محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٤: ١٥٤٤.

(٢) أي يحدد لها ثمنًا.

(٣) محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١: ٣٤٥.

بنت أهل الحويطة [1] :

يمكن عد هذه القصة مثالاً لما يصوره الأدب الشعبي من صراع بين الرجل والمرأة، وكانت قصة ألف ليلة وليلة قد صورت لنا بجلاء ذلك الصراع منذ البداية بين جبروت شهريار وعقل شهرزاد، وفي ثنايا الحكايات نجد منها جملة من الحكايات المتتابعة عن كيد النساء وكيد الرجال. أما هذه القصة فتقول: كان هناك فتاة بارعة الحسن والجمال ولم يكن والدها ليرضى أن يزوجها إلى أي أحد فقد ردّ كثيرًا من الذين تقدموا لخطبتها حتى تقدم إليه أحد أبناء الأمراء فقبل أن يزوجها به، وجاء اليوم الموعود وأقيمت الموائد للعرس واجتمع الناس، ولم تكن الفتاة تعرف من تقدم لخطبتها إذ كان من بلد غير بلدهم ولم يأت إلا ليلة العرس. أراد أخوها أن يعابثها كما يفعل في كثير من الأحيان فأقبل عليها ووجهه متجهم مقطب فراعها ما هو عليه من سوء الحال. فقال لها: كيف ترضين بهذا الرجل زوجًا؟ أمن أجل ماله تقبلين؟ وانهال عليها بمثل هذه الأسئلة وهو جاد في كلامه فأنكرت علمها بشيء وألحت عليه أن يريها زوجها فمكنها من النظر خلسة من أحد شقوق الباب وأشار إلى رجل هرم لا يكاد يرى طريقه هو أقرب إلى الأموات منه إلى الأحياء، فلما رأته ركبها همّ عظيم وطفقت تبعثر ما استوى من زينتها، وأدرك أهلها أن أمرًا قد أصابها وجاء إليها أبوها يسأل عنها وعن حالها فقالت له بكل حزم إنها لا تريد الزواج بأحد أبدًا. لم يجد الأب بدًّا أمام إصرارها أن يتقدم إلى الضيوف وكله خجل بأن ابنته أصابها مكروه يتعذر

(1) الحويطة تصغير حوطة وهي البستان الذي تحيط به الأشجار العالية.

معه زواجها وتأسف لما صار. وحاول القوم إظهار التجلد وإن قاموا مغضبين على مضض وانصرفوا. وفي هذه الأثناء مضى أخو البنت إليها وقال لها: انظري هل ترين ذلك الشاب؟ قالت: نعم ما أجمله وأحسن شبابه. فقال لها: إنه الرجل الذي جاء وأراد الزواج بك، وكان أخوها ينتظر منها أن تهجم عليه لتنتقم كعادتها كلما مازحها أو تصرخ في وجهه ولكنها هذه المرة كانت في منتهى الهدوء رابطة الجأش، وإن بدت جادة الملامح متصلبة القسمات. خرج أخوها وهو يحس فشله في إثارة أخته ومضت الأيام بعد ذلك وكل شيء هادئ وعادت حياتهما إلى ما كانت عليه. وكان من عادة الشاب أن يأخذ فرسه إلى حويطة غير بعيد منهم ليسقيها كما يفعل غيره من الشباب، وكان المروى هناك فرصة للقاء بعض الفتيات العائدات أو الرائحات أو المتزودات من الماء. وفي يوم كان يقف على المروى، وعليه فتاة ذات حلي وزينة وثياب فاخرة غير أنه لم يبد من وجهها سوى العينين وجزء من الوجنتين، ولكنها كانت كافية لسلب لبّ الشاب، وكان معها طاسة[1] تهم أن تملأها، فتقدم منها وسلم فلم ترفع صوتها؛ ولكنها ردّت عليه السلام بخفر وحياء فعل في نفسه الأفاعيل، قال لها أعطني بطاستك ماء للفرس، فناولته فتأمل كفيها وحسن قوامها وما زاده هذا إلا رغبة فيها، فقال لها: بنت من أنت؟ فقالت: وما شأنك؟ قال: أريد خطبتك، وخذي خاتمي هذا دليلا على صدق نيتي. أخذت منه الخاتم وغضت طرفها. وقالت بحياء: أنا بنت أهل الحويطة. طار الفتى من الفرح، وانفتل راجعًا إلى أمه

(1) أناء من المعدن المطلي بالخزف.

ليطلب منها أن تخطب له. فقالت: الحمد لله كم تمنيت هذا اليوم الذي تقرر فيه الزواج سأخطب لك اليوم أو غدًا، ابنة عمك إن أردت أو ابنة خالك. قال: لا، أعرف من أريد. ابتسمت أمه، وقالت: ومن هي؟ فقال: بنت أهل الحويطة. قالت: نعم!؟ بنت أهل الحويطة! أنت تعرف من هي؟ هذي مهبولة، هذي هولة تأكلك، يا حزن أمك، أنت جننت؟ بدا الشاب واثقًا من نفسه وهو يقول: لا أريد إلا هي. قالت: حتى ولو كانت مهبولة شيفة؟ قال: ولو، ولو، ولو. ما لي غير هذي البنت. قالت: هذي البنت لا، شف غيرها. قال: هي وإلا لن تريني بعد اليوم. خضعت الأم لمطلبه وتوجهت إلى أهل البنت وخطبتها وهم لا يصدقون من أمرهم شيئًا فما كانوا يطمعون بأقل الناس شأنًا أن يتقدم إلى ابنتهم الوحيدة العليلة. عادت الأم وأخبرت ابنها بموافقة القوم على الخطبة وأنهم بانتظاره متى شاء. حمل الشاب مهر عروسه في جراب ومضى إلى والد عروسه وسلم عليه بفرح وشكره على قبوله به والرجل لا يدري ما يقول من شدة دهشته واتفقا على أن يكون الزواج في نهاية الإسبوع نفسه، وعاد الشاب فرحًا بانتظار مرور الأيام القليلة ليجمع الله بينه وبين عروسه. وفي اليوم الموعود كان القوم يجهزون عشاء العرس ولم يطق الشاب أن ينتظر إلى المساء فراح إلى الحويطة لعله وعساه أن يلمح صاحبته، فلما وصل وجد شابة خارج الدار قد افترشت الأرض أمام قدر يغلي وهي تعصد ما فيه من طعام بجريدة نخل بقبضتها. وقد كانت الشابة سافرة الوجه مشعثة الشعر، بانت أسنانها الناتئة وعيونها الحمصاء الرمصاء، ولعابها يسيل من شدقها، مدت ساقًا وثنت أخرى وهي تغني لنفسها. سلم الشاب عليها فالتفتت وردت عليه السلام ببرود،

فسألها: ماذا تفعلين؟ فردت: أطبخ عشاء عرسي. فضحك منها ساخرًا، وقال لها وقد لاحظ طول ساقها: ما شاء الله رجلك طويلة. قالت: الثانية أطوط واطوط.(أي: أطول وأطول)، قال لها: من أنت؟ قالت: أنا بنت أهط الحويطة. (أي: أهل الحويطة) فقال: نعم؟ ماذا تقولين؟ اليوم عرس أختك وإلا عرسك. قالت: ما لي أخت. في هذه اللحظة فقط انكشف عن عينه حجاب وانتبه إلى جدال أمه وما اعتراها من الكدر والامتعاض يوم جاء يسألها أن تخطب له بنت أهل الحويطة. عرف أن في الأمر سرًّا. وكان والد العروس على يقين أن الشاب سيعود إلى رشده في وقت ملائم لذلك ترك جراب المهر على نخلة غير بعيد عن المتناول. فبصر الشاب بالجراب وأدرك أنه ما ترك إلا ليستعاد فأخذه وانصرف وحانت منه التفاتة فرأى والد العروس يبتسم. عاد الشاب إلى أهله وأنبأهم بأمره وأنه خدع بأخرى قالت له إنها: بنت أهل الحويطة ولا بد أن تسأل أمه عنها. قالت: وكيف أسأل؟ اذهب إلى الحويطة لعلك تصادفها. وقوي الأمل في نفسه وصار كل يوم يغدو ويروح إلى الحويطة، ولكنه لم يصادفها. أكانت خيالاً تخيله؟ أدركه الهم، وبدأ العشق لطيف تلك البنية يؤرق ليله ويفسد عليه نهاره، ولم يستطع الصمود أو النسيان فسقط طريح الفراش، وقلت رغبته في الطعام وضعفت آماله في الحياة ونحل جسمه نحولاً شديدًا. ولّما بلغت حاله هذا المبلغ دخلت عليه أخته وحاولت أن تهون الأمر عليه وأن تقنعه أن من رأى لا يمكن أن يتزوجها. فقال: كيف؟ فقالت: لا يتزوج الرجل أخته؟ قال: كيف؟ قالت: أنا التي كنت على المروى معي الطاسة ومعي خاتمك وقصت عليه الحكاية بتفاصيلها. لم يصدقها في البداية وحسبها تحتال عليه لتخرجه مما هو فيه،

لكنها تركته لتعود بعد فترة وهي في صورة الفتاة التي صادفها على المروى فشهق لما رأى ما صنعت ورأى الطاسة والخاتم. وقال: لمَ فعلت ما فعلت؟ قالت: ينسى الصافع ولا ينسى المصفوع. هل نسيت ما فعلت بي يوم حرمتني بحماقتك وكيدك من الرجل الذي أرسله الله لي؟ وهنا أدرك مغبة عمله وأنه نال عقابه الذي يستحق.

حكايات الذئاب:

كان الذئب وما زال حربًا على الرعاة والمسافرين في الصحراء، ولذلك كثرت الأخبار التي تنقل مغامرات الناس في مواجهة هذا السبع، وسوف أذكر منها ما أتذكره من سماعي على قلته. يحكى أن أحد أبناء بلدنا (المذنب) كان راجعًا من إحدى الضواحي النائية يقود بقرة وعجلاً فإذا بالذئب يمشي إلى جواره بكل هدوء. أدرك الرجل أن الذئب يطمع بالعجل فأطلقه له رجاء أن يسلم من أذاه، واستمر الرجل في طريقه جازمًا أن الذئب سيتخلف ليأكل العجل، ولكنه لاحظ أن شيئًا من ذلك لم يحدث؛ بل ظل الذئب يماشيه كما كان يفعل. قال الرجل في نفسه: الذئب لن يكتفي بالعجل بل يريد البقرة. لا حول ولا قوة إلا بالله. فأطلق البقرة واستمر في طريقه يريد النجاة بنفسه ولكن الذئب استمر معه يماشيه يسرع إن أسرع ويبطئ إن أبطأ. جزم الرجل أن الذئب يريده هو وأن قضاء الله لا مردّ له، ودخله الهلع والخوف ولم يدر ما يفعل فأهوى على الأرض وجعل رأسه بين يديه ينتظر قضاء الله فيه. اقترب الذئب منه وبدأ يحثو على الرجل من التراب والرجل جامد لا يقوى على الحركة، ومضت فترة كأنها قرون متتابعة على الرجل

المرعـوب، ثـم إن الـذئب انـصرف مـسرعًا، نهـض الرجـل وعـاد إلى حيـث بقرته وعجله وقادهما إلى بيته وهو لا يصدق ما حصل معه.

كان أهل شيحة (إحـدى ضـواحي المذنب) قـد حفـروا غبيـة[1] لتسقط فيها الأرانـب البريـة الـتي تـتردد علـى زرعهـم وتفسده، وكـانوا كـل صـباح ينظرون فيها ليأخذوا ما سقط من الأرانـب، وفي يـوم مـن الأيـام نظـروا فـإذا بذئب قد تدهور فيها، وكان الذئب منتفخ البطن فجزم الصبيان أنه قد مـات من سقطته؛ ولذلك تورم بطنه وانتفخ شـأن الحيوانـات الـتي تمـوت لحتفهـا. سحب الناس الذئب ليبعدوه عن المنازل اتقاء رائحته وعادوا، وحـين التفـت أحدهم رأى الذئب يفر نحو الصحراء.

وحكى أحدهم أنه كان مسافرًا على قدميه ولم يـستطع أن يبلـغ مأمنـه قبل المساء، ولما مضى جزء من الليـل بـدأ بـسماع صـوت الـذئاب فـأدرك أنـه لابد من الاختباء عنها حتى يظهر النهار فبحث عن مـأوى فوجـد دحـلاً[2] في إحـدى القـور[3] فدخلـه وأقفـل بابـه بأشـجار مـن العوسـج. أمـا الـذئاب فقـد شمـت رائحتـه وتبعتـه إلى مكانـه دارت حولـه وحاولـت الـدخول مـن بـاب الـدحل لكـن الأشـواك ردعتهـا، ولكنهـا لم تيـأس فبـدأت تحفـر الغـار مـن

---

(1) الغبية حفرة عميقة في الأرض تغطى بالقش حتى لا تراها الأرانب فتتحاماها، ولذلك يسير على القش فينهار بها وتتدهور في الحفرة. وهو استعمال له أصله القديم، جاء في (**لسان العرب**): "غَبَّيت البئرَ إذا غَطَّيت رَأْسها ثم جَلعت فوقَها تُراباً.

(2) الدحل فراغ مائل داخل الأرض، جاء في (**معجم العين**): "الدَّحْل: مَدْخلٌ تحتَ الجُرْف أو في عُرْض جَنْب البئر في أسفلِها، أو نحوه من المناهِل والموارد".

(3)جمع قارة أي أكمة وهي مرتفع من الأرض دون التل.

الأعلى وتمكن الذئب بعد فترة من اختراق السطح وأقحم يده يريد الرجل، ولكن الرجل كان حاضر الذهن شجاع القلب إذ أهوى على يد الذئب بسكينه فشكه بها. حاول الذئب انتزاع يده من الفتحة لكنه عجز فالسكين تعترضه وتؤلمه وراح يجرجر يده دون جدوى، أما الذئاب الأخرى فقد زادت حركتها واضطرابها فوق سطح القارة وبعد فترة سقطت يد الذئب على الأرض. لقد شمت الذئاب دماء صاحبها وأدركت عجزه عن الفرار فتكالبت عليه ونهشته بلا رحمة. لم يعد الرجل يسمع للذئاب صوتًا ولزم مكانه حتى أشرقت الشمس، وخرج بهدوء ونظر إلى أعلى القارة فلم يجد من الذئب إلا عظامه. حمد الله وتابع طريقه.

ويحكى أن رجلاً سافر ماشيًا من الأحساء إلى الرياض وقد قيل له: إن عليه أن يجتاج مكانًا من الأماكن في النهار؛ لأنه مذأبة[1] لا يسلم صاحبه فعمل بنصيحتهم وتجاوز المكان أول النهار وكان قد بدأ مسيرته من الأحساء بليل فلما كان قبيل الظهر كان قد أدركه الكلال فسقط على الأرض وراح في سبات عميق، وما شعر بنفسه إلا بقطرات من الرذاذ تتساقط على وجهه ففتح عينيه وإذا ذئب قد فَحَجَ[2] عليه يتشممه، قال الرجل: فصرخت صرخة أودعتها كل قوة ملكتها تلك الساعة ولا أدري كيف صرخت، غير أن الذئب جفل من شدة صرختي وجرى لا يلوي على شيء وسلحه من ورائه كطلقات المدافع، وحمدت الله على نجاتي منه وتابعت طريقي.

---

(1) أي كثيرة الذئاب.

(2) فَحَجَ: هو الذي تترائى صدور قدميه، وتتباعد عَقِباه وتتفحَّج ساقاه. الجوهري. معجم الصحاح، مادة: (ف ح ج).

النمل في الأمثال:

تعبر أمثالنا الشعبية عن معرفة الناس بالبيئة الحيوية المحيطة معرفة دقيقة حتى صارت مفرداتها مضرب تلك الأمثال. ومن ذلك النمل الذي يعرف الناس منه أنواعًا مختلفة الحجوم والألوان. وهم يطلقون على الصغار منه البني (الذر) والمفرد (ذرة)، وأما المتوسط الحجم الأسود اللون فيسمى (النمل) وأما الكبير الذي منه الأسود ومنه البني المختلط بالسواد فذلك يسمى (القعر) [بفتح العين] والواحد (قعرة). ولما كان النمل يعيش في مجتمعات لوحظت كثرته فقالوا في المثل: (أكثر من النمل). وتتصف النملة بحاسة شم قوية؛ ولذلك قالوا في المثل عن القوي الشم: (أنشى من الذرة)، أي: هو أشد نشوة وشما منها. ولذلك تعتمد النملة في سيرها على استنشاء الرائحة فهي تهتدي بها، ويتابع بعضها بعضا على خط علامتها الرائحة؛ لذا قالوا (ذرة تتبع الدسم). ولما كان الذر أصغر النمل ضرب به المثل في الضآلة وضرب بمن لا يترفع عن شيء بقولهم: (يحلب الذر). وعلى الرغم من حرص الذرة وقلة ما تحتاج فإن مؤونة الأولاد مكلفة حتى قالوا في المثل: (ما تشبع ذرة لها عيال)، وكل ما تجمعه النمل إنما يكون بمقادير صغيرة وبطول أمد وبذا يضرب المثل لما كان جمعه كذلك قالو: (حلال نملة) أي: ملك نملة. والمسائل نسبية فمال النملة الذي تجمعه في سنة لن يكون شيئا عند كائنٍ كبيرٍ كالجمل وهذه أحوال الناس أيضا منهم من ماله الذي جمعه في سنين لا يوازي شيئًا يذكر عند غيره وربما ضيع في لحظات قالوا في الأمثال: (تجمع النمل وياكل الجمل). والنمل له عضات مؤلمة ومؤذية لا يصبر عليها إلا الصبور؛ ولذلك قالوا عنه: (يبرك على النمال). ويضرب لشدة التعذيب

الحقيقي أو المعنوي قولهم (ذبحه على بيت نملة) إذ النمل مما يوصف بأنه من منظفات البيئة فهو يستأصل الحيوان وتنتفه إلى أجزاء صغيرة. ويتصف النمل بالصبر والإصرار فالقعرة من كبار النمل لا تستجيب للطرد متى اعترضت طريقها ؛ بل تصر عليه وتمضي إلى فضلات الطعام دون تردد أو كراهة ، فضرب بها المثل لدنيء النفس ، فقالوا : (نفس قعره). ولذلك تراهم يكرهون النمل وينصحون بحماية الطعام منه والخوف من أكلها بطعامهم. وبلغت كراهيتهم الذر أن توهموا أنه يسبب العقم أو قطع الذرية ، فقالوا : (الذَّر يقطع الذِّر) والذر الثانية بكسر الذال. وكل أصناف الحيوان والنبات كان موضع خبرتهم المسجلة في أمثالهم.